

مواقف عربية خالدة

(1)

مواقف إسلامية

إعداد

دكتور . رجب محمود إبراهيم بخيت

المقدمة :

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداء وعده اصطناعا فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلها تقدرت أسماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طويلة أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالسته وصفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق فبلغ مآلته ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يصدده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى أتاه اليقين صلى الله على محمد وعلى آل محمد .

أما بعد

ف الخير في الأمة الإسلامية باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمهما ضعفت الأمة، ومهما تأخرت عن مكانها اللائق بها باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، ومهما عظمت المؤامرة عليها وتنوعت أدواتها، إلا أنها تبقى أمة خصبة، تنبت الأعلام العظماء، يكونون فيها كالمصابيح في الدجى، وتظل مواقفهم مواقف عزة وفخر لهم وللأمة الإسلامية كلها.

ونحن المسلمون إذا تصفحنا مواقف تاريخنا المديد نجد أعلاما للأمة في كل العلوم والآداب في الذود عن الحق والوقوف في وجه الباطل وفي اللغة والفقه والحديث و.....

وكلها آيات رائعة يفوح منها الشذى العاطر، وتؤكد بقاء
هؤلاء الأعلام بيننا بعلمهم وعملهم وذكرهم العطرة ، فقد
وعت ذاكرة التاريخ أمثلة رائعة من مواقف مشوقة
للأمة.

إن هذه الأمة أمة عظيمة، أمة كريمة مجيدة، ما شهد التاريخ
مثلها، وما عرف المخاض مولودا أكرم على الله منها، أمة
تغفو ولكنها لا تنام، قد تمرض ولكنها لا تموت، أمة أنجبت
للدنيا أعلام في كل فن من الفنون وكل نواع من أنواع
المعارف الإنسانية وأخرجت للكون أبطالاً شرفاء، ولنا اليوم
وقفة مع أشهر المواقف في حياة الأمة لنقلب الصفحات
ونلتمس العبر والعظات.

اقروا التاريخ إذ فيه العبر... ظل قوم ليس يدرون الخبر

و هؤلاء الأعلام بعلمهم وعملهم أحياء وإن وسدوا في
قبورهم، وإن و اراهم التراب، وإن فقدت شخوصهم، إلا أنهم
أحياء بعلمهم وبتراثهم، ومواقفهم ، بجهودهم، وبآرائهم،
وباجتهاداتهم، وبأعمالهم التي كلما ذكرت ذكروا، فأثنى الناس
عليهم خيراً، وترحموا عليهم، بل وكرهوا البقاء بعدهم.
عفاءً على أرض تقيم بغيرها فليس بها للصالحين

معرج

لمن تستجد الأرض بعدك زينة فتصبح في أثوابها تتبهرج
وليس البكا أن تسفح العين إنما أحر البكائين البكاء المولج

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: القلوب أوعية فخيرها
أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربّاني،
ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رِعَاع، أتباع كل ناعق،
يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى
ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس

المال مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي
الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة...
... أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ
الله الحجة حتى يؤدونها إلى نظرائهم، ويزرعونها في قلوب
أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلنوا ما
استَوْعَرَ المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون،
صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة في المحل الأعلى، آه..
آه.. شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك).

وهذه صفحات من حياة الأمة أودعتها مواقفاً من حياة
الأعلام في مختلف المجالات ، ونتفأ مواقف أعلام الفقه
والحديث والقضاء والأدب واللغة ، ونادراً من ثبات أكثر أهل
الملة، ونبدأ من نصح الأمة لدينها، وشذراً من زهد العلية
الأجلّة، وطيفاً من قوة البرهان والحجة مع السير على
المحجة.
وهي باقة من مكارم الآباء تهدي إلى الأبناء، وطاقات علمية
نادرة، وعبقريات فذة مدهشة، هي لأهل العلم تذكرة، وللعمامة
والخاصة تبصرة، نرجو أن ينعش بها العليل، ويشحذ بها
الكليل، ويُبعث الوسنان، ويُوقظ الهاجع، ويُنشر المطوي،
ويُفتح المغلق، وينهض المقعد، ويمشي الكسيع.

أضعها بين أيديكم كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة
لاختلاف شهوات الآكلين، وأنا لا أدعي -معاذ الله- أني أتيت
فيها بجديد، ولكني -بفضل الله وحده- جمعتها من بطون
الكتب لتكون بين أيديكم لعل الله عز وجل أن ينفع بها .
وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني
ويثيبني عليه .

رب تقبل عملي ولا تخيب أمني
أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأتوب إليك.
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

إذا استحكمت الأزمات وتعدت حبالها ، وترادفت الضوائق وطال ليلها ،

فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العصم من التخبط ، والهداية الواقية من القنوط . والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم فى دينه ودنياه ، ولا بد أن يبني عليها أعماله وآماله وإلا كان هازلا .. يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ؟ وانتظار النتائج مهما بعدت ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، بقلب لم تعلق به ريبة ، وعقل لا تطيش به كربة ، يجب أن يظل موفور الثقة بآدى الثبات ، لا يرتاع لغيمة تظهر فى الأفق ولو تبعتها أخرى وأخرى ، بل يبقى موقنا بأن بؤادر الصفو لابد آتية ، وأن من الحكمة ارتقابها فى سكون ويقين .

وقد وصف الله - تعالى - الصابرين بأوصاف ، وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) [السجدة : 24] . وقال - تعالى - : (ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) [النحل : 96] . وقال - تعالى - : (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) [القصص : 54] وقال - تعالى - : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر : 10] . فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب ، إلا الصبر ، ووعد الصابرين بأنه معهم فقال - تعالى - : (إن الله مع الصابرين) [البقرة : 153 ، والأنفال : 46] . وجمع لهم بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال - تعالى - : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [البقرة : 157] .

وقد قال الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - : «مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا لَهُ وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».(1)
وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ ، وَالْفَرْجُ مَعَ الْكَرْبِ ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».(2)

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ وَأَبِي صَالِحٍ : عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».(3)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فَكَذَّبَهُ بِمَا قَالَ لَكَ ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ».(4)

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ،

¹ (متفق عليه ، البخاري (1400) باب الاستغفار عن المسألة ، مسلم (1053) باب فضل التعفف والصبر ، مستدرک الحاكم (3552) تفسير سورة السجدة ، واللفظ له ، تعليق الذهبي في التلخيص " على شرط البخاري ومسلم " .

² (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (5411) ، تعليق الألباني " صحيح " ، صحيح الجامع (686) .

³ (أحمد (5022) ، تعليق شعيب الأرناؤوط " إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين " ، سنن البيهقي الكبرى (19962) باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر على أذاهم ، تعليق الألباني " صحيح " ، صحيح الجامع (6651) ، الصحيحة 939 .

⁴ (أبو داود (4897) باب في الانتصار ، واللفظ له ، تعليق الألباني " حسن بما بعده " ، أحمد (9622) ، تعليق شعيب الأرناؤوط " حسن لغيره " .

دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ
الْحُورِ شَاءَ».⁽¹⁾

وقال الجنيد : المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على
المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير
من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد.
وسئل الجنيد عن الصبر، فقال : هو تجرع المرارة من غير
تعبيس.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه : الصبر من الإيمان
بنزلة الرأس في الجسد.

وقال أبو القاسم الحكيم : قوله تعالى : " واصبر " أمر
بالعبادة، وقوله : " وما صبرك إلا بالله " عبودية، فمن ترقى
من درجة لك إلى درجة بك؛ فقد انتقل من درجة العبادة إلى
درجة العبودية.

وقال ابن عطاء: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال أبو عثمان : الصبار : الذي عوّد نفسه الهجوم على
المكاره.

وقيل : الصبر : المقام مع البلاء بحسن الصحية، كالمقام مع
العافية.

قال عمرو بن عثمان : الصبر . هو الثبات مع الله سبحانه
وتعالى، وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.

وقال ذون النون: الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.
وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبري ... وأخفيت ما بي منك
عن موضع الصبر

¹ (متفق عليه ، البخاري (6943) باب قول الله تعالى { إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين } ،
واللفظ له ، مسلم (2804) باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل. "

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي ... إلى دمعتي سرّاً فتجري ولا أدري

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقى، وإنّ من أخلاقى أنّي أنا الصبور.

وقيل : الصبر لله: عناء، والصبر بالله : بقاء، والصبر في الله: بلاء. والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله: جفاء. وأنشدوا:

والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر في سائر الأشياء محمود وأنشدوا:

وكيف الصبر عن حل منى ... بمنزلة اليمين من الشمال إذا لعب الرجال بكلّ شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجال وقيل : الصبر على الطلب عنوان الظفر، والصبر في المحن علامة الفرج.

وقيل : حالك التي أنت فيها رباطك، وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المrapطة في رباط حالك.

- وقيل في الصبر على النوائب
أتصبر في البلوى عزاءً وحسبةً ... فتؤجر أم تسلو سلو البهائم(1)

وقيل :

عول على الصبر واتخذ سبباً ... إلى الليالي فإنها دُول وقيل :

- تنقل الدهر للفتى سبباً ... والمرء والدهر حيث ينتقل
فدم على صبرك الجميل له ... واعمل فإن الملوك قد عملوا

ومن المواقف :

فاحتسب ابنك

عن ثابت عن أنس قال مات ولد لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه قال فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم قال لا فقالت فاحتسب ابنك .

قبلت رأس عالج

عن عكرمة عن ابن عباس قال أسرت الروم عبدالله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الطاغية تنصر وإلا ألقيتك في النقرة النحاس فقال ما أفعل فدعا بنقرة من نحاس فملئت زيتا وأغليت ودعا رجلا من المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى فألقاه في النقرة فإذا عظامه تلوح فقال لعبدالله ابن حذافة تنصر وإلا ألقيتك قال ما أفعل فأمر أن يلقي في النقرة فكتفوه فبكى فقالوا قد جزع قد بكى قال ردوه فقال لا تظن أني بكيت جزعا ولكن بكيت إذ ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل كنت أحب أن يكون لي أنف من عدد كل شعرة في ثم تسلط علي فتفعل بي هذا قال فأعجبه وأحب أن يطلقه فقال قبل رأسي وأطلقك قال ما أفعل قال تنصر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي قال ما أفعل قال قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين قال أما هذا فنعم فقبل رأسه فأطلقه وثمانين معه فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبل رأسه وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبدالله ويقولون قبلت رأس عالج .⁽¹⁾

¹ (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، الثبات عند الممات ، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري ، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ ،

عروة بن الزبير : اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله فقيل له

اقطعها قال إني لأكره أن أقطع مني طابقا فارتفعت إلى الركبة فقيل له إنها إن وقعت في الركبة قتلتك فقطعت ولم يقبض وجهه وقيل له قبل أن يقطعها نسقيك دواء لا تجد معه ألما فقال ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها .

وسقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربه بقوائمها حتى قتله فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها فقال بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبره بشأئه فقال

(وكنت إذا الأيام أحدثن نكبة ... أقول شوى ما لم يُصِبَن صَمِيمِي)

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء وأخذت ابنا وتركت أبناء فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق فأتاه ابن المنكر وقال كيف

كنت فقال (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)

كأنك لم تدع إلى ضر مسك

عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة قال : مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج فقلت : لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج ! فقال : مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله واشكره؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرٍّ مَّسَّةٍ) (يونس 12).

أكثرُوا سؤال العافية

عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال : كان عبد الأعلى التيمي يقول : أكثرُوا سؤال العافية فإن المبتلي وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء؛ وما المبتلون

اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم؛ ولو كان بلاء يجره خير ما كنا من رجال البلاء؛ ولو كان بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزي في الآخرة فما يؤمن من بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزي في الآخرة؟ ! فما يؤمن من أطل المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهد في الدنيا ويفضحه في الآخرة؛ ثم يقول عند ذلك : الحمد لله الذي إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها، وإن نعمر فيها لا نبليها⁽¹⁾.

فأنت الراكب وأنا الماشي

وخرج يوماً إلى الحج ماشياً فرآه رجل على ناقته فقال له إلى أين يا إبراهيم قال أريد الحج قال أين الراحلة فإن الطريق بعيد قال لي مراكب كثيرة ولكن لا تراها قال ما هي قال إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعيتي نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى فقال سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي⁽²⁾.

المال مال الله

عن إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال : نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصيب بمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له : يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شاء وأخذه منك إن شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم⁽³⁾.

فأنظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم!

وقال، قال لي أبو سليمان: " يا احمد!، أيكون شيء اعظم ثواباً من الصبر؟ " قلت: " نعم!، الرضى عن الله! " ، قال:

¹ (عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، فقه الأدعية والأذكار ، ط الكويت ، الطبعة : الثانية ،

423هـ/2003م ، 277/1

² (الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 1 / 87

³ (أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 33/8

" ويحك!، إذا كان الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب،
فأنظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم! " .

وقال، قال ل ييوما: " إذا أردت أبداً حاجة من حاجات الدنيا
فلا تأكل شيئاً حتى تقضيها، فان الأكل يغير العقل " .

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟!

- حدث الأوزاعي عن عبد الله بن محمد قال : خرجت الى ساحل
البحر مرابطاً وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال : فلما
انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها
رجل قد ذهب يده ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من
جراحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول : اللهم أوزعني أن أحمذك
حمداً أكفىء به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني
على كثير ممن خلقت تفضيلاً؛ قال الأوزاعي : قال عبد الله:
قلت : والله لآتين هذا الرجل ولأسأله أنى له هذا الكلام؟ ! فهمم
أم علم أم إلهام ألهم، فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت : سمعتك
وأنت تقول : اللهم أوزعني أن أحمذك حمداً أكفىء به شكر
نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت
تفضيلاً فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ ! وأي
فضيله تفضل بها عليك تشكره عليها؟ ! قال : وما ترى ما صنع
ربي؟ ! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقني وأمر الجبال
فدمرتني وأمر البحار فغرقني وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت
لربي إلا شكراً لما أنعم علي من لساني هذا؛ ولكن يا عبد الله
إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست
أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي
يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني وإذا جعت أطعمني وإذا
عطشت سقاني ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك
الله فقلت والله ما مشي خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله
أجراً ممن يمشي في حاجة مثلك فمضيت في طلب الغلام فما
مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثران من الرمل فإذا أنا
بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت : أنى لي
وجه رقيق آتي به الرجل؟ ! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على
قلبي ذكر أيوب النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتيته سلمت

عليه فرد علي السلام، فقال : أأست بصاحبى؟ قلت : بلى؛ قال :
ما فعلت فى حاجتى؟ فقلت : أنت أكرم على الله أم أيوب النبى؟
قال : بل أيوب النبى؛ قلت : هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس
قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال : بلى، قلت : فكيف وجده؟ قال :
وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت : لم يرض منه ذلك حتى
أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال : نعم؛ قلت : فكيف وجده ربه؟
قال : وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت : فلم يرض منه بذلك
حتى صيره غرضاً لمار الطريق هل علمت؟ قال : نعم؛ قلت :
فكيف وجده ربه؟ قال : صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله؛
قلت له : إن الغلام الذى أرسلتني فى طلبه وجدته بين كثران
الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر
وألهمك الصبر، فقال المبلى : الحمد لله الذى لم يخلق من
ذريتى خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة،
فمات؛ فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون؛ عظمت مصيبتى؛ رجل
مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر
ولانفع؛ فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكياً
فبينما أنا قاعد إذ تهجم على أربعة رجال فقالوا : يا عبد الله ما
حالك وما قصتك؟ فقصص عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي :
اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه
فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مره ويديه أخرى ويقولون :
بأبي عين طال ما غضت عن محارم الله وبأبي جسم طال ما
كان ساجداً والناس نيام؛ فقلت : من هذا يرحمكم الله؟! فقالوا :
هذا أبو قلابة الجرمى صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب
لله وللنبى صلى الله عليه وسلم؛ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت
معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت إلى
رباطي فلما أن جن على الليل وضعت رأسي فرأيتة فيما يرى
النائم فى روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حل الجنة
وهو يتلو الوحي (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)
(الوعد : 24)، فقلت : أأست بصاحبى؟ قال : بلى، قلت : أنى لك

هذا؟ قال : إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية⁽¹⁾.

الشكر

إن الله - تعالى - قرن الشكر بالذكر في كتابه فقال - تعالى - : (فأذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) [البقرة : 152] وقال - تعالى - : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) [النساء : 147] وقال - تعالى - : (وسنجزي الشاكرين) [آل عمران : 145] وقطع - تعالى - بالمزيد مع الشكر فقال سبحانه : (لئن شكرتم لأزيدنكم) [إبراهيم : 7] ومن الأحاديث قوله - صلى الله عليه وسلم - : «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»⁽²⁾ .

وكان أبو بكر- رضي الله عنه- يقول في دعائه: «أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلها لا معسورها يا كريم» .

وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- : «ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى عليّ فيه أربع نعم: إذا لم يكن في ديني، وإذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرضا به، وإذا أرجو الثواب عليه» . وقال عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- : «إنّ النعمة

موصولة بالشكر، والشكر يتعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتّى ينقطع الشكر من العبد» .

¹ (محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1395 - 1975م ، 4/5

² (أخرجه أحمد (343/4 ، رقم 19036) ، والدارمي (130/2 ، رقم 2024) ، وابن ماجه (561/1 ، رقم 1765) قال البوصيري (83/2) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . والطبراني (100/7 ، رقم 6492) . وأخرجه أيضاً : القضاعي (180/1 ، رقم 264) . قال الشيخ الألباني : صحيح

وقال محمد بن كعب القرظي- رحمه الله تعالى:- «الشكر تقوى الله تعالى، والعمل الصالح، وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل»).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي- رحمه الله تعالى:- «الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير عمله لله- عز وجل- شكر، وأفضل الشكر الحمد».

وقال أبو حازم- رحمه الله تعالى- لرجل سأل: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: «إن رأيت بهما خيرا أعلنته، وإن رأيت بهما شرا سترته، قال فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرا وعيته وإن سمعت بهما شرا دفعته»، قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقا لله هو فيهما. قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (المؤمنون/ 5-7)

وقال الحسن البصري- رحمه الله تعالى:- «الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر. وقال أيضا: «إن الله ليمتّع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا، ولهذا كانوا يسمّون الشكر: الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة: والجالب، لأنه يجلب النعم المفقودة». قال بكر بن عبد الله المزني- رحمه الله تعالى:- «قلت لأخ لي أوصني. فقال: ما أدري ما أقول غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر من الحمد والاستغفار، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار».

قال كعب الأحبار- رحمه الله تعالى:- «ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا، فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه».

وقال يونس بن عبيد- رحمه الله تعالى- لرجل يشكو ضيق حاله: «أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجلتك مائة ألف؟ قال: لا. فذكره نعم الله عليه. فقال يونس: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة».

وقال مطرف- رحمه الله تعالى-: «لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن أبتلى فأصبر»
قال الشعبي- رحمه الله تعالى-: «الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله».

وقال الفضيل بن عياض- رحمه الله تعالى-: «عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم»
وقال- رحمه الله تعالى-: «من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم (إبراهيم : 7)، وإن من شكر النعمة أن يحدث بها».

وقال أبو حاتم بن حبان البستي رحمه الله تعالى-: «الواجب على العاقل أن يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته إن قدر بالضعف وإلا فبالمثل، وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر»
و أنشدني علي بن محمد:

علامة شكر المرء إعلان حمده ... فمن كتم المعروف منهم
فما شكر

إذا ما صديقي نال خيرا فخانني ... فما الذنب عندي للذي خان
أو فجر

و أنشد عبد العزيز بن سليمان:
لأشكرنك معروفا هممت به ... إن اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يمضه قدر ... فالشيء بالقدر المجلوب
مصروف

وأنشد المنتصر بن بلال:
ومن يسد معروفا إليك فكن له ... شكورا يكن معروفا غير
ضائع

ولا تبخلن بالشكر والقرض فاجزه ... تكن خير مصنوع إليه وصانع

وقال الكريزي:

أحقّ النَّاس منك بحسن عون ... لمن سلفت لكم نعم عليه
وأشكرهم أحقّهم جميعا ... بحسن صنّيعه منكم إليه
وقال بعضهم:

فكن شاكرا للمنعين لفضلهم ... وأفضل عليهم إن قدرت
وأنعم

ومن كان ذا شكر فأهل زيادة ... وأهل لبذل العرف من كان
ينعم

وقال آخر: «الحرّ لا يكفر النّعمة، ولا يتسخط المعصية، بل عند
النّعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل
المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه، والنّعم لا
تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر».

وقال ابن قدامة- رحمه الله تعالى-: «الشكر يكون بالقلب
واللسان والجوارح.

أمّا بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمّره للخلق كافة. وأمّا
باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتّحميد، وإظهار الرّضى عن
الله تعالى. وأمّا الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته،
والتّوقّي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العيّنين أن
تستر كلّ عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كلّ
عيب تسمعه.

(قال بعض السّلف رحمهم الله تعالى: النّعم وحشيّة فقيّدوها
بالشكر.

ومن فوائد الشكر عامة

- من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنّ نصف والنّصف
الآخر الصبر.

- اعتراف بالمنعم والنعمة.

- سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.

- لا يكون باللسان فقط بل اللسان يعبر عمّا في الجنان وكذلك
يكون بعمل الجوارح والأركان.

- كثرة النعم من المنعم لا يمكن أن يؤدي الإنسان حقها إلا بالشكر عليها.
- يكسب رضا الرب ومحبته.
- الإنسان الشكور قريب من الناس حبيب إليهم.
- فيه دليل على سمو النفس ووفور العقل.
- الشكور قرير العين، يحب الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة.

ومن المواقف :

أخشى أن يكون حظك من الله لسانك

قال الجنيد : كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين ، فتكلموا في الشكر ، فقال : يا غلام ، ما الشكر ؟ قلت : أن لا يعصى الله بنعمه ، فقال : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا أزال أبكي على قوله .

شكراً لله

عن سفيان بن عيينة قال : عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دنيء فأعتق جارية له إذ عافاه الله من ذلك الخلق؛ قال : وأمطر أهل مكة مطراً فهدمت منه البيوت فأعتق ابن أبي رواد جارية له شكراً لله إذ عافاه الله من ذلك.

فردّه الله عليك وزادك خمسين دينارا

قال مكّي بن إبراهيم- رحمه الله تعالى-: «كنا عند ابن جريج المكيّ، فجاء سائل فسأله؟ فقال ابن جريج لخازنه: أعطه دينارا، فقال: ما عندي إلا دينار إن أعطيته لجعت وعيالك. قال: فغضب وقال: أعطه. قال مكّي: فنحن عند ابن جريج، إذ جاءه رجل بصرة وكتاب وقد بعث إليه بعض إخوانه، وفي الكتاب: إني قد بعثت إليك خمسين دينارا قال: فحلّ ابن جريج الصرة فعدها فإذا هي أحد وخمسون دينارا قال: فقال ابن جريج لخازنه: قد أعطيت واحدا فردّه الله عليك وزادك خمسين دينارا»*(1).

المواساة

و المواساة مصدر قولهم: واسيته وهي لغة في آسيته، ويقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطّبيب الآسي. وأسّيت فلانا إذا عزّيته من هذا، أي قلت له: ليكن لك بفلان أسوة فقد أصيب بمثل ما أصبت به فرضي وسلّم، ومن هذا الباب آسيته بنفسه (وواسيته). وقال الرّاغب: الأسو: إصلاح الجرح وأصله: قال ابن مسكويه: المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات. وقال ابن حجر- رحمه الله تعالى-: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء. وقال غيرهما: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق.

أنواع المواساة:

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع: الأوّل: مواساة بالمال. الثّاني: مواساة بالجاه. الثّالث: مواساة بالبدن والخدمة. الرّابع: مواساة بالنّصيحة والإرشاد. الخامس: مواساة بالدّعاء والاستغفار لهم. السّادس: مواساة بالتّوجّع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكّلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلّما قويّ قويّت، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعظم النّاس مواساة لأصحابه بذلك، فلا أتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟

فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم.⁽¹⁾

وهذا النوع الأخير الذي يعني المشاركة إنما يرمي إلى جبر خاطر المحتاجين عندما يتعذر القيام بسدّ هذه الحاجة، وفي هذا ما يعينهم على الرضا الصبر وتحمل المشاق.

من المواساة جبر خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه: لما كانت المواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنصيحة .. أو غير ذلك فإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرّضه لما يعكر صفوه، وهنا فإن إدخال السرور عليه وتطبيب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجل أنواعها، وقد كان صلى الله عليه وسلم يواسي بالقليل والكثير، وقد علّمنا؟ أن من أقال مسلماً من عثرته أقال الله عثرته، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه.

إن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أن فائدة هذه المواساة لا ترجع إلى صاحب الحاجة (المواسى) فقط، وإنما تشمل أيضاً المواسى لأن الله عز وجل يقف إلى جانبه ويكون في حاجته، هذا في الدنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن من لقي أخاه بما يحب ليسرّه بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة « 4 »، لقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرفة من المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء يتضح أن مجالسة المساكين والتحدث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السرور عليهم، وإذا كان الإنسان

واجدا فإنه كان يتكفل بنفقة هؤلاء وإعالتهم مع المحافظة على كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرًا .

وعن أبي الدرداء- رضي الله عنه- قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما صاحبكم فقد غامر» فسلم وقال: يا رسول الله إني كان بيني وبين ابن الخطّاب شيء «فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» (ثلاثا) ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يتمعر (أي تذهب نضارته من الغضب) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» (مرتين) فما أؤذي بعدها (1).

وعن أنس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كلّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم» (2).

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثني عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشّدق، قد أبدلك الله عزّ وجلّ- بها خيرا منها. قال: «ما أبدلني الله- عزّ وجلّ- خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقني إذ كذّبني

¹ (البخاري- الفتحة 7 (3661).

² (الترمذي (2487) وقال: حسن صحيح، واللفظ له، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (3/227) وقال: رواه أحمد على شرط الشيخين.

النَّاسَ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسَ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا- وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ (1).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ (2).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ (3).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ (4) فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِّنَّا فِي فَضْلٍ (5).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَأَخَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ- وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ- فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمْتُ الْأَنْصَارَ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقْهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَرْوِجَتَهَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقْطَ، فَلَمْ يَلْبِثْ إِلَّا

¹ (أحمد (6/ 117- 118) واللفظ له، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (3/ 126) وقال: إسناده لا بأس به، وذكره الحافظ في الإصابة (4/ 283) وعزاه لابن عبد البر، وهو في الاستيعاب (4/ 286، 287) حاشية على الإصابة.

² (الطبراني في الكبير (5/ 118)، وذكره الدمي في المتجر الرابع (537) وقال: رواه الطبراني بإسناد جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (8/ 193). واللفظ فيه.

³ (أبو داود (3460) واللفظ له، أحمد (2/ 252) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (13/ 168) حديث (7425)، والحاكم (2/ 45)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال محقق «جامع الأصول» (1/ 440): إسناده صحيح.

⁴ (الظاهر: يراد به ما يركب من الدواب وخصه اللغويون بالإبل. والفضل: ما زاد عن الحاجة. ⁵ (مسلم (1728).

يسيرا حتّى جاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعليه وضر من صفرة⁽¹⁾، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مهم؟»⁽²⁾ قال: تزوّجت امرأة من الأنصار. قال: «ما سقت فيها؟» قال: وزن نواة من ذهب- أو نواة من ذهب- فقال: «أولم ولو بشاة»⁽³⁾.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه، لعلّ الله يتجاوز عنا، فلقي الله تعالى فتجاوز عنه»⁽⁴⁾.

وقال إبراهيم بن أدهم- رحمه الله تعالى-: المواساة من أخلاق المؤمنين.

- وقال أبو الأعرج- رضي الله عنه- لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم- رضي الله عنه- أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التّواصي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه مماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفعا.

- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: كنّا نسّمّي جعفرا أبا المساكين، كان يذهب إلى بيته، فإذا لم يجد لنا شيئا، أخرج لنا عكّة أثرها عسل، فنشقّها ونلعقها .

- وقال الذهبي: قيل: كانت لأبي برزة الأسلمي جفنة من ثريد غدوة، وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين.

- وعن أبي حمزة الثّمالي- رضي الله عنه- قال: إنّ عليّ بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتّبع به المساكين في الظّلمة، ويقول: إنّ الصّدقة في سواد الليل تطفيء غضب الرّبّ.

¹ (معنى الحديث أنه وجد به لطخامن طيب له لون فسأل عنه فأخبره أنه تزوج وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

² (مهم: أي ما شأنك وما حالك؟

³ (البخاري. الفتح 7 (3781).

⁴ (البخاري- الفتح 11 (6480) من حديث حذيفة، و(6481) من حديث أبي سعيد، ومسلم (1562) واللفظ له.

4 « بالليل
- وعن عمرو بن ثابت- رضي الله عنه- قال: لما مات عليّ بن الحسين وجدوا بظهره أثرا ممّا كان ينقل الجرب » إلى منازل الأرامل.

- وعن محمّد بن إسحاق- رضي الله عنه- قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات عليّ بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل.
ومن جملة فوائد المواساة :

- تورث حبّ الله- عزّ وجلّ- ثمّ حبّ الخلق.
- دليل حبّ الخير للآخرين.
- تشيع روح الأخوة بين المسلمين.
- تقويّ العلاقات بين المسلمين.
- تساعد على قضاء حاجات المحتاجين وسدّ عوز المعوزين.
- تدخل السّرور على المسلم وترفع من معنوياته فيقبل على الحياة مسرورا.
- المواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة.
- المواساة من أحبّ الأعمال إلى الله- عزّ وجلّ-.
- المواساة تدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنتشر المحبة.
- المواساة تدفع الغيظ وتذهب الغلّ وتميت الأحقاد.

بحث في المواساة

عن يعقوب بن شيبه ، قال : أطل عيد من الأعياد رجلاً يومئ إلى أنه من أهل عصره وعنده مائة دينار، لا يملك سواها. فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له : قد أظننا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما ينفقه.

فجعل المائة دينار في صرة، وختمها، وأنفذها إليه فلم تلبث الصرة عند الرجل إلا يسيراً حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، وذكر إضافته في العيد، ويستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجه بالصرة إليه بختمها.

وبقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له، وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرة بخاتمها.

فلما عادت إليه صرته التي أنفذها بحالها، ركب إليه، ومعه الصرة، وقال له: ما شأن هذه الصرة التي أنفذتها إلي.

فقال له : إنه أظننا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فكتبت إلى فلان أخينا، أستدعي منه، ما ننفقه، فأنفذ إلي هذه الصرة، فلما وردت رقعتك علي، أنفذتها إليك. فقال له : قم بنا إليه فركبا جميعاً إلى الثاني، ومعهما الصرة، فتفاوضوا الحديث، ثم فتحوها، فافتسموها أثلاثاً.

قال أبو الحسن : قال لي أبي : والثلاثة : يعقوب بن شيبه، و أبو حسان الزياتي القاضي، و أنسيت أنا الثالث. (1)

ونقل عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي والآخر نبطي فكنا في الصداقة كنفس واحدة ففالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطع قلبي عليهم رحمة لأنهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا في عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتفال فيما نصرفه في كسوتهم قال فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بشيء فوجه إليّ كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب إليّ صديقي الآخر يشكو إلى مثل ما شكوته إلى الهاشمي فوجهت إليه بالكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأنا مستح من امرأتي فلما دخلت عليها لم تعفني لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك إذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال أصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك فاعلمته بالخبر فقال إنك وجهت به إليّ ولا أملك إلا ما بعثت به إليك وكتبت إلى صديقتنا أسأله المواساة فوجه إليّ كيس بختمه فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي أثلاثا ونما الخبر إلى المأمون فاحضرني وسألني عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا (1).

المواساة من أخلاق المؤمنين

حدث إبراهيم بن بشار ، قال : أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة ، وليس معنا شيء نفطر عليه ولانا حيلة ، فرآني مغتما حزينا ، فقال : يا إبراهيم بن بشار ، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة ، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة ، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين ، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة ، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة ، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك ، نحن والله والملوك الأغنياء ، نحن الذين قد

(1) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة ، طيب المذاق من ثمرات الأوراق ، تحقيق : أبو عمار السخاوي ، دار الفتح - الشارقة - 1997م ، 215/1

تعجلوا الراحة في الدنيا ، لانبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا ، إذا أطعنا الله . ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي ، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا ، وقال : كلوا يرحمكم الله . قال ابن بشار : فسلم ، فقال : كل يا مغموم . فدخل سائل فقال : أطعمونا شيئا ، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعها إليه ، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين ، وقال : المواساة من أخلاق المؤمنين . (1)

عيسى بن طلحة : يا أبا عبد الله ما أعددتك للصراع ولا للسباق

ثم إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال عروة لبعض بنيه اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها ففعل فقال له عيسى إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبا عبد الله ما أعددتك للصراع ولا للسباق ولقد أبقي الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد عن رجلي مثلك (2)

الوليد بن عبد الملك : اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه

وقدم على الوليد بن عبد الملك رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسأله عن سبب ذلك فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا مولودا وبعيرا ضعيفا فند البعير والصبي معي فوضعتهم واتبعت البعير فما جاوزت ابني قليلا إلا ورأس الذئب في بطنه فتركته واتبعت البعير فرمحتني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد بن عبد الملك اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه (3)

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، 1

(2) الأصفاني ، الأغاني ، 17 / 244

(1) الأصفاني ، الأغاني ، 17 / 246

سعيد بن المسيب لم يزد على كلمة (لا)

ومن مواقف سعيد بن المسيب الشهيرة في ذلك قصة تزويج ابنته وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان تقدم لخطبتها لأبنة الوليد حين ولاء العهد ويذكر المؤرخون أنه أرسل موكبا كبيرا على رأسه مندوب خاص نزل المسجد ووقف على حلقة سعيد فأبلغه سلام أمير المؤمنين وأنه قدم يخطب إليه ابنته لأبنة الوليد ولي العهد وانتظر الناس أن يستبشر سعيد بهذا التشريف الذي ناله ولكنه لم يزد على كلمة (لا) وكان لسعيد تلميذ متين الدين والخلق يدعى عبد الله بن أبي وداعة افتقده أياما فلما عاد إليه قال له سعيد : أين كنت فقال توفيت زوجتي فانشغلت بها قال سعيد فهلا أخبرتنا فشهدناها ثم أراد التلميذ أن يقوم فقال سعيد هل أحدثت امرأة غيرها قال يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال سعيد إن أنا فعلت تفعل؟ قال نعم فأمر بالشهود وكتابة العقد قال ابن أبي وداعة : فقامت وما أدري ما أصنع من الفرح وصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وأستدين؟ وصليت المغرب . وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بالباب يقرع فقلت من هذا فقال سعيد ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد فقامت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب وظننت أنه بدا له فقلت يا أبا محمد هلا أرسلت إلي فأتيتك قال لا أنت أحق أن تزار قلت فما تأمرني قال رأيته رجلا عزبا قد تزوجت فكرهت أن تبين الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت زوجني سعيد بن المسيب ابنته وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام فأقامت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب

الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج.(1)

حسن الظن بالله

من واجبات الإيمان وكمال التوحيد أن يحسن العبد المؤمن الظن بالله رب العالمين، وحسن الظن بالله مبني على العلم بالله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته العلى . العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة التوكل عليه ؟... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ... [الطلاق:3]. فإذا حصل للعبد العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله . وقد ينشأ حسن الظن بالله من مشاهدة العبد لأفعال الله جل وعلا وآثار صفاته، وكل ما كان القلب مدركاً لحقائق معاني أسماء الله وصفاته كان حسن الظن بالله هو الثمرة لتلك المعرفة .

وقد قال الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم : «لا يموتن أحدكم ، إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»(2) وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -يقول :«قال - الله تبارك وتعالى - : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء»(3) عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «إن الله - جل وعلا - يقول : أنا عند ظن عبدي بي : إن ظن خيراً فله ، وإن ظن شراً فله»(4) وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :«إن الله تعالى يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر»(1)

¹ (ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 376/2

² (متفق عليه ، البخاري (6143) باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، مسلم (2686) باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه .

³ (ابن حبان (632) تعليق الألباني " صحيح " ، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح" .

⁴ (ابن حبان (638) تعليق الألباني " صحيح " ، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح على شرط مسلم" .

و عن أنس رضي الله عنه : أن النبي - ﷺ - دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : «كيف تجدك؟». قال : والله يا رسول الله! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»⁽²⁾

وليس من الإيمان في شيء سوء الظن بالله سبحانه، وخاصة من أصحاب الذنوب والكبائر، فعيب على أحدنا أن ييأس من روح ورحمة الله، ويصرّ على الكبائر، ملبّساً عليه شيطانه ونفسه والهوى أنه بهتك ستره لن يغفر له ربّه، وإذا زجرته أو نصحته أظهر لك يأسه وقنوطه من رحمة الرحيم، ورب العالمين يغفر الذنوب جميعاً، إنّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء: 48]، إن الذي فرض

علينا ترك المنكرات فرض علينا الاستغفار إذا وقعنا فيها: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء: 110]. يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرم؟! إن الإنسان بفطرته وطبيعته يحدث منه النسيان والخطأ، وإن العصمة من الخطأ ليست في مقدورنا، إنما الذي في مقدور الجميع أن يجدد العقد مع الله، وأن يصلح ما أفسد وفرط في جنب الله، وليعلم المؤمن أن رحمة الله سبقت غضبه، إنه رحيم بعباده، فارحموا - أيها الناس - أنفسكم، ارحموها بالتوبة، ارحموها برحمة عباد الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

¹ (المعجم الأوسط (7951) ، تعليق الألباني "صحيح" ، صحيح الجامع (1905) ، الصحيحة (1663) .

² (الترمذي (983) ، واللفظ له ، ابن ماجه (5261) باب ذكر الموت والاستعداد ، تعليق الألباني "حسن" .

أيا رب عفواً عن ظلوم لنفسه رجاك وإن كان العفاف به أولى
سألتك يا مولى الموالى ضراعة وقد يضرع العبد الذليل إلى
المولى
لتصلح لي قلباً وتغفر زلةً وتقبل لي توباً وتسمع لي قولاً
ولا عجب فيما تمنيت إنني طويل الأمانى عند من يحسن
الطولا

يا أهل التوحيد، أخلصوا أعمالكم لله، وأحسنوا ظنكم بربكم،
واعلموا أن اليوم عمل وغداً جزاء، ومن زرع حصد، ومن
جد وجد، من أراد أن يعامله الله معاملة الرحمة والغفران
فليرحم عباد الله، ويغفر لهم أخطاءهم ولا يقسو عليهم، ومن
لم يقرع أبواب التوبة وظلم العباد وأهلك الضرع والزرع
وأفسد في الأرض وأصر على ذنبه ولعب بدين ربه ثم يرجو
رحمته لا شك أن هذا متلاعب مستهزئ بالله ودينه.
خافوا ذنوبكم، وارجوا رحمة ربكم، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور: 31]، قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا [الزمر: 53].
تُبْ وَتُبْ وادع ذا الجلال بصدق تجد الله للدعاء سميعاً
لا تخف مع رجاء ربك ذنباً إنه يغفر الذنوب جميعاً

جاء في الحديث أن امرأة في بعض المغازي في يوم صائف
شديد الحر بصرت بصبي، فأقبلت تشتد، وأقبل أصحابها
خلفها، حتى أخذت الصبي وألصقته إلى صدرها، ثم ألقت
ظهرها على البطحاء، وجعلته على بطنها تقيه الحر، وقالت:
ابني ابني، فبكى الناس وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله
حتى وقف عليهم، فأخبروه الخبر، فسُرَّ برحمتهم، ثم بشرهم
فقال: ((أعجبتم من رحمة هذه لابنها؟)) قالوا: نعم، قال:
((فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها))،
فتفرَّق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة.
يا من يرى مدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقتها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول

ومن المواقف

حسن الظن بالله

حدث الحسن بن عبد الرحمن : أن وزير الملك نفاه الملك
لموجده وجدها عليه فاغتم لذلك غماً شديداً فبينما هو ذات
ليلة في بيت له إذ أنشده رجل كان معه:
أحسن الظن برَبِّ عَوْدِكَ ... حسناً بالأمس وسَوَى أَوْدِكَ
إن ربّاً كان يكفيك الذي ... كان بالأمس سيكفيك غَدَكَ
هذا حرام فهل عملت غيره ؟!

- وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله حجبت في بعض السنين
فرأيت النبي ﷺ (في المنام فقال إذا رجعت إلى بغداد فأقري
بهرام المجوسي مني السلام وقل له الله تعالى راض عنك فلما
رجعت إليه قلت هل لك من خير عند الله قال زوجت ابني ببنتي
وصنعت وليمة فقلت هذا حرام فهل عملت غيره قل تزوجت
أنا ببنتي وصنعت وليمة فقلت له هذا حرام فهل عملت غيره
قال جاءتني مسلمة وأصبحت مصباحاً من سراجي فلما
صارت في الباب أطفأته ثم رجعت أشعلته أيضاً ثم أطفأته في
الباب وهكذا ثلاث مرات في الرابعة أشعلته ومضت فتبعها
إلى منزلها وقلت لعلها جاسوسة فسمعت أولادها يقولون قد
أضرنا الجوع فقالت استحييت من الله أن أطلب من غيره
فرجعت وأخذت طعاماً وحملته إليهم فقلت له أبشر فإن النبي
ﷺ (يقرنك السلام ويقول أن الله راض عنك فأسلم وحسن
إسلامه⁽¹⁾).

¹ (عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب
النفائس ، تحقيق : عبد الرحيم مارديني ، دار النشر : دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق

خير الناس وشر الناس ! :

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة، فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون؟: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس! فقال الحسن: كلا، لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستون سنة، وخمس نجائب لا يدركن- يعني الصلوات الخمس- فيزعم بعض التميمية أن الفرزدق رني في النوم، فقليل له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي. فقليل له: بأي شيء فقال: بالكلمة التي نازعني فيها الحسن. (1)

ورجائي لك الغداة عظيم

ومن أخبار الحجاج بن يوسف أنه لما حضرته الوفاة وأيقن بالموت قال أسندوني وأذن للناس فدخلوا عليه فذكرت الموت وكربه واللحد ووحشته والدنيا وزوالها والآخرة وأهوالها وكثرة ذنوبه وأنشأ يقول

إن ذنبي وزن السماوات والأرض ** وظني بخالقي أن يحابي

فلئن من بالرضا فهو ظني ** ولئن مر بالكتاب عذابي

لم يكن ذاك منه ظلما وهل يظلم رب يرجى لحسن المآب

ثم بكى وبكى جلساؤه ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى الوليد بن

عبد الملك بن مروان أما بعد فقد كنت أرعى غنمك أحوطها

حياطة الناصح الشفيق برعية مولاه فجاء الأسد فبطش

بالراعي ومزق المرعي كل ممزق وقد نزل بمولاك ما نزل

بأيوب الصابر وأرجو أن يكون الجبار أراد بعبد غفرانا

لخطاياهم وتكفيرا لما حمل من ذنوبه ثم كتب في آخر الكتاب

إذا ما لقيت الله عني راضيا ** فإن شفاء النفس فيما هنالك

فحسبي بقاء الله من كل ميت ** وحسبي حياة الله من كل

هالك

(1) محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : 285هـ) ، الكامل في اللغة والأدب ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر : دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1997 م

لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا ** ونحن نذوق الموت من
بعد ذلك
فإن مت فاذكرني بذكر محبب ** فقد كان جما في رضاك
مسالكي
وإلا ففي دبر الصلاة بدعوة ** يلقي بها المسجون في نار
مالك

عليك سلام الله حيا وميتا ** ومن بعد ما تحيا عتيقا لمالك
ثم دخل عليه أبو المنذر يعلى بن مخلد المجاشعي وقال : كيف
ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته ؟ فقال : يا
يعلى غما شديدا وجهدا جهيدا وألما مضيضا ونزعا جريضا
وسفرا طويلا وزادا قليلا فويلي ويلى إن لم يرحمني الجبار
!فقال له : يا حجاج إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء
أولى الرحمة والرافة والتحنن والتعطف على عباده وخلقه
أشهد أنك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك وترك ملتك
وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة وآثار الصالحين قتلت
صالحي الناس فأفنيتهم وأبرت عترة التابعين فتبرتهم وأطعت
المخلوق في معصية الخالق وهرقت الدماء وضربت الأبخار
وهتكت الأستار وسست سياسة متكبر جبار لا الدين أبقيت ولا
الدنيا أدركت أعزرت بني مروان وأذلت نفسك وعمرت
دورهم وأخربت دارك فاليوم لا ينجونك ولا يغيثونك إذ لم يكن
لك في هذا اليوم ولا لما بعده نظر لقد كنت لهذه الأمة اهتماما
واغتماما وعناء وبلاء فالحمد لله الذي أراحها بموتك
وأعطاها مناها بخزيك ، قال : فكأنما قطع لسانه عنه فلم يحر
جوابا وتنفس الصعداء وخنقته العبرة ثم رفع رأسه فنظر إليه
وأنشأ يقول :

رب إن العباد قد أيأسوني ** ورجائي لك الغداة عظيم (1)

¹ (أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ، الأمالي في لغة العرب ، 175-174/3

التواضع لغة : مصدر تواضع أي أظهر الضعة، وهو مأخوذ من مادة (و ض ع) التي تدلّ على الخفض للشيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها. والوضائع قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع الرجل الدنيّ، والدابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع .

واصطلاحا : إظهار التّزلّ عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرّسالة القشيريّة: التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم (1) وهناك فرق بين التّواضع والمهانة (أو الدّلّ) أنّ التّواضع يتولّد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبّته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتهما، فيتولّد من ذلك كلّ خلق هو التّواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الدّلّ والرّحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقّا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنّما يعطيه الله عزّ وجلّ من يحبّه ويكرّمه ويقرّبه . وأمّا المهانة (الدّلّ) فهي الدّناءة والخسة وبذل النّفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السّفّل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كلّ حظّ لمن يرجو نيل حظّه منه فهذا كلّ ضعة لا تواضع والله سبحانه يحبّ التّواضع ويبغض الضّعة والمهانة .

وقد قال الله عزّ وجلّ : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [الرحمن :

[63]

وقد قال الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : «ما من آدمي إلا في رأسه حكمه بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك : ضع حكمته(1)

¹ (مدارج السالكين (6/ 134). وفتح الباري (11/ 341)، دليل الفالحين لابن علان (3/ 50)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أحبوا المساكين
فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في
دعائه : «اللهم ! أحييني مسكينا وأمّتي مسكينا (2) واحشُرني
في زمرة المساكين» (3)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - : «ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله
عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». (4)

وقال المسيح- عليه السلام- : طوبى للمتواضعين في الدنيا،
هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس
في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة.
وقال أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- وجدنا الكرم في
التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع.
عن عائشة- رضي الله عنها- قالت :
«تغفلون أفضل العبادة :
التواضع .

وعن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه أنه قال له سلمان-
رضي الله عنه- : «يا جرير تواضع لله. فإن من تواضع لله في
الدنيا رفعه الله يوم القيامة.

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال : «من تواضع
لله تخشعا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظما وضعه
الله يوم القيامة.

وسئل الحسن البصري عن التواضع
فقال : «التواضع أن
تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا.

¹ (المعجم الكبير (12939) ، تعليق الألباني "حسن" ، صحيح الجامع (5675) ، الصحيحة (538) .

² (مسكينا : هذه المسكنة ليست التي يرجع معناها إلى القلة ، وإنما سأل المسكنة التي يرجع
معناها إلى الإخبات والتواضع .

³ (الترمذي (2352) باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، ابن ماجه
(4126) باب مجالسة الفقراء ، واللفظ له ، تعليق الألباني "صحيح".

⁴ (رواه مسلم والترمذي وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : 5809 في صحيح الجامع .

و سئل الفضيل بن عياض- رحمه الله عن التواضع؟ فقال: «يخضع للحقّ، وينقاد له ويقبله ممّن قاله، ولو سمعه من صبيّ قبله، ولو سمعه من أجهل النّاس قبله. وقال عروة بن الورد: «التّواضع أحد مصايد الشّرف، وكلّ نعمة محسود عليها صاحبها إلّا التّواضع.

ومن فوائد التواضع جملة :

- التّواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة ربّ العالمين.
- وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنّته.
- وهو السّبيل إلى القرب من الله ومن ثمّ القرب من النّاس.
- التّواضع عنوان سعادة العبد في الدارين.
- يحبّ الله المتواضعين ويكلّوهم برعايته ويحيطهم بعنايته.
- المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفرع الأكبر.
- وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق.
- التّواضع يؤدّي إلى حصول النّصر والبركة في المال والعمر.

ومن المواقف :

كنّا أدلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام

وخرج عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- إلى الشّام ومعه أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فحاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرّني أنّ أهل البلد استشفروك. فقال عمر: أوّه (1)، لو يقلّ ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمّد صلى الله عليه وسلّم إنّنا كنّا أدلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزّنا الله به أدلّنا الله (2)

¹ (أوّه: كلمة توجع وتضجر.

² (الحاكم في المستدرک (1/ 62) وصححه ووافقه الذهبي.

فوضعي الله حيث يترفع الناس

وعن عمرو بن شيبة؛ قال: «كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس. قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل جاف حاسر طويل الشعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟. فقلت له: شبّهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل. فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يترفع الناس.

هذا والله الملك الهنيء

ولما ورد المرزبان على عمر رضي الله عنه فأورد باب دار وقرع بابه فقيل: إنه قد خرج آنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفاً، فاستحقر المرزبان أمره إلى أن انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسجد، فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال: هذا والله الملك الهنيء، لا يحتاج إلى حراس ولا إلى عدد!

أتدري من هذه ويحك؟

ومن التواضع المأثور ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج ويده على المعلى، فلقيته امرأة من قریش فقال له: يا عمر، فوقف لها فقالت: كنا نعرفك مرة عميراً ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا ابن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال لها المعلى: إيها إليك يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر: أتدري من هذه ويحك؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر أخرى بأن يسمع قولها ويقتدي به.

إن كان إلا شيطاناً أذهب الله بك

وأقبل رجل يمشي مرخياً يديه، طارحاً رجله يتبختر، فقال له عمر رضي الله عنه: دع هذه المشية فقال: ما أطيق، فجلده فترك التبختر؛ فقال عمر: إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد؟

فجاءه الرجل بعد ذلك فقال : جزاك الله خيراً إن كان إلا شيطاناً
أذهب الله بك.

ميل المأمون إلى التواضع

قال : ونظر يوماً إلى رؤوس آنيته محشوةً بقطنٍ وكانت قبل
ذلك بأطباق فضةٍ، فقال لصاحب الشراب : أحسنت يا بني إنما
يباهي بالذهب والفضة من قلا عنده، وأما نحن فينبغي أن
نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإياك أن تحشو
رؤوس أوانيكَ إلا بالقطن فذاك بالملوك أهياً وأبهى.

أما تعرفني ؟

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي
صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخلاء فقال : يا أبا عبد
الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله ؟ فقال المهلب
: أما تعرفني ؟ فقال : بل أعرفك ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك
جيفة قدرة ، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة (1).

ولما شبت صرت مرئياً

ودخل عليه رجل، فقال له: " ما حاجتك؟ " ، قال: " زيارتك " فقال: " أما
أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت
لتزار؟. من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟. لا والله
" . ثم أقبل يوبخ نفسه " كنت في الشبيبة فاسقاً، ولما شبت صرت مرئياً " .

ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون

قال ثابت البناني دخلت على داود الطائي فقال لي ما حاجتك قلت زيارتك قال
ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب
بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت في زمن الشباب فاسقاً ثم
تبت فصرت مرئياً والله إن المرئي لشر من الفاسق ويقال كان الناس يراؤن
بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا
يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون (2).

¹ (أدب الدنيا والدين ، 291/1

(2) الوطواط ، غرر الخصائص الواضحة ، 1 / 23

احتيج إلي؟ !

وعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم النخعي قال

شيء فجعل يتعجب يقول: احتيج إلي؟ ! احتيج إلي؟ !

ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري؟! (1)

وقال أبو حصين : أتيت إبراهيم النخعي أسأله عن شيء فقال :

ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري (2).

وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء

وعن ميمون بن أبي حمزة قال: قال لي إبراهيم النخعي : لقد

تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه

الكوفة لزمان سوء (3).

لخشيت المقت من الله

خرج أيوب السختياني في سفر فشيعة الناس، فقال : لولا أنني أعلم أن الله يعلم من قلبي لهذا كاره لخشيت المقت من الله.

(4)

عطاء بن رباح: قد خبت زمان يزار فيه مثلي:

كان رضي الله عنه إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه يصغي

إليه كأنه ما سمعه قط لنلا يخجل الرجل.

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المائتي آية أو أكثر وكان

إذا استأذن عليه أحد لا يفتح له، حتى يقول له: بأي نية جئت

إلي فإذا قال لزيارتك يقول ما مثلي من يزار ثم يقول: قد خبت

زمان يزار فيه مثلي.

وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك

المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل، وكان رضي الله

عنه مولى لأبي ميسرة الفهري، نشأ بمكة (5).

(1) أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 64/4

(2) أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 226/4

(3) أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 223/4

(4) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 1 / 207

(5) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، 36/1

ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟

دخل سيار أبو الحكم على مالك بن دينار في ثياب جواد، فقال له مالك : مثلك يلبس هذا اللباس؟ !فقال : ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟

قال: بل تضعك.فقال: هذا التواضع.

ثم قال : يا مالك، إني أخاف أن يكون ثوباك قد أنزلا بك من الناس ما لم ينزلا بك من الله.

إنما مالك حمار !

قال ابن شاذب : قسم أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع : قبلت جوائزهم؟قال : سل جلسائي.

قالوا: يا أبا بكر! اشترى بها رقيقا، فأعتقهم.

قال: أنشدك الله، أقتبك الساعة على ما كان عليه؟

قال: اللهم لا، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

يقولون:مالك زاهد!أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟

كان مالك بن دينار يقول :يقولون :مالك زاهد !أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أته الدنيا فاعرة فاها، فأعرض عنها.(1)

أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة.

ولما نظر مالك بن دينار إلى المهلب بن أبي صفرة يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه، ناداه أن ارفع من ثيابك .فقال له المهلب :أوما تعرفني؟ قال له مالك : بلى إني أعرفك، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة(2).

هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيِ أَرْبَابِهَا

قَالَ السَّرِيُّ بْنُ مَغْلَسٍ، " غَزَوْتُ رَاجِلًا فَنَزَلْنَا خَرِبَةً لِلرُّومِ، فَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ظَهْرِي، وَرَفَعْتُ رِجْلِي عَلَى جِدَارٍ، فَإِذَا

¹ (الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 37 / 335

² (الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1 / 25

هَاتِفْ يَهْتَفْ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ
يَدَيَّ أَرْبَابِهَا " (1)

كذا تجالس الملوك؟

قال سري السقطي: صليت وردي ليلة ومددت رجلي في
المحراب، فنوديت: يا سري كذا تجالس الملوك؟ قال: فضمت
إليّ رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً. (2)

الزهد وأحوال الزاهدين

قيل الزهد هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل
راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا
خلت منه يدك .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزّهد المشروع
الرّغبة فيما لا ينفع في الدّار الآخرة، وهو فضول المباح التي
لا يستعان بها على طاعة الله، كما أنّ الورع المشروع: هو
ترك ما قد يضرّ في الدّار الآخرة.

وهو ترك المحرّمات والشّبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما
فعله أرجح منها، كالواجبات، فأما ما ينفع في الدّار الآخرة،
فالزّهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: يا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (المائدة/ 87). كما أنّ الاشتغال

بفضول المباحات، هو ضدّ الزّهد المشروع، فإن اشتغل بها
عن فعل واجب أو فعل محرّم كان عاصياً، وإلا كان منقوصاً
عن درجة المقرّبين إلى درجة المقتصدين .

وقال ابن الجوزي: الزّهد: عبارة عن انصراف الرّغبة عن
الشّيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون
مرغوباً بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً
فيه، ولا مطلوباً في نفسه لم يسمّ زاهداً. كمن ترك التّراب لا

(1) الخطيب البغدادي ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، تحقيق د. عامر حسن صبري ، نشر
دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م ، ص 111
(2) بغية الطلب في تاريخ حلب ، 4 / 241

يسمى زاهدا وإنه ليس الزهد ترك المال وبذله على سبيل
السّخاء والقوة واستمالة القلوب فحسب، بل الزهد أن يترك
الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة .
وقال ابن القيم: إنّ الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه
في منازل الآخرة. وعلى هذا صنف المتقدّمون كتب الزهد،
كالزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهنّاد بن
السري، ولغيرهم.

ومتعلّقه سنّة أشياء لا يستحقّ العبد اسم الزهد حتّى يزهد
فيها: وهي المال، والصّور، والرّياسة، والنّاس، والنّفس،
وكلّ ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود-

عليهما السّلام- من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال
والملك والنساء مالهما. وكان نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم من
أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة، وكان عليّ بن أبي
طالب، وعبد الرّحمن بن عوف، والزّبير وعثمان- رضي الله
عنهم- من الزّهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير.

وقد قال المولى عز وجل : " " وَجَاؤُ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ

*قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا

فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاؤُ عَلَى

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ * وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا

وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرُّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ

وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (يوسف: 16- 20)

وقال تعالى : " فاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ

النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى *

وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى

(مكية)

وقال تعالى " وَلَقَدْ وَصَّانَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ *
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ *
 قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ *
 أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ
 السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا
 عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
 الْجَاهِلِينَ (القصص: 51-55)

وقال تعالى : " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (القصص: 83)
 وقال تعالى : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ
 وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 نَصِيبٍ (الشورى: 20)

وقد قال الحبيب محمد ﷺ عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن
 زيارة القبور، فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر
 الآخرة»(1)

وعن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه- قال: أتى النبي
 ﷺ عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، دلني على
 عمل، إذا أنا عملته، أحببني الله، وأحبني الناس فقال رسول الله
 ﷺ عليه وسلم: «ازهد في الدنيا، يحبك الله، وازهد فيما
 في أيدي الناس، يحبوك»(2)

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه كان يقول: الله الذي لا
 إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع.
 وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً
 على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسأله عن آية
 من كتاب الله، ما سأله إلا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي

¹ (ابن ماجه (1571) واللفظ له وفي الزوائد: إسناده حسن، وأصله عند مسلم (976، 977)، وذكره
 الحاكم في المستدرک (1/ 375)، ونحوه قبله عن أبي سعيد الخدري وصححه ووافقه الذهبي على رواية
 أبي سعيد.

² (ابن ماجه (4102) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه برقم (3310).

عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسّم حين رأي، وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثم قال: يا أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق، ومضى. فتبعته فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهواه لك فلان- أو فلانة- قال: أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصّفة (1) فادعهم لي.

قال: وأهل الصّفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصّفة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بدّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «يا أبا هرّ»، قلت: لبيك يا الله، قال: «خذ فأعطهم»، فأخذت القدح فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطي الرجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطي الرجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم فقال: «أبا هرّ»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت. فقال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول: «اشرب»، حتّى قلت: لا والذي بعثك بالحقّ، ما أجد له مسلّكاً، قال: «فأرني»، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمّى وشرب الفضلة (2)

رسول

¹ (أهل الصفة: هي سقيفة مظلة كانت تأوي إليها المساكين في المسجد النبوي.

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك(1)

وعن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

وعنه - رضي الله عنه - أنّه قال :«طوبى للزّاهدين في الدّنيا، والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتّخذوا أرض الله بساطاً وترابها فراشاً.

وماءها طيباً، والكتاب شعاراً، والدّعاء دثاراً، ورفضوا الدّنيا رفضاً.

(عن عروة بن الزّبير - رضي الله عنهما - قال : «ما كانت عائشة أمّ المؤمنين تستجدّ ثوباً حتّى ترقّع ثوبها وتنكّسه (2). قال : ولقد جاءها يوماً من عند معاوية ثمانون ألفاً، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها : فهلاًّ اشتريت لنا منه لحماً بدرهم؟. قالت:«لو ذكّرتني لفعلت(3)

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - الدّنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له.

¹ (البخاري- الفتح 11 (6416). قالوا في شرح هذا الحديث: معناه لا تتركّن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق.

(2) تنكسه: تلبسه منكساً أي ما كان داخلاً مستتراً منه يصبح من الظاهر، وما كان ظاهراً يصبح باطناً.

(3) الترمذي (1781) وهذه زيادة من كتاب رزين، وله شواهد في الصحيحين، وانظر الزهد لوكيع (1/ 337).

وعن الحسن- رضي الله عنه «:- ليس الزَّهْدُ في الدُّنْيَا بتحريم
الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك
بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها،
أرغب منك فيها لو لم تصبك.
وقال سفيان الثوري- رحمه الله «:- الزَّهْدُ في الدُّنْيَا قصر
الأمَل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.

ومن فوائد الزهد جملة :

- فيه تمام التَّوَكُّل على الله.
- يغرس في القلب القناعة.
- صرف المسلم عن التَّعَلُّق بالملذَّات الفانية إلى العمل من أجل
النَّعيم المقيم.
- فيه كبح جماح النَّفس إلى الشَّهوات.
- يُوَصِّل العَقَّة والنِّزَاهة في نفوس المؤمنين.
- يَعْلَم المسلم كيف يسدّد هدفه إلى الدَّار الآخرة.
- الزَّاهِد يحبُّه الله ويقرِّبه إليه.
- راحة في الدُّنْيَا وسعادة في الآخرة.
- حبّ النَّاس له حيث أنَّه لا يزاحمهم على دنياهم.
- فيه التَّأْسِّي برسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وصحابته
الكرام.
- الاطمئنان إلى جناب الله والرضى بما قسم.
- يُوَصِّل في النَّفس حبَّ الإنفاق في سبيل الله وعدم التَّعَلُّق
بالدُّنْيَا.
- يخرج نفسه من عبوديَّة الشَّيْطَان والدُّنْيَا والنَّفس.

ومن المواقف :

خذها، وأطعم الحلواء صبيانك

يروى: أنه كان لرجل على آخر دين مائة دينار، فطلب الرجل الوثيقة، فلم يجدها، فجاء إلى بنان ليدعو له، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك.

ففعل الرجل، وجاء، فقال بنان: افتح ورقة الحلواء. ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال: هي وثيقتي. قال: خذها، وأطعم الحلواء صبيانك.⁽¹⁾

أوصني!

قال: " بينا أنا أسير بين مكة والمدينة، وإذا شخص قد تراءى لي، فأمرت نحوه، فلما قربت منه سلمت عليه، وقلت له: " أوصني! " فقال: " يا بنان! إن كان الله قد أعطاك من سر سره سراً، فكن مع ما أعطاك؛ وإن كان الله لم يعطك من سر سره سراً فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر " .

أليس حبيبك معك؟!

وقال: " دخلت البرية - على طريق تبوك - وحدي، فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان! نقضت العهد! لم تستوحش؟! أليس حبيبك معك؟! " .⁽²⁾

لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا

قال الوليد بن عقبة : كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفا فيعلقها بشريط ويفطر كل ليلة على رغيفين وملح وماء فأتي ليلة بفطره فجعل ينظر اليه ومولاة له تنظر اليه فقامت فجاءته بشيء من تمر فأفطر ثم قام فصلى حتى أصبح ثم أصبح صائماً فلما جاء وقت الافطار اخذ الرغيفين وجعل ينظر اليهما قال الوليد بن عقبة فحدثني جار له قال سمعته يعاتب نفسه ويقول اشتهيت

¹ (سير أعلام النبلاء ، 14 / 489)

² (تاريخ بغداد ، 7 / 101)

البارحة تمرا قد اطعمتك واشتهيت الليلة تمرا لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا فما ذاقه حتى مات .

فكان في اعتزالي اكثر العافية

قال القاسم بن معن : لما اعتزل داود الطائي أتيته فقلت يا أبا سليمان تركت اخوانك ومجالسة من يذكرك العلم فسكت طويلا ثم قال رحمك الله اني رأيت قلوبا لاهية وألسنة مؤتلفة وهمما مختلفة واهواء متبعة ودنيا مؤثرة فكان في اعتزالي اكثر العافية .

لقد هان الخلق على داود

عن حبان بن علي قال احتاج الحسن بن قحطبة ان يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه ان يأتيه وحده فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها اني احتجت الى لقاء داود فكن معي فأتياه فدخلا وسلمما عليه ورد السلام عليهما فلما عرف ابن قحطبة تقبض وجعل لا ينظر اليهما فابتدأ الحسن فسأله عن المسألة فلم يجبه ولم يكلمه فأعاد عليه فأعرض بوجهه عنه فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده فقال له يا أبا سليمان يجيئك ابن عم لك يسألك من مسألة من امر دينه فلا تجيبه فنظر اليه نظرة منكرة ثم قال { فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا

يتساءلون) فقام الشيخ مبادرا فأصاب ابن قحطبة ينتظره فأخبره فقال ابن قحطبة لقد هان الخلق على داود طوبى له ثم ذهب .

وهي تريد الجنة غداً

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق، فرأى الرطب، فاشتتهه نفسه، فجاء إلى البائع فقال: " أعطني بدرهم إلى الغد " . فقال له: " اذهب إلى عمك " فرآه بعض من يعرفه، فأخرج له صرة فيها مائة درهم، وقال له: " اذهب فان أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك " . فلحقه البائع، وقال له: " ارجع خذ حاجتك " فقال: لا حاجة لي فيه. أنا جربت هذه النفس، فلم أرها تسوى في هذه الدنيا درهماً، وهي تريد الجنة غداً " .

كان لنا عند الله مذخورا

عن حماد بن أبي حنيفة ان مولاة لداود الطائي كانت تخدمه فقالت له لو صنعت لك دسما قال وددت فطبخت له شحما وجاءت به فقال لها ما فعل أيتام بني فلان قالت على حالهم قال اذهبي به اليهم قالت فديتك إنك لم تأكل أدما منذ كذا وكذا قال إن هذا إذا أكلوه كان لنا عند الله مذخورا وإذا أكلته كان في الحش (1).

أقل من إتياني

قال نعيم بن يعقوب : سمعت سفيان بن عيينة يقول كنت ربما أتيت داود الطائي فإذا أتيته تبينت ثقل موضعي عليه وأراه يتململ فقال لي يوما يا سفيان أما لك شغل يا سفيان أقل من إتياني . (2)

وأنا أستحي من الله

ودخل عليه بعض أصحابه، فرأى جرة ماء، قد انبسطت عليها الشمس، فقال له: " ألا تحملها إلى الظل؟ " فقال: " حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشي لما فيه حظ نفسي " .

ادعه حتى أشتهيه

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس، فقال له: " كيف يشتهي هذا؟ " قال: " ادعه حتى أشتهيه " . (3)

تلك ضالة لا توجد

وأتاه الفضيل بن عياض يعوده فقال له أقلل من زيارتنا فإني خليت الناس فجاءه يوما ولم يفتح له الباب فقعد فضيل يبكي في الخارج وداود في الداخل فقال له دلني على رجل أجلس إليه قال تلك ضالة لا توجد . (4)

كنت أخاصم نفسي

وقال إسماعيل بن حسان: جئت إلى باب داود الطائي فسمعتة يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان قلت: سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً، قال: لا ولكن كنت أخاصم نفسي؛ اشتهدت البارحة تمرأ فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت اشتهدت جزراً، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تمرأ ولا جزراً حتى ألقاه.

(1) أخبار أبي حنيفة، 1 / 121.

(2) أخبار أبي حنيفة، 123

(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 34

(4) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية،

إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله ﷺ وبالأثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ فقل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقال: إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتني في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

فما أبقيت لآخرتي

قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقتت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دفاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا أكل إلا طيباً ولا ألبس إلا لينا، فما أبقيت لآخرتي قال: قلت له: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

إنما يفعل هذا بالصبيان

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فأنثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردّها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها. (1)

رأيت خيراً كثيراً

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة قال: رأيت خيراً كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه قال: صرت إلى خير الحمد لله، قال فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير.

هذا إن قبلك

لقي رجل داود الطائي فقال : من أين يا داود وإلى أين ؟ قال داود : استوحشت من الناس وأنست بالله تعالى ، فقال : يا داود ، هذا إن قبلك ، فصاح صيحة وخر مغشياً عليه ثم أفاق فقال : نبّهك الله إذ نبّهتني . (1)

ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة

أصاب داود الطائي ضيقة شديدة، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه، فقال داود: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبّلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحى، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة.(2)

أردت أن تخدعني ؟

وقال عطاء بن مسلم الحلبي: عاش داود عشرين سنة بثلاثمائة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: عم تكره التجارة؟ قال: لا، قال: فأعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً وقال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم فقال: هذه ربحها، فقال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً؟ ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخدعني؟ قال: فرمى بها عليه وقال: رد علي رأس مالي.

إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات

ودخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال داود: اللهم غفراً، كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله، اخرج عني، فقد شغلت قلبي، إنّي أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة. قال: يا أبا سليمان، أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار لا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة، فقال: اللهم غفراً، بل هناك ماء، فخرج يلتمس فإذا دن من هذه الأصص الذي ينقل فيه الطين وخزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة فغرف بها فإذا ماء حار كأنه قد غلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه وقال: يا أبا سليمان: مثل هذا الحر ؟ الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، وذن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة ؟ فقال داود: حب حيري وجرة مذارية وقلال منقشة، وجارية حسناء وأثاث وناض - يعني بالناض الدنانير

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 30/3 ، 46/8

(2) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 1 / 3 ، 124 ، 132 ، 185 ، 305 ، 487 ، 489

والدراهم 0 وفضول، لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ها هنا، إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة. فقال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟ قال إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي في الدنيا حتى يكون مولاي هو الذي يخرجني من الدنيا.⁽¹⁾

ما شعرت بذلك!!.

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي -رحمه الله تعالى- على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح، قال: ما شعرت بذلك!!.

لعل تركه أن يكون أنجى

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بألفي درهم وقال: هذا شيء جاء الله به لم تطلبه ولم تشره له نفسك. قال داود: إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك منه قال: لعل تركه أن يكون أنجى. (2)

ما يوقفك هنا؟

وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: «رأيت داود الطائي يوماً قائماً على شاطئ الفرات مبهوئاً؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى؟» (3)

ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي خلاف عند موت الشافعي، فتنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك. فجاء الحميدي، وكان بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه. فقال ابن عبد الحكم:

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 43

(2) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1 / 367، 388، 2 / 175

(3) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991، ص 91

كذبت.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث. وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه. (1)

وقد كان الشافعي عليه السلام أخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمداً:

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني ... فبرأت من نظري إليه

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقة إليه، وأنه يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك في علقته فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد وتناول لها، وكان جالسا عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهد وأورع، فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وآثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي رضي الله عنه إنتقل محمد ابن عبد الحكم مذهب، وفارق أصحابه ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضي الله عنه.

أنت تموت في الحديد

وما كان أبو يعقوب ليموت إلا في الحديد كيف وقد قال الربيع كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب فقال لي أنت تموت في الحديد وقال لأبي يعقوب أنت تموت في الحديد وقال للمزني هذا لو ناظره الشيطان لقطعه قال الربيع فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيتة مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغولة يداه إلى عنقه

هذا لساني

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي. وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضاً: ربما جاء رسول الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

لعل الله يخلصني بدعائهم

وقال أبو عمرو المستملي حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي إليه وإذا فيه والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم فإني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له .

انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضى الله عنه وجزاه عن صبره خيراً

اللهم إنك تعلم أنني قد أجبت داعيك فمنعوني

كان أبو يعقوب البويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أنني قد أجبت داعيك فمنعوني.⁽¹⁾

من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا

قال أبو الحسين بن سمعون قال لي الشبلي كنت باليمن وكان باب دار الإمارة رحبة عظيمة وفيها خلق كثير قيام ينظرون إلى منظره فإذا قد ظهر من المنظره شخص أخرج يده كالمسلم عليهم فسجدوا كلهم فلما كان بعد سنين كنت بالشام وإذا تلك اليد قد اشتريت لحماً بدرهم وحملته فقلت له أنت ذلك الرجل قال نعم من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا .

أجعل للصالح موضعا

وقال الشبلي كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وأميرهم جالس يعرضون عليه فاخرج جراب فيه لوز وسكر فأكلوا منه إلا الأمير فما كان يأكل فقلت له لم لا تأكل قال أنا صائم قلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم قال يا شيخ اجعل للصالح موضعا فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن (1) البالي فقلت أنت ذاك الرجل فقال ذاك الصوم بلغ بي إلى هذا (2).

فأجاب بثمانية عشر جوابا

وقال الشبلي كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقراء عشرين سنة وكان يتفقه لمالك وكان له يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوما صيحة تشوش ما حوله من الخلق وكان يجنب حلقة أبي عمران الأشيب فقال الأبي الفرج العكبري ما للناس قال حردوا من صيحتك وحرد أبو عمران وأهل حلقة فقام الشبلي وجاء إلى أبي عمران فلما رآه أبو عمران قام إليه وأجلسه إلى جنبه فأراد بعض أصحاب أبي عمران أن يرى الناس أن الشبلي جاهل فقال له يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دم الحيض بدم الإستحاضة كيف تصنع فأجاب بثمانية عشر جوابا فقام أبو عمران وقبل رأسه وقال يا أبا بكر أعرف منها اثني عشر وستة ما سمعت بها قط (3).

سألتك عن الرب الذي تعبده

- أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائدا فأقبل على الوزير فقال ما فعل ربك فقال الوزير : في السماء يقضي ويمضي فقال سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده يريد الخليفة المقتدر (4)

1 (الشن : الخلق من كل آنية صنعت من جلد

2 (تاريخ دمشق ، 66 / 52

3 (تاريخ دمشق ، 66 / 54

4 (حلية الأولياء ، 10 / 367

هو ذاك

- عن خير النساج قال كنا في المسجد فجاءنا الشبلي وهو سكران فنظرنا ولم يكلمنا فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهمت أن تغطي رأسها فقال لها الجنيد لا عليك ليس هو هناك قال فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول :

عودوني الوصال والوصل عذب ... ورموني بالصد والصد
صعب زعموا حين عاتبوا أن جرمي ... فرط حبي لهم وما
ذاك ذنب

لا وحسن الخضوع عند التلاقي ... ما جزى من يحب إلا يحب
ثم ولى الشبلي فضرب الجنيد رجله وقال هو ذاك وخر
مغشيا عليه .⁽¹⁾

أموات جاؤا إلى جنازة حي

قال أبو الحسن المالكي بطرسوس اعتل الشبلي علة شديدة فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد قال فرفع رأسه فقال لهم مالكم إيش القصة قال فقلت وكنت أجراهم عليه مالنا جننا إلى جنازتك فاستوى جالسا فقال الجوار الجوار أموات جاؤا إلى جنازة حي ثم قال لهم ويحكم أحسب أني قد مت فيكم من يقدر أن يحمل هيكلي .⁽²⁾

فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود

قال أحمد بن محمد النهاوندي مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا فجزت أمه شعرها عليه وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع فقبل له يا أستاذ ما حملك على هذا فقال جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود .⁽³⁾

¹ (حلية الأولياء ، 10/ 367)

² (حلية الأولياء ، 10/ 368)

³ (حلية الأولياء ، 10/ 370)

لهم تحت الثياب قبور

قال أبو نصر : سمعت أحمد يقول حضرت الشبلي وسئل عن قول بعضهم لا تغرنكم هذه القبور وهدوها فكم من فرح مسرور وداع بالويل والثبور فقال أيما هي القبور عندك قال قبور الأموات فقال لا بل أنتم القبور كل واحد منكم مدفون فالمعرض عن الله داع بالويل والثبور والمقبل على الله الفرح المسرور ثم أنشأ يقول :

قبور الورى تحت التراب وللهى ... رجال لهم تحت الثياب
قبور فقلت له يا سيدي ونعد في الموتى فقال :
يحبك قلبي ما حييت فإن أمت ... يحبك عظم في التراب رميم
(¹)

إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة

- جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد وكان في مسجده غائبا فسأل عنه فقيل له هو عند علي بن عيسى فقصد دار علي فاستأذن فقيل أبو بكر الشبلي يستأذنك فقال أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى اليوم أريك من الشبلي عجا فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد يا أبا بكر أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم أين هذا من العلم والشرع فقال له قول الله : " فطقق مسحاً بالسوق والأعناق " أين هذا من العلم فسكت أبو بكر بن مجاهد وقال لعلي كأي لم أقرأها قط وبلغني عن غيره أنهم عاتبوه في مثله فتلا هذه الآية : " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " وتلا إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منهم وأحرقه . (²)

¹ (حلية الأولياء ، 10 / 370)

² (حلية الأولياء ، 10 / 374)

من أسعد أصحابك بصحبتك ؟

قال أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب : سمعت بعض أصحاب الشبلي يقول رأيت الشبلي في المنام فقلت له يا أبا بكر من أسعد أصحابك بصحبتك فقال أعظمهم لحرمان الله وألهمهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضات الله وأعرفهم بنقصانه وأكثرهم تعظيماً لما عظم الله من حرمة عبادته قال الشيخ ذكر جماعة من أعلام العارفين أدركنا أيامهم انتشرت في العالم أحوالهم لا اعتصامهم بالشرع المتين فكانوا به عالمين وعاملين وبمعالي الأحوال عارفين قائمين وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين ذكرت عن كل واحد منهم نبذا مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة وأحوالهم الشديدة (1).

ما أعزك أحد إلا أذله الله!

ويروي انه قال: " كنت يوماً جالساً، فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل؟! فقاومني خاطري، وقال: بلا!، انك بخيل!. فقلت: مهما فتح على اليوم، لأدفعنه إلى أول فقير يلقاني!. قال: بينا أنا أتفكر، إذ دخل على صاحب لمؤنس الخادم، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك " ، فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير مكفوف، بين يدي مزين، يحلق رأسه، فتقدمت إليه، وناولته الصرة، فقال لي: أعطها للمزين " . فقلت: " أنها دنانير! " ، فقال: " أو ليس قد قلنا انك بخيل؟! " ، فناولتها للمزين: " من عادتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً " . قال: فرميتها في دجلة فقلت: " ما أعزك أحد إلا أذله الله! " .

فأيش كانت بضاعتك؟

ورؤى الشبلي في جامع المدينة قد كثر الناس عليه في الرواق الوسطاني، وهو يقول: " رحم الله عبدا، ورحم والديه دعا لرجل كانت له بضاعة، وقد فقدها؛ وهو يسأل الله ردها! " والناس صموت. فخرق الحلقة غلام حدث، وقال: " من هو صاحب البضاعة؟ " ، الشبلي: " أنا! " قال: " فأيش كانت بضاعتك؟ " ، قال: " الصبر، وقد فقدته! " فبكى الناس بكاءً عظيماً .

أمجنون أنت؟!

وقيل ضاق صدره يوماً ببغداد، فانحدر إلى البصرة، فلما ضاق صدره خرج لوقته، فلما قرب من دار الخليفة، إذا جار تغني بين يدي الخليفة:

أيا قادماً من سفرة الهجر، مرحباً ... أنا ذاك، لا أنساك، ما هب الصبا

قدمت على قلبي، كما قد تركته ... كئيباً حزيناً بالصباية متعباً فصاح صيحة، ووقعت مغشياً عليه، فقال الخليفة: (أحقوه واحملوه! " فحمل إليه، فقال له: " أمجنون أنت؟! " . قال: " يا أمير المؤمنين! كان من أمري كيت وكيت، فتحيرت في أمري " فبكى الخليفة لما رأى من حرقة.

ووجهك أن رأيت شفاء دائي

وآخر يوماً العصر، ونظر الشمس وقد نزلت للغروب، فقال: " الصلاة ياسادتي! " وقام فصلى، وانشأ يقول مداعباً وهو يضحك: " ما احسن من قال:

نسيت اليوم من عشقي صلاتي ... فلا ادري عشائي من غدائي

فذكرك سيدي أكلي وشربي.... ووجهك أن رأيت شفاء دائي⁽¹⁾

سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن!

قال بكير الدينوري " وجد الشبلى خفة - في يوم جمعة - من وجع كان به، فأمر بمضيه إلى الجامع، فراح إليه متكئاً، فلتقاه رجل مقبل من الرصتفة، فقال: " سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن! " . فصلينا ثم غدونا، فتناول شيئاً من الغداء، فلما كان الليل مات. فقبل لي: " في درب السقاين رجل يغسل الموتى " فدلوني عليه في السحر، فأتيته فدققت الباب خفيفاً فقلت: " سلام عليك " ، فقال: ، مات الشبلى؟ " ، قلت: " نعم! " فخرج إلى، فإذا به الشيخ، فقلت: " لا إله إلا الله! " فقال: " لا إله إلا الله، تعجبا مم؟ " قال: " قال لي الشبلى أمس - لما وجدناك - : " غداً يكون لي مع هذا شأن. بحق معبودك!، من أين لك أن الشبلى قد مات؟ " . قال: " يا ابله! فمن أين للشبلى أن يكون له معي اليوم شأن؟ " .⁽¹⁾

فاخرجه من البيت

- جاء رجل الى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال فقال ارجع الى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله فاخرجه من البيت

أي صبر اشد على الصابرين

- وقف رجل على الشبلى فقال أي صبر اشد على الصابرين قال الشبلى الصبر في الله تعالى فقال لا قال فالصبر لله فقال لا قال فالصبر مع الله تعالى فقال لا قال فأى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخه عظيمة ووقع .

بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟

- وقام إلى الشبلى رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟ فزقق زعقة ثم أنشد:
من لم يكن للوصال أهلاً ... فكل إحسانه ذنوب
- سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

فلاناً يعيب الباذنجان

وحكي أن الشبلي رأي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، فقل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه فأخاصمه.

وضيعة العمر وليس له بدل

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لها قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعة العمر وليس له بدل واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الرب وليس منه عوض.

وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب

مرض الشبلي فأرسل الخليفة إليه طبيباً فعالجه فإزداد مرضه فقال يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفائك في قطع عضو من أعضائي لفعلت فقال شفائي في قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلي كأن لم يكن به مرض فقال الخليفة ظننت أنني أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب...

انك لتحب الدنيا

- وقال له رجل: " انك لتحب الدنيا " ، فقال: " أين السائل عن الآخرة؟ " قال " ها أنا! " ، قال : اخبرني أيها السائل عنها، أبالطاعة تنال أم بالمعصية؟ " . قال: لا، بل بالطاعة " قال: " فاخبرني عن الطاعة، أبالحياة تنال، أم بالممات؟ " قال: " لا، بل بالحياة " قال: " فاخبرني عن الحياة، أبالقوت تنال، أم بغيره؟ " قال: " لا، بل بالقوت " قال: " فاخبرني عن القوت، أمن الدنيا هو، أم من الآخرة؟ " قال: " لا، بل من الدنيا " ، قال: " فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت، اكتسب به حياة، أدرك بها طاعة، أنال بها الآخرة؟! " . فقال الرجل: " اشهد ان ذلك معنى قول النبي ﷺ: " أن من البيان لسحرا " . (1)

ما تقول فينا أهل البيت

ودخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه فقال له العلوي : أيد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي فاه بالدر، ثم زاره من الغد، فقال يحيى بن معاذ: إن زرتنا فبفضلك وإن زرنك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً . (1)

أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب "

قال أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي : " بدء أمري في سياحتي حيث خرجت من الري، فوقع في قلبي شأن المونة، والنفقة، فتفكرت في نفسي، فإذا بهاتف يهتف في قلبي: أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب "

ألا قلت له مع من هجرهم فيه

قال أبو بكر بن طاهر : كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل و كان أكبر منه قال رجل مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق قال فذكر ذلك ليحيى فقال له يحيى ألا قلت له مع من هجرهم فيه .

فانظر ما همومك ياهشام

قال جعفر و كنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان وكان يأتيه هشام بن حسان وسعيد بن أبي عروبه وحوشب يطلبون قلوبهم فجاء هشام فقال أين أبو يحيى قلنا عند البقال قال قوموا بنا إليه قال فحانت منه نظرة إلى هشام فقال يا هشام إني أعطى هذا البقال كل شهر درهما ودانقين فأخذ منه كل شهر ستين رغيفا كل ليلة رغيفين فإذا أصبتهما سخنا فهو ادمهما يا هشام إني قرأت في زبور داود إلهي رأيت همومي وأنت من فوق العلى فانظر ما همومك ياهشام (2) .

وأخرجوا الدنيا من قلوبكم

عن مالك بن دينار قال إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من مفركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن

(1) وفيات الأعيان ، 6 / 167

(2) صفة الصفوة ، 3 / 284

تخرج منها أبدانكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم
ففى الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم إنما مثل الدنيا كالسم أكله من
لا يعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الحيه مسها لين وفي جوفها
السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوى إليها الصبيان
بأيديهم(1) .

إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة

قال جعفر قلنا لمالك بن دينار ألا تدعو قارئاً قال إن الثكلى
لا تحتاج إلى نائحة فقلنا له ألا تستسقى فقال أنتم تستبطنون
المطر لكنى أستبطن الحجارة (2).

لولا البول ما خرجت من المسجد

وسمعه يقول يا أخوتاه بحق أقول لكم لولا البول ما خرجت من
المسجد(3) .

أفر بديني من شاهق إلى شاهق .

قال سفيان بن عيينة : رأيت إبراهيم بن أدهم في جبال الشام ،
فقلت : يا إبراهيم تركت خراسان ؟ فقال : ما تهنأت بعيشي إلا
هنا ، أفر يديني من شاهق إلى شاهق (4).

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف

حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم ،
وأبو يوسف الغسولي ، وأبو عبد الله السنجاري نريد
الإسكندرية ، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن ، فقعدنا
نستريح ، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات ، فألقاها بين
أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى ، فقمت أسعى أتناول ماء
لإبراهيم ، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته
، فقال بكفيه في الماء فملاها ، ثم قال : (بسم الله) وشرب
الماء ، ثم قال : (الحمد لله) ، ثم ملأ كفيه من الماء وقال : (
بسم الله) وشرب ، ثم قال : (الحمد لله) ، ثم إنه خرج من

¹ (صفة الصفوة ، 285/3)

² (صفة الصفوة ، 285/3)

³ (صفة الصفوة ، 286/3)

(4) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، الكشكول ، 164/2

النهر فمد رجله ، ثم قال : يا أبا يوسف ، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيق العيش وقلة التعب ، فقلت : يا أبا إسحاق ، طلب القوم الراحة والنعيم ، فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم ، ثم قال : من أين لك هذا الكلام ؟ ! (1)

أما نحن فقد استوفينا أجورنا

فلما أكلنا قلت لرفيقيه : أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صلبته.

قال : نعم، كنا يوماً صياماً، فلما كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلما أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن تأتي الرّستن فنكري أنفسنا مع الحصادين قال : نعم، فأتينا باب الرّستن، فجاء رجل فاكثراني بدرهم فقلت : وصاحبي، قال : لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلاثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت حاجتي، (وتصدّقت بالباقي، فبهيّأته، وقدمته إليه، فلما نظر إليه بكى، قلت، ما يبكيك قال : أما نحن فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا قال : فغضبت، قال : ما يغضبك أضمن لي أنا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به (2).

لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت

قال ضمرة : سمعت إبراهيم بن ادهم قال : أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطيب الطعام، لأنّي لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون. قال رجل لإبراهيم بن ادهم : لو تزوّجت، فقال : لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت (3).

¹ (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، 1 /

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 48/10

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 48/10

صيرّ مالي وماله واحداً

دخل إبراهيم بن أدهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفاً، وقدمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنكم تاكلون في رهن. قال عصام بن داود بن الجراح: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظر إلى سرجي فقال، خذ ذاك السرج، فأخذه، فما داخني سرور قط مثله حين علمت أنه صيرّ مالي وماله واحداً.

ما إياك عنيت

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله قال: أن تقول للجبل تحرك فيتحرك، قال: فتحرك الجبل، فقال: ما إياك عنيت. (1)

ليس إياك أردت

قال عيسى بن حازم النيسابوري: كنا مع إبراهيم بن أدهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أن مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرك أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إياك أردت (2).

وقال هلك أصحاب الاثقال

قال عبد الملك بن قريب حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال وقع حريق في بيت مالك بن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقل له يا أبا يحيى البيت فقال ما فيه إلا السندانة ما أبالي أن يحترق قال الدورقي وذكر عبد الله بن المبارك قال وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائة وقال هلك أصحاب الاثقال (3).

فإنّا مملوكان لأبيك

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسألما عليه وقالوا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالوا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان،

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 50/10

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 50/10

(3) صفة الصفوة، 281/3

فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي(1).

مالي فيها حاجة

قال خلف بن تميم، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : يجيئني الرجل بالدنانير فأقول : مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول : مالي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أنّي لا أنفسمهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأنّي دابة من الأرض، أو كأنّي آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول(2).

من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره

قال خلف بن تميم : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : من تعود أفخاذ النساء لم يفلح . يحيى بن آدم: سمعت شريكاً يقول : سألت إبراهيم بن أدهم عما كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، فبكي، فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسه فقال، من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

وعن إبراهيم قال : حبّ لقاء الناس من حبّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا(3).

اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري

قال إبراهيم بن بشّار : أوصانا إبراهيم بن أدهم : اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري، ولا تخلّفوا عن الجمعة والجماعة(4).

هكذا كلاب بلخ!

وقال ابراهيم لشقيق : " علام اصلتم اصولكم؟ " فقال : " اذا رزقنا أكلنا، واذا منعنا صبرنا " . فقال ابراهيم : " هكذا كلاب بلخ ! اذا رزقت أكلت، واذا منعت صبرت . أنا أصلنا أصولنا على

1 (الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 55/10

2 (الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 56/10

3 (الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 57/10

4 (الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 58/10

انا اذا رزقنا آثرنا، واذا منعنا حمدنا وشكرنا " . فقام شقيق،
وقعد بين يديه وقال: " انت استاذنا! " (1).

مات وكفن في الملاءتين

عن إبراهيم بن أدهم قال حدثني رفيقة قال خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس فنفذ زادنا في الطريق فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر حتى خشنت حلوقنا وبلغ منا الجهد فقلت ندخل القرية عسى نطلب عملا فاذا في القرية نهر فتوضأ وصف قدميه فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطا قد سقط أجره بأربعة دراهم فقلت قد تقبلت عملا فجعل يعمل عمل الرجال وأعمل عملا ضعيفا فجأونا بغداء فغسلت يدي أبادر الطعام فقال لي هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار فقلت لا قال فاصبر حتى تأخذ كراك وتشتري قال فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع فأتينا قرية من قرى حمص فاذا ساقية ماء فتوضأ للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال من بعث فقلت صاحب المنزل قال ما اسمه قلت فلان بن فلان فأكل وأكلت ثم أتينا عمق إنطاكية وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين درهما فقلت آخذ نصف هذه وأرجع ما بي قوة على صحبتته فقلت إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس قال ما أنت لي مصاحبا فدخل إنطاكية واشترى ملاءتين من تلك الدراهم فقال إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان بن فلان وادفع إليه الملاءتين ودفع إلى بقية الدراهم وبقي ليس معه شئ فدفعت الملاءتين إلى الرجل فقال من بعث بها قلت إبراهيم بن أدهم فقال ومن إبراهيم بن الأدهم فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حينما فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي مات وكفن في الملاءتين (2) .

¹ (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، 1 / 1

(2) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 374/7

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد
يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع
فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلّي
ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس
ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده . (1)

مخافة أن أكون كأجير السوء

قال محمد بن إسحاق الشمشاطي سمعت ذا النون يقول بينما أنا
أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كانت مجنونة وعليها
جبة من صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت أسألك
مسألة قلت سليني قالت أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء
قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت
المسارعة إلى طاعة المولى قالت فإذا سارعت إلى طاعة
المولى تحب منه خيرا قلت نعم للواحد عشرة قالت مر بإبطال
هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى ان
يطلع إلى قلبك وأنت لا تريد منه شيئا بشيء ويحك يا ذا النون
إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة
فاستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب
الأجر ولكن أعمل تعطيما لهيبته وعز جلاله قال ثم مرت
وتركتني . (2)

حب ربك سبحانه واشتق إليه

قال ذو النون بينما أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت
لي من أين أنت قلت رجل غريب فقالت لي ويحك وهل يوجد مع
الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء قال
فبكيت فقالت لي ما يبكيك قلت وقع الدواء على داء قد قرح
فأسرع لي نجاحه قالت فإن كنت صادقا فلم بكيت قلت والصادق
لا يبكي قالت لا قلت ولم قالت لأن البكاء راحة للقلب وملجأ
يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير فإذا
أسبلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء

¹ (أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 7 / 374

(2 حلية الأولياء ، 9 / 340

قال فبقيت متعجبا من كلامها فقالت لي مالك قلت تعجبت من هذا الكلام قالت وقد نسيت القرحة التي سألت عنها قلت لا ما أنا بالمستغني عن طلب الزوائد قالت صدقت حب ربك سبحانه واشتق إليه فإن له يوما يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيبهم من محبته كأسا لا يظماون بعده أبدا قال ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحدا يسعفني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت . (1)

ألا إن الله عز وجل شفّعهم في كل من حج

قال شقيق بن إبراهيم: بينا أنا ذات ليلة نائم حيال الكعبة في المسجد الحرام إذ رأيت في منامي ملكين أتياني فوقفا علي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام؟ قال له صاحبه: حج ثلاثة: فلان وفلان، وفلان يقال له شقيق. قال: لا، شقيق عليه فضل ثوب. قال: فلما كان قابل حججت في عباء، فبينما أنا راقد في المسجد الحرام رأيتهما في منامي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام فقال: ثلاثة فلان وفلان و شقيق، ألا إن الله عز وجل شفّعهم في كل من حج.

قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمنين

قال محمد بن أحمد الشمشاطي سمعت ذا النون المصري يقول بينا أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها يا من هو عند ألسن الناطقين يا من هو عند قلوب الذاكرين يا من هو عند فكرة الحامدين يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمنين قال ثم صرخت صرخة خرت مغشيا عليها.

واطلب دواءك ممن ابتلاك

وقال ذو النون دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءني اليل فقامت بين زروعها فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها ففركتها وبكت وهي تقول يا من بذره حبا يابساً في أرضه ولم يك شيئا أنت الذي صيرته حشيشا ثم أنبته

عودا قائما بتكوينك وجعلت فيه حبا متراكبا ودورته فكونته
وأنت على كل شيء قدير وقالت عجبت لمن هذه مشيئته كيف
لا يطاع وعجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكي فدنوت منها فقلت
من يشكو أمل المؤمنين فقالت لي أنت يا ذا النون إذا اعتلت
فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك واطلب دواءك ممن ابتلاك
وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة الباطلين ثم أنشأت تقول
وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في أي المحليين تنزل

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب وكان من خيار عباد الله
رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى
فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال سبحان الله
ما أعظم شأنكما بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما فلما
تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح
:

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا ... قد وجدت لي سكنا ليس هو
في هواه عنا إن بعدت قربني أو قربت منه دنا
أنشد العباس بن أحمد لذي النون المصري :
إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حطت لترضي ... بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلهي ... إليك معرضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا يا ذا المعالي (1)
قد كان لي قلب فقدته

قال أحمد بن عيسى الوشاء سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم
يقول سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول بينما أنا
أسير ذات ليلة ظلماء في جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتا
حزينا وبكاء جهيرا وهو يقول يا وحشته بعد أنسنا يا غربتاه
عن وطننا وافقراه بعد غنانا واذلاه بعد عزنا فتبعت الصوت
حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه

فإذا رجل ناحل كالشن المحترق فقلت يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام فقال دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأ يقول :
قد كان لي قلب أعيش به ... بين الهوى فرماه الحب فاحترقا
فقلت له :

لم تستكي ألم البلاء ... وأنت تنتحل المحبة
إن المحب هو الصبو ... ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو ... ر مع الشفاء لكل كربه (1)

كم تقول: عزلتي أنسي

قال الجنيد: قال لي الحارث: كم تقول: عزلتي أنسي، لو أن
نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت لهم أنسا، ولو أن النصف
الآخر نأوا عني، ما استوحشت.

ورؤية الشهوات

قال سمعت الجنيد بن محمد يقول كان الحارث المحاسبي يجيء
إلى منزلنا ويقول أخرج معنا نصر فأقول له تخرجني من
عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية
الشهوات فيقول أخرج معي ولا خوف عليك فأخرج معه فكأن
الطريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئا نكرهه فإذا حصلت في
المكان الذي يجلس فيه قال لي سلني فأقول له ما عندي سؤال
أسألك فيقول لي سلني عما يقع في نفسك فتنثال على السؤالات
فأسأله عنه فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها
كتبا .

ما استوحشت لبعدهم

قال وسمعت الجنيد يقول كنت كثيرا أقول للحارث عزلتي أنسي
تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات فيقول لي كم أنسي
وعزلتي لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا
ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم . (2)

كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟

قال إسماعيل بن إسحاق السراج : قال لي أحمد بن حنبل يوما
يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو

¹ (حلية الأولياء ، 9/ 345

² (تاريخ بغداد ، 8/ 213

أحضرتة منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فاسمع كلامه
فقلت السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من
أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة
فقلت وتسلي أصحابك أن يحضروا معك فقال يا إسماعيل فيهم
كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت
ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر
بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ
وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم
يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهو سكوت لا ينطق
واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل
الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن
على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعم وهو في
كلامه فصعدت الغرفة لأتعرّف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى
حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى
أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير
الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله فقال ما أعلم اني
رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام
هذا الرجل وعلى ما وصفت من أحوالهم فاني لا أرى لك
صحبته ثم قام وخرج . (1)

ما أسرع الناس إلى البدع

قال سعيد بن عمرو البرذعي شهدت أبا زرعة وسئل عن
الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل إياك وهذه الكتب هذه
كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه
الكتب قيل له في هذه الكتب عبرة قال من لم يكن له في كتاب
الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس
وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه
الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم
خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد

الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ثم قال ما أسرع
الناس إلى البدع. (1)

فتبسم ثم مات

قال جعفر بن أخي أبي ثور حضرت وفاة الحارث يعني
المحاسبي فقال إن رأيت ما أحب تبسمت اليكم وإن رأيت غير
ذلك تبينتم في وجهي قال فتبسم ثم مات. (2)

اغرب من بين يدي فلا أراك

عن مالك بن دينار أنه كان يقول إن الله عز وجل إذا أحب
عبدا انتقصه دنياه وكف عنه ضيعته ويقول لا تبرح من بين
يدي قال فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل وإذا أبغض عبدا دفع
في نحره شيئا من الدنيا ويقول اغرب من بين يدي فلا أراك
بين يدي فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا (3).

لبادرتكم إليه

عن مالك بن دينار قال والله لو وقف ملك بباب المسجد وقال
يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه (4).

هذا والله الكسب الحلال

قال رياح بن عمرو القيسي سمعت مالك بن دينار يقول دخل
على جابر بن زيد وأنا أكتب فقال يا مالك مالك عمل إلا هذا
تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة هذا والله الكسب
الحلال.

جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفى بالمرء
خيانة أن يكون أمينا للخونة وكفى بالمرء شرا أن لا يكون
صالحا ويقع في الصالحين (5).

سواء علي أكلت من رطبكم أو لم أكل

ويقال إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ما صح له
أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه

¹ (تاريخ بغداد ، 8 / 214)

² (تاريخ بغداد ، 8 / 215)

³ (صفة الصفوة ، 3 / 281)

⁴ (صفة الصفوة ، 3 / 282)

⁵ (صفة الصفوة ، 3 / 282)

وكان إذا انقضى أوان الرطب يقول يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء سواء علي أكلت من رطبكم أو لم أكل (1).

هذا كان جليساك، أفلا نصحتك؟:

كان يجلس مع سفيان الثوري رجل ضريير، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطي، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا فقال: يا أبا عبد الله تقول لي هذا وأنا جليس لك؟ قال: يقال لي يوم القيامة: هذا كان جليساك، أفلا نصحتك؟ (2).

كيف طرحت الدرهم في الطين؟

عن مالك بن دينار أنه حضر رجلاً يبني داراً، وهو يعطي الأجراء الدراهم، فمد يده فأعطاه درهماً، فطرحه في الطين، فتعجب الرجل وقال: كيف طرحت الدرهم في الطين؟ فقال مالك: أعجب منه أنك طرحت كل دراهمك في الطين، يعني ضيعتها في البلاء. (3)

ما أحرمك ما تريد إن لا لكرامتك علي

كان مالك بن دينار يمر بالسوق فيرى ما يشتهي فيقول: يا نفس اصبري، ما أحرمك ما تريد إن لا لكرامتك علي.

إن نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة

وقال له جار له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: إن نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة، رغيف أبيض ولبن في زجاج، فأثاه به فجعل ينظر إليه ثم يقول: دافعت شهوتي عمري كله، حتى إذا لم يبق من عمري إلا مثل ظمء الحمار أخذها؟ انظروا يتيم آل فلان فادفعوه إليه، ومات بشهوته. (4)

¹ (أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418 هـ - 1998 م ،

3201/1

² (ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 42/1

³ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 51/ 1

⁴ (ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 156 / 1

ما الذي أنصب العباد وأضناهم

سأل رجل ذا النون فقال رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم ؟ فقال ذكر المقام وقلة الزاد وخوف الحساب . ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم قال وسمعت ذا النون يقول قال الحسن ما أخاف عليكم منع الإجابة إنما أخاف عليكم منع الدعاء . (1)

العلم نور لصاحبه

قال إسرائفيل سمعت ذا النون يقول كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك فكتب إليه العالم أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني فكتب إليه الرجل العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء فكتب إليه العالم أبليت إليه في طلبه جدة الشباب وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل .

فاعذرنى واتهم نفسك

سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون قلبي لك مقفل فإن فتح لك أجبتك وإن لم يفتح لك فاعذرنى واتهم نفسك . (2)

أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري سمعت ذا النون يقول يا خراساني إحذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قلت وكيف ذلك قال لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه ثم قال تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب ثم قال علامة تعلق قلوبهم بالعطايا

طلبهم منه العطايا ومن علامة تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به ثم قال ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال مع الله ثم قال أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد . (1)

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء

قال محمد أبو الحسن الأنصاري سمعت يوسف بن الحسن يقول قال ذو النون المصري يوما وأتاه رجل فقال له أوصني فقال بم أوصيك إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي لك وإن يكن غير ذلك فن ينفعك النداء . (2)

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا

قال محمد بن أحمد سمعت ذا النون يقول بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبرا فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا ويا من قصد إليه الزاهدون فوجدوه حبيبا ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعا مجيبا ثم أنشأ يقول: وله خصائص مصطفىين لحبه ... اختارهم في سالف الأزمان اختارهم من قبل فطرة خلقه ... فهم ودائع حكمة وبيان ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت (3)

أصبحت من الدنيا على فناء

قال سعيد بن الحكم سمعت ذا النون يقول دخلت على متعبدة فقلت لها كيف أصبحت قالت أصبحت من الدنيا على فناء مبادرة للجهاز متأهبة لهول يوم الجواز أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شكرها أقر بضعفي عن إحصائها وشكرها قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام .

1 (حلية الأولياء ، 9/ 351)

2 (حلية الأولياء ، 9/ 354)

3 (حلية الأولياء ، 9/ 354)

كالهارب من السبع

قال وسمعت ذا النون يقول بينا أنا أسير في بلاد الشام إذا أنا
بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلي استتر بين تلك
الأشجار ثم قال أعود بك سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى
العارفين وحبیب التوابين ومعین الصادقين وغاية أمل المحبين
ثم صاح واغماه من طول البكاء واكرباه من طول المكث في
الدنيا ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع
إليه فلا شيء ألد عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته ثم مضى
وهو يقول قدوس قدوس قدوس فناديته أيها العابد قف لي
فوقف لي وهو يقول اقطع عن قلبي كل علاقة واجعل شغله بك
دون خلقك فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله لي فقال خفف
الله عنك مؤن نصب السير إليه وذلك على رضاه حتى لا يكون
بينك وبينه علاقة ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع .
(1)

صوت حزين كئيب موجه القلب

قال سعيد بن الحكم سمعت ذا النون يقول بينا أنا أسير في
بعض سياحتي فإذا أنا بصوت حزين كئيب موجه القلب أسمع
الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول سبحان مفني الدهور
سبحان مخرب الدنيا سبحان مميت القلوب سبحان باعث من
في القبور فاتبعت الصوت فإذا أنا بنقب وإذا الصوت خارج من
النقب وهو يقول سبحان من لا يسع الخلق إلا سره سبحانك ما
ألطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك سبحانك ما أحلمك عمن
عصاك وخالف أمرك ثم قال سيدي بحلمك نطقت وبفضلك
تكلمت وما أنا والكلام بين يديه بما لا يستأهله قدري فيا إله من
مضى قبلي ويا إله من يكون بعدي بالصالحين فألحقتني
ولأعمالهم فوفقتني ثم قال أين الزهاد والعباد أين الذين شدوا
مطاياهم إلى منازل معروفة وأعمال موصوفة نزل بهم الزمان
فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل الذي حل بهم

ثم أقبل على ما كان فيه فقلت رجل غرقت نفسه عن كلام
الناس فانصرفت وتركته باكيا . (1)

يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر

قال محمد بن يزيد سمعت ذا النون يقول خرجت حاجا الى بيت الله
الحرام فبينما أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا
هو يبكي وهو يقول في بكائه كتمت بلأني من غيرك وبحت
بسري إليك واشتغلت بك عن سواك عجبت لمن عرفك كيف
يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول :
ذوقتني طيب الوصال فزدتني ... شوقا إليك مخامر الحسرات
ثم أقبل على نفسه فقال أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما
استحييت وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال عزيزي مالي
إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة قرّة
عيني له ثم أنشأ يقول :

روعت قلبي بالفراق فلم أجد ... شيئا أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا ... وأطال ما قد كنت منه مودعا
قال فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا فلما أحس تحلل بخمار
كان عليه ثم قال يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فاني
حرام فعلمت أنها امرأة فقلت يا أمة الله مم يحوى الهموم قلب
المحب فقالت إذا كانت للتذكار محاورة وللشوق محاضرة ياذا
النون أما علمت أن الشوق يوري السقام وتجديد التذكار يورث
الأحزان ثم أنشأت تقول:

لم أذق طعم وصلك حتى ... زال عني محبتي للأنام
ثم أنشأت تقول :

نعم المحب إذا تزايد مصله ... وعلت محبته بعقب وصال
فقالت أوجعني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه (2)

¹ (حلية الأولياء ، 9/ 359

² (حلية الأولياء ، 9/ 375

واشغل هواك بحور عين

حدثنا احمد بن إسحاق ثنا احمد بن الحسين الأنصاري ثنا ابو عصمة قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملئ عليه شيئاً قال فمرت امرأة ذات جمال وخلق قال فجعل الفتى يسارق النظر إليها قال ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأ يقول :
دع المصوغات من ماء وطين ... واشغل هواك بحور عين (1)

وتضييعي قلباً لأقتني مثله أبداً

- كتب الوليد بن عتبة الدمشقي الى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بي خلال موجعات أبكاني منهن أربع حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرئاسة وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله وأقلقتني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول العظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدنتي بالله أجهل وأضناني منها أني عدت خير خصال الايمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبتني للدنيا وتضييعي قلباً لأقتني مثله أبداً . (2)

ذو النون والمريض

دخل ذو النون على مريض يعوده فرأى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا ولا صدق من رأى حبه لربه، عز وجل. (3)

لأن البكاء راحة للقلب

قال : ذو النون المصري : خرجت يوماً من وادي كنعان ، فلما علوت الوادي إذا بسواد مقبل علي وهو يقول : وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي . فلما قرب مني السواد إذا بامرأة عليها جبة وبيدها ركوة ، فقالت لي : من أنت ؟ غير فزعة مني ، فقلت رجل غريب ، فقالت : يا هذا وهل توجد مع

¹ (حلية الأولياء ، 9 / 375)

² (حلية الأولياء ، 9 / 376)

³ (السراج القارئ ، مصارع العشاق ، 1 / 90)

الله غربة ؟ قال : فبكيت من قولها ، فقالت : ما الذي أبكاك ؟
قلت : وقع الدواء على داء قد قرح ، فأسرع في نجاحه قالت :
فإن كنت صادقاً فلم بكيت ؟ قلت : يرحمك الله الصادق لا يبكي ،
قالت : لا ، قلت : ولم ذاك ؟ قالت : لأن البكاء راحة للقلب ،
قال ذو النون : فبقيت والله متعجباً من قولها انتهى.(1)

يا راقدا والجليل يحفظه

قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت
بشاطء البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى
شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقامت لأنظر فإذا بضفدع قد
خرج من الماء وأتاه

فحملة على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون
فاترزت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب
صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة فوجدت
تحتها غلاماً نائماً من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال
فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر
الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت
منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه ... من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ... يأتيك منه فوائد النعم
ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك
على أنني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورمىناه
في البحر ولبس ذلك الغلام مسحاً وساح إلى أن مات رحمه الله
تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم
إذا لم يسالك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعي من سموم
العقارب

فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ... وخرب فأر قبل ذا سد
مأرب

¹ (الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، الكشكول ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية - الطبعة : الأولى ، بيروت / لبنان - 1418 هـ - 1998 م / 2 ، 64)

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز .. عليه من التضييع في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه
بالعجائب (1)

والمحبيب لا يدرى ما حاله!

ولقيه سكران، فجعل يقبله ويقول: " يا سيدي! " ولا يدفعه
بشر عن نفسه، فلما ولى تغرغرت عينا بشر، وجعل يقول: "
رجل أحب رجلا على خير توهمه! لعل المحب قد نجا،
والمحبيب لا يدرى ما حاله! " . (2)

أليس كنت تبغضهم؟!

قال أبو عبد الله المحاملي، حدثني أبي قال: كان عندنا رجل من
التجار صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، ثم رأيت بعد
ذلك يصحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: " أليس كنت
تبغضهم؟! " فقال: " ليس الأمر على ما كنت أتوهم " . فقلت
له: " كيف؟ " . قال: " صليت يوماً الجمعة، فرأيت بشراً
مسرعاً خارجاً من المسجد، فقلت في نفسي: لأنظرن إلى هذا
الزاهد!. فاشتري خبز الماء بدرهم، ثم شواء بمثله؛ فزادني
غيظاً. ثم ثم قالوا ذجاً بدرهم؛ فتبعته فخرج إلى الصحراء، وأنا
أقول: " يريد الخضرة والماء! " . فما زال يمشى إلى العصر
وأنا خافه، فدخل مسجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقيه.
فقلت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: " أين بشر؟ "
. قال: " ذهب إلى بغداد " . قلت: " كم بيني وبينها؟ " . قال:
" أربعون فرسخاً " . فقلت: " أنا لله! " فقال: " اجلس حتى
يرجع " . فجاء الجمعة القابلة، ومعه شئ يطعمه للمريض،
فلما فرغ قال له: " يا أبا نصر! هذا الرجل صحك من بغداد،
وهو عندي منذ جمعة " . قال فنظر إلى كالمغضب، وقال: " لم
صحبته؟! " قلت: " أخطأت! " قال: " قم فامش! " .
فمشيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: " اذهب إلى

¹ (شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي، المستطرف في كل فن مستظرف،، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 308 / 1، 255 / 2)

محلّتك ولا تعد! " فتبت إلى الله مما كنت أعتقده فيهم، ثم آثرت صحبتهم، وأنا على ذلك " . (1)

أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد

وقال بعضهم: " دخلت على بشر في يوم شديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلت له: " الناس يزدون من الثياب في مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت؟! " فقال: " ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد " . (2)

لو الهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!

وقال منصور الصياد: " مر بي بشر - وهو منصرف من صلاة العيد - فقال لي: " في هذا الوقت؟! " فقلت: " ليس في البيت دقيق ولا خبز! " فقال: " الله المستعان! احمل شبكتك وتعال إلى الخندق " . وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: " ألقيها، وقل: بسم الله! " فألقيتها، فوقعت فيها سمكة كبيرة، فقال: " بعها! " فبعتها بعشرة دراهم، واشترت منها جميع ما يحتاجونه إليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: " من؟ " قلت: " منصور الصياد! " فقال: " ادفع الباب، وضع ما معك في الدهليز، وادخل أنت " فدخلت، فقال " لو الهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة! " . (3)

ذهب عنك اسم الحافى

وروى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدقه، فقيل: " من؟ " قال: " بشر الحافى " فقال: بنية من داخل الدار: " لو اشتريت نعلا بدانقين ذهب عنك اسم الحافى " . (4)

دخلت دار بشر

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل، فقالت: " إني امرأة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من

¹ (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 17

² (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 17

³ (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 17

⁴ (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 18

الليل، فهل على في ذلك شيء؟. فقال: " يجب أن تبيني! " ثم انصرفت، فقال أحمد لأبنه: " اذهب فانظر أين تدخل! " . فرجع فقال: " دخلت دار بشر " . (1)

فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت

وقال محمد بن نعيم: " دخلت علي بشر في علقته، فقلت: " عطني! " . فقال: " إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت " . (2)

الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور . (3)

أنت تعلم أنني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم

قال عباس بن دهقان قلت لبشر بن الحارث أحب أن أخلو معك قال إذا شئت فبكرت يوماً فرأيت أنه قد دخل قبة فصلى أربع ركعات فسمعته يقول في سجوده اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنني لا أؤثر على حبك شيئاً فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء فلما سمعني قال أنت تعلم أنني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم . (4)

الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا

أدخل أحمد بن حنبل الكبير فخرج ذهباً أحمر وآل علي فبلغ ذلك أحمد فقال الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا . (5)

¹ (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 18

² (ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ص 19

³ (وفيات الأعيان ، 1 / 468

⁴ (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، العلو للعلي الغفار ، تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود ، مكتبة أضواء السلف - الرياض ، الطبعة الأولى ، 1995 ، ص 172

⁵ (حلية الأولياء ، 8 / 336.

المحدثون كثير

قال الحسن بن سعيد كنا يوما عند بشر بن الحارث فجاء رجل من خراسان فبرك قدامه فقال له يا أبا نصر أنا وفد خراسان حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان فلم يزل يتذلل له وبشر يقول له المحدثون كثير فلم يزل يداريه ويجتهد به فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له يا أبا نصر أليس تروي عن عيسى عليه السلام أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له كيف قلت أعد علي فأعاد عليه القول من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعم .
(1)

فابشر يا أبا نصر

قال احمد بن محمد بن غزوان بكرت أنا وأخي في غداة باردة جدا الى بشر فالفينا على بابيه معه خليل الخياط ثم قام يمشي أمامنا وعليه فرو خلق وخف قصير فوق عقبه فقام ليخرج الى السوق وعليه إزار لطيف جدا فما مر بواحد أو أكثر إلا رفع صوته وقال السلام عليكم فلما خرج الى السوق وقف على رجل دقاق فسأله عن سعر الدقيق بالأمس فقال ناقص فابشر يا أبا نصر فحمد الله وأخذ .

أشتهي أن أمرض بلا عواد

ومما سمعت من كلامه أن بشرا أرجف الناس بموته بباب الطاق في يوم مطير فجئت في المطر والطين حتى بلغت بابيه فاذا على بابيه ثلاثة نفر شيخ منهم يقول إنما جئنا نعودك يا أبا نصر فقال لهم وهو يبكي لا حاجة لي في عيادتكم

أذهبوا عني فقد آذيتُموني وهو يبكي وقال قال فضيل أشتي أن
أمرض بلا عواد
(¹)

ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبذ

قال محمد بن يوسف الجوهري سألت بشر بن الحارث عن النبذ
فقال قد ضاق

على الماء فكيف أتكلم في النبذ(²)

وأنت قلت ولم تعمل

قال محمد بن اسحاق أمام سلامة قلت لبشر بن الحارث إني أحب
أن اسلك طريق

إبراهيم بن ادهم قال لا تقوى قلت ولم ذاك قال لأن إبراهيم عمل
ولم يقل وأنت
قلت ولم تعمل(³)

تغتم لي حية وميتة

- قال محمد بن الهيثم كنت أدخل على أخت بشر في صغري

فأعطتني يوما كبة من

غزل فقالت بع هذه الكبة واشتر خبزاً وسمكا ففعلت فدخل بشر
والخبز والسمك موضوع فقال بشر ما هذا الطعام قالت رأيت

أمي وأمك في المنام فقالت إن أردت فرحي وإدخالك السرور علي

فبيعي من غزلك واشتري خبزاً وسمكا فإن أخاك بشر يشتريها

قالت فلما ذكرت أمي وأمه بكى وقال رحمها الله تغتم لي حية وميتة

فقال بشر إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة ما كان الله عز و

جل يراني أن أرجع في شئ تركته لله . وكان غزل أخته فيما ذكر

أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه

وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولأه بغداد ونحن على السطح

فنغزل في ضوءها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه فقال لها

¹ (حلية الأولياء ، 8 / 338.

² (حلية الأولياء ، 8 / 340.

³ (حلية الأولياء ، 8 / 348.

من أنت قالت أخت بشر فقال آه يا آل بشر لا عدمتكم لا أزال أسمع
الورع الصافي من قبلكم . (1)

ما أقبح بمثلي

قال عمر بن موسى سمعت بشر بن الحارث يقول لقد شهرني ربي
في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ما أقبح بمثلي يظن في ظن
وأنا على خلافه إنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يظن بي أني أكره
الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أني مريب لأي شيء أكره
الموت . (2)

إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه

وقال رجل رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل
ينظر فقلت يا أبا نصر لعنك تشتهي من هذا شيئاً قال لا ولكن نظرت
في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه . (3)

ينبغي أن أستحيي من الله

وعن أبي بكر المروزي قال سمعت بعض القطانين يقول أهدى إلي
أستاذي رطباً وكان بشر يقيّل في دكاننا في الصيف فقال له أستاذي
يا أبا نصر هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل قال فجعل يمسه
بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال ينبغي أن أستحيي من الله إنني
عند الناس تارك لهذا وآكله في السر (4)

- حكى عن بشر أنه قال ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو قال
فأستلها أقول إنما يفعل هذا من له عنده وجه

اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت

وعن الفتح بن شحرف قال كنت جالسا عند بشر إذ جاءه رجل
فسأله عن مسألة فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه
فقال اللهم

1 (حلية الأولياء ، 8 / 353)

2 (صفة الصفوة ، 2 / 326)

3 (صفة الصفوة ، 2 / 326)

4 (صفة الصفوة ، 2 / 327)

إنك تعلم أنني أخاف أن أتكلم اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن أسكت
اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام .

تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت دخل بشر علي ليلة من
الليالي فوضع إحدى رجله داخل الدار والأخرى خارج الدار وبقي
كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له في ماذا تفكرت طول
الليلة قال تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر
المجوسي ونفسي وإسمي بشر فقلت مالذي سبق منك حتى خصك
فتفكرت في تفضله علي وحمدته علي أن جعلني من خاصته
وألبسني لباس أحبائه .

إليك عني تأكلين قوتي

وقال بشر كان لي سنور فكنت إذا وضعت طعامي بين يدي جاءت
فعيناها في عيني فأكل وأرمي لها قال فقلت إليك عني تأكلين قوتي
(¹) .

هكذا ندفع الدنيا

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال رأيت بشرا ومعه رجل فتقدم
إلى بئر ليشرب منها ف جذب به بشر وقال تشرب من البئر الأخرى حتى
جاوز ثلاثة آبار فقال له الرجل أبا نصر أنا عطشان فقال له بشر
أسكت فهكذا ندفع الدنيا . (²)

أنين المريض هل هو شكوى

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا
أبا عبد الله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما
طفىء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل
السراج من غزل القمر فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق
فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو
شكوى فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء
إلى الله تعالى، ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما
سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها؛ قال

¹ (صفة الصفوة ، 2 / 328)

² (صفة الصفوة ، 2 / 333)

عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

من ههنا أتيت

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشترى بهما قطناً فأغزلته وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنتم ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوءه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله تعالى، فقال أبي: تخرجين الدانقين ثم تبقيين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه؛ قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يا بني سؤالها لا يتحمل التأويل، فمن هذه المرأة فقلت هي مخة أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت.

وقال بشر الحافي: تعلمت الزهد من اختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع.⁽¹⁾

فخشيت على نفسي شيطانيه

وقفت جارية لم ير أحسن وجهاً منها على بشر الحافي فسألته عن باب حرب، فدلها، ثم وقف عليه غلام حسن الوجه فسأله عن باب حرب، فأطرق رأسه، فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه، فقيل له: يا أبا نصر جاءتك جارية فسألتك فأجبته، وجاءك هذا الغلام فسألك فلم تكلمه؟ فقال: نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي شيطانية.

إن كنت حراً فاصنع ما شئت

يروى أن بشراً الحافي مر على بيت فسمع فيه صوت الدفوف، والمزامير، والغناء! ففرع الباب، فخرجت إليه امرأة، قال لها: من صاحب هذا البيت؟ قالت: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعلم أعبد هو أم حر؟ قالت: لا بل هو حر، قال لها: أخبريه بأن بشراً الحافي يقول

لك: إن كنت حراً فاصنع ما شئت, وإن كنت عبداً فلا تتصرف إلا بإذن سيدك.

فضحكت المرأة وذهبت للرجل, وقالت: في الباب رجل مخبول! يقول: كذا وكذا, قال: كلا والله! هذا هو عين العقل, صدق, أنا عبد ولست حراً, أنا عبد لله عز وجل, وما عندي من مال ومتاع, لا يجوز لي أن أتصرف فيه إلا بإذن سيدي وهو الله تعالى, فتأبى إلى الله تعالى, وكسر مزاميره, وطنابيره, وأقلع عما كان يفعله.

بنس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

- ولما سئل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون, فإذا انسلخ رمضان تركوا, قال: بنس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

لا يؤاخذك الله على هذا

- عن محمد بن نصر الخزاعي الصائغ قال: سمعت بشر بن الحارث الحافي وقد ضحك عنده رجل فقال: احذر يا ابن الأخ لا يؤاخذك الله على هذا.

من أين تأكل ؟

وقيل لبشر الحافي : من أين تأكل ؟ قال من حيث تأكلون , ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك .

فهو ماء بشر الحافي

ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا أندعوا لك طبيباً فقال إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لأخته ادفعي إليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقاً في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء إن كان ماء

نصراني فهو راهب قد فتنت كبدته العبادة وإن كان مسلماً فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحده أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي

هتف لي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة . (1)

فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغَتْ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ ؟

قَالَ سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، : " غَزَوْنَا أَرْضَ الرُّومِ فَمَرَرْتُ بِرَوْضَةٍ خَضِرَةٍ فِيهَا الْخُبَّازُ، وَحَجَرٌ مَنْقُورٌ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَئِنْ كُنْتُ أَكُلُ يَوْمًا حَلَالًا فَالْيَوْمَ فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي، وَجَعَلْتُ أَكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْخُبَّازِ، وَأَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغَتْ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ ؟ "

مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَنَا فِي الْإِسْتِغْفَارِ

قَالَ السَّرِيُّ : مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَنَا فِي الْإِسْتِغْفَارِ مِنْ قَوْلِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَرَّةً. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: وَقَعَ بِبَغْدَادِ حَرِيقٌ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: نَجَا حَانُوتُكَ. فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَمِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَنَا نَادِمٌ عَلَى مَا قُلْتُ، حَيْثُ أُرِدْتُ لِنَفْسِي خَيْرًا مِمَّا حَصَلَ لِلْمُسْلِمِينَ!!.

أَعْرِفُ طَرِيقًا مُخْتَصِرًا إِلَى الْجَنَّةِ

قَالَ الْجَنِيدُ : سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَقُولُ: أَعْرِفُ طَرِيقًا مُخْتَصِرًا قَصْدًا إِلَى الْجَنَّةِ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَلَا تَأْخُذُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَلَا يَكُنْ مَعَكَ شَيْءٌ تَعْطِي مِنْهُ أَحَدًا.

أَشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ بِبِلَدٍ غَيْرِ بَغْدَادَ

قَالَ الْجَنِيدُ ابْنُ مُحَمَّدٍ : سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَقُولُ: أَشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ بِبِلَدٍ غَيْرِ بَغْدَادَ، فَقِيلَ لَهُ: وَلَمْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَلَّا يَقْبَلَنِي قَبْرِي فَافْتَضَحَ.

حَتَّى عَفَا عَلَيْهِ التُّرَابُ

قَالَ الْجَنِيدُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا يَبْكِيكَ؟ فَقَالَ: جَائَتْنِي الْبَارِحَةَ الصَّبِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَتِي، هَذِهِ لَيْلَةٌ حَارَّةٌ، وَهَذَا الْكُوزُ أَعْلَقَهُ هَا هُنَا حَتَّى يَبْرُدَ الْمَاءُ .

ثُمَّ إِنِّي حَمَلْتُ عَيْنَايَ فَنَمْتُ، فَرَأَيْتُ جَارِيَةً مِنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ قَدْ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: لِمَنْ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ الْمُبَرَّجَ فِي الْكِيزَانِ. فَتَنَاوَلْتُ الْكُوزَ فَضَرَبْتُ بِهِ الْأَرْضَ فَكَسَرْتَهُ. قَالَ الْجَنِيدُ: فَرَأَيْتُ الْخَزْفَ لَمْ يَرْفَعْهُ وَلَمْ يَمْسَهُ، حَتَّى عَفَا عَلَيْهِ التُّرَابُ. (1)

قد خلوا ابنك

قال مظفر بن سهل المقرئ: كنت جالساً مع سري يوماً، فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك، أخذ ابني الطائف البارحة، وكلم ابني الطائف، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي، أو تبعث إليه، قال: علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام فكبر وطول في صلاته، فقالت المرأة، يا أبا الحسن الله الله فيّ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم وقال لها: أنا في حاجتك، قال مظفر: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحق قد خلوا ابنك.⁽²⁾

أنا تائب من الملح

قال أحمد بن خلف دخلت يوماً على السري فقال لي ألا أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفثها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سر العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحاً طيباً فقلت في سري أنا تائب من الملح فسقط على يدي فأكل وانصرف .
(3).

يا معشر الشباب جدّوا

قال الجنيد: سمعت السري يقول: يا معشر الشباب جدّوا واقبل أن تبلغوا مبلغاً فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، وكان في ذلك الوقت، لا يلحقه الشباب في العبادة.⁽⁴⁾

هذه أغلال

قال علي بن عبد الحميد الغضائري: جئت إلى سري بن المغلس السقطي لأقرأ عليه شيئاً، فدققت عليه الباب، فسمعت من داخل

¹ (القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص 9

² (بغية الطلب في تاريخ حلب ، 4 / 239

³ (بغية الطلب في تاريخ حلب ، 4 / 240

⁴ (بغية الطلب في تاريخ حلب ، 4 / 240

وهو يقول: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك، ثم فتح الباب وقعد، فأخذت أقرأ عليه، فقال: إن هذه أغلال، إن هذه أغلال. (1)

لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك

قال الجنيد : دخلت على السري في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك يا شيخ؟ قال: عبد مملوك لا يقدر لنفسه شيئاً، فأخذت المروحة لأروحه فقال: دعني كيف أتروح بريح المروحة، فأحشائي تحترق، فقلت له، أوصني أيها الشيخ قال إياك وصحبة العوام فقلت له: زدني، قال: فرفع رأسه إليّ بعدما طأطأه وقال: لا تشتغل عن صحبة الله بصحبة الأخيار فقلت له: لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك.

فإذا اسمي في الحاشية

قال أبا عبيد بن حريويه : حضرت جنازة سري السقطي، فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري فلما كان في بعض الليالي رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلي عليّ. قلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال: فأخرج درجاً فنظر فيه، فلم ير لي فيه اسماً، فقال: فقلت: بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية. (2)

ترانا اليوم نأكل بأدياننا

قال علي بن الحسين بن حرب بعث بي أبي إلى السري بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال لي كم ثمنه قلت له لم يخبرني بشيء فقال اقرأ عليه السلام وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم ترانا اليوم نأكل بأدياننا .

اللهم اشغل من شغلني عنك بك

قال علي بن عبد الحميد الغضائري الحلبي سمعت سري السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى عضادتي الباب فسمعتة يقول اللهم اشغل من شغلني عنك بك فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب على رجلي ماشياً ذاهباً وجائياً. (3)

رجل يتكلم في موارد القلوب

¹ (بغية الطلب في تاريخ حلب ، 4 / 241

² (بغية الطلب في تاريخ حلب ، 4 / 244

³ (حلية الأولياء ، 10 / 118

قال الجنيد بن محمد بعثني السري يوما في حاجة فأبطأت عليه فلما جئت قال لي إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه . (1)

فأردت أن يكون معه الأكثر

قال أحمد بن عمر الخلقاني خرج معي سري السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلا جليلا فسلم عليه سلاما ناقصا فقلت له إن هذا فلان قال قد عرفته قلت فلم نقصته في السلام قال لأنه يروى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه الأكثر .

اللهم علمنا أدب العيادة

قال الجنيد بن محمد سمعت السري يقول اعتلت بطرسوس علة فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فأذاني ثم قالوا إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي وقلت اللهم علمنا أدب العيادة .

إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم

قال أبو بكر العطشى قلت لسري السقطي ماذا أراد أهل الجوع بالجوع فقال ماذا أراد أهل الشبع بالشبع إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم . (2)

ملحك مدقوق

قال الجنيد: وسمعتة يقول: أريد أن آكل أكلة ليس لله علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فلم أجد، فأتاني حي الجرجاني فدق علي باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي: يا سري، ملحك مدقوق فقلت: نعم، قال: لا تفlech، ثم قال: لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع، ولا تجر التاجر، ولا تلاه الناس في الطرقات، ثم مضى فأتعبنى وأبكاني. (3)

¹ (حلية الأولياء ، 10/ 118)

² (حلية الأولياء ، 10/ 122)

³ (صفة الصفوة ، 2/ 376)

عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب

وقال: " بينما أنا مار في طريق بيت المقدس، إذ رأيت امرأة عليها جبة مسح، وعلى رأسها خمار صوف، وهي جالسة، ورأسها بين ركبتيهما، وهي تبكي؛ فقلت لها: ما أبكاك، يا جارية؟. فقالت: يا أبا سليمان؛ وكيف لا ابكي وأنا احب لقائه؟! فقلت لها ما تحبين؟، فقالت: وهل يحب المحب غير لقاء المحبوب؟! فقلت لها: ومن محبوبك؟ فقالت: علام الغيوب!، قلت: كيف تحبينه؟، فقالت: إذا صفيت نفسك من العيوب، وجالت روحك في الملكوت، عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب " . فقلت: " فكيف يكونون في محبتهم له؟ " ، فقالت: " أبدانهم نحيلة، وألوانهم متغيرة، وعيونهم هائلة، وقلوبهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبهم لهجة " ، قلت: " من أين لك هذه الحكمة، التي تتطقين بها؟! " ، فقالت: " يا أبا سليمان!، لا تجيئ بطول العمر! " . فقلت: " بماذا تجيئ؟ " ، قالت: " بصفاء الود، وحسن المعاملة؟ " ، ثم أنشأت تقول:

قد كتمت الهوى فباح بسره ... عبرات من الجفون تسيل
ثم قالت: أواه! أواه! وأنشأت تقول:

كتب الدمع، فوق خدي، سطورا ... كل وجد بمن هويت قليل
اعذروني، إذا بليت من الوجد، ... فمالي إلى العزاء سبيل
ان دمعي لشاهد على الحب، ... دليل بأن حزني طويل
ثم قامت ودخلت في واد بين الجبال، وأنا انظر إليها " .

وإذا اردتم انكشفتم

وحكى بعض أصحابه، قال: " كنا ببيت المقدس، ولا نتكلم إلا في أوقات، وكان له عمود في المسجد يجلس إليه؛ فجأت يوماً إلى العمود فما رأيته، كذا ثانية. فلما كان يوماً ثالث كنت بجانب العمود وما رأيته، فحدثني وقال: " اجلس! " فنظرت فإذا هو قائم في العمود، فجلست وأنا مرعوب، وجاء آخر فقعد، وجاء آخر، فقال أبو سليمان: " من الناس من يطلبني اليوم واليومين والثلاثة، فإذا اردت استترت، وإذا اردتم انكشفتم، وحدثته فقعد " . (1)

يا معلم! ما فعل الله بك؟

قال أحمد بن أبي الحواري : تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيتُه بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟ قال: يا أحمد! دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيخ، فأخذت منه عودا، فلا أدري تخللت به أم رميت به، فأنا في حسابه من سنة (1) .

هو الذي يلقي ربه وليس فيه إله غيره

قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : " إلا من أتى الله بقلب سليم " قلت له : « القلب السليم الذي يلقي الله به وليس فيه أحد غيره ؟ » فبكى ثم قال : ما سمعت منذ دخلت الشام حديثا مثله ، هذا هو الذي يلقي ربه وليس فيه إله غيره. (2)

فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا

حدث أبو سليمان الداراني ، قال : شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان ، فسمعتَه يقول : « أوحى الله سبحانه إلى داود : حذر وأذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المعلقة بحب الشهوات في الدنيا عقولها محجوبة عني » قال : فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا «(3)

يا أبا سليمان قم إلى الحائط

قال أبو سليمان الداراني : وقعت أُمي من فوق وتكسرت فأهمني أمرها فقلت يا رب من يخدمها فجعلت أبكي في سجودي فإذا هاتف يهتف يا أبا سليمان قم إلى الحائط فخذ ما فيه وادع به فقمت فإذا بقرطاس ما رأيت على نقائه وبياضه بخما رأيت مثله حسنا تفوح منه رائحة المسك وإذا فيه مكتوب يا مدرك الفوت بعد الفوت ويا من يسمع في ظلم الليل الصوت ويا من يحيي العظام وهي رميم بعد الموت فدعوت بها وأنا ساجد فإذا أُمي تقول يا أبا سليمان ما فعلت الليلة قال قلت لها قد قمت قالت نعم . (4)

¹ (سير أعلام النبلاء ، 10 / 185)

² (تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني ، ص 174)

³ (تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني ، ص 179)

⁴ (تاريخ دمشق ، 34 / 134)

فبماذا تغسل قلبك

قال أحمد بن أبي الحواري : ثار أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتهياً فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح وجاء وقت الإمامة فخشيت أن تفوت صلاته فقلت الصلاة يرحمك الله فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فعارضني عارض من سري هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك فبقيت متفكراً فألهمت حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يقربني من الأنس بالله.

(1)

يا بني ، اتق الله وخفه وارجعه

قال حميد بن هشام أبو هشام : قلت لأبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية : يا عم ، لم تشدد علينا وقد قال الله عز وجل في كتابه : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ؟ قال : « اقرأ » ، فقرأت : " وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون " ثم قال : « اقرأ » ، فقرأت : " واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * ، أن تقول نفس يا حسرتاً على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * ، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين " فأقمت أياماً ثم قرأت ما يتلو هذا : بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (سورة : الزمر)

فقلت له : يا عم ، قال الله : بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ، فأنا بحمد الله ونعمته لم أكذب بآيات ربي ولا استكبرت عن عبادته ، وما أنا من الكافرين ، فمسح - يعني رأسه - وقال : « يا بني ، اتق الله وخفه وارجعه »

(2)

¹ (تاريخ دمشق ، 34 / 135)

² (تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني ، ص 192)

لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه

قال عبد الرحيم بن صالح : سمعت أبا سليمان الداراني ، يقول لأم هارون : أتحبين الموت ؟ قالت : « لا » قال : ولم تكرهين لقاء الله عز وجل ؟ ففاضت دموعها بالانتحاب ، فقالت : « يا أبا سليمان ، لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه » فصرخ أبو سليمان ووقع مغشيا عليه . (1)

بما كسبت يداك

قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان لم أوتر البارحة ولم أصل ركعتي الفجر ولم أصل الصبح في جماعة قال بما كسبت يداك والله ليس بظلام للعبيد شهوة أصبتها . (2)

فإن لم تكن قمرا فكن شمساً

قال أحمد بن أبي الحواري لي أبو سليمان يا أحمد كن كوكبا فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا فإن لم تكن قمرا فكن شمساً فقلت يا أبا سليمان القمر أضوأمن الكوكب والشمس أضوأمن القمر قال يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر فقم أول الليل إلى آخره فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار . (3)

معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء

قال عبيد جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه فقالوا له فقال إني رأيت في المنام يقال لي اذهب إلى معروف فسلم عليه فانه معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء .

ولكني رجوت دعاءه

قال عبيد بن محمد الوراق مر معروف بسقاء يقول رحم الله من شرب فتقدم فشرب فقليل له أما كنت صائما قال بلى ولكني رجوت دعاءه .

¹ (تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني ، ص 197

² (حلية الأولياء ، 258/ 9

³ (حلية الأولياء ، 260/ 9

إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا

- مر معروف على قوم من أصحاب زهير يخرجون الى القتال ومعهم فتى فقال اللهم احفظهم فقليل له تدعو لهؤلاء فقال ويحك إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا . (1)

إن الملك دائم لا يفتر

قال محمد بن عبد الرحمن دوست قدم قوم الى معروف فأطالوا الجلوس فقال يا قوم إن الملك دائم لا يفتر عن سوقها .

ما أحصينا مذ قتلها عام أول

قال معروف الكرخي يقول ودع رجل البيت فقال اللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتا ما أحصينا مذ قتلها عام أول . (2)

فهات المصحف، وخذي الملحفة!

ونزل يوماً إلى دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفة فجاءت امرأة فأخذتهما، فتبعها، وقال: " أنا معروف!، لا بأس عليك!، ألك ولد يقرأ القرآن؟ " ، قالت: " لا! " ، قال: " فزوج؟ " ، قالت: " لا! " ، قال: " فهات المصحف، وخذي الملحفة! " .

ولم يضركم شئ

وكان قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر به أحداث في زورق، يضربون الملاهي ويشربون؛ فقال له أصحابه: ما ترى هؤلاء - في هذا الماء - يعصون! أدع الله عليهم! " ، فرفع يديه إلى السماء وقال: " إلهي وسيدي!، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة! " فقال له أصحابه: " إنما قلنا لك: أدع عليهم! " ، فقال: " إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شئ " .

يا هذا! لو زدتنا لزدناك!

وجاء رجل إليه، فقال: " جاءني البارحة مولود، وجئت لاتبرك بالنظر إليك " . فقال: " اقعدت!، عافاك الله!، وقل

¹ (حلية الأولياء ، 8 / 365)

² (حلية الأولياء ، 8 / 366)

مائة مرة: " ما شاء الله كان " ، فقالها؛ قال: " قل مثلها " ، فقالها، حتى قال ذلك خمس مرات ، فكان ذلك خمسمائة مرة؛ فلما استوفاهما دخل عليه خادم جعفر وبيده رقعة وصرة، فقال: " ستتنا تقرأ عليك السلام، وتقول لك: خذ هذه، وادفعها إلى قوم مساكين " ، فقال: " ادفعها إلى ذلك الرجل " ، فقال: " فيها خمسمائة درهم! " ، فقال: " قد قال خمسمائة مرة: ما شاء الله كان " ؛ ثم اقبل على الرجل، وقال: " يا هذا! لو زدتنا لزدناك! " .

وددت لو إني تزوجت!

وروى في النوم، ف قيل له: " ما فعل بك ربك؟، قال: " أباحني الجنة، غير أن في نفسي حسرة، أني خرجت من الدنيا ولم أتزوج " ، أو قال: " وددت لو إني تزوجت! " .

او ليس قد مت؟!

وقال أبو بكر الخياط: " رأيت - في المنام - كأني دخلت المقابر، فإذا اهل القبور جلوس على قبورهم، وبين أيديهم الريحان؛ وإذا بمعروف بينهم، يذهب ويجيء، فقلت: " أبا محفوظ!، ما صنع الله بك؟، او ليس قد مت؟! " ، قال: " بلى! " . ثم انشد:

موت التقي حياة لا نفاذ لها ... قد مات قوم، وهم في الناس
أحياء⁽¹⁾

الشوق إلى الجنة والخوف من النار

إن أصفى ساعات المسلم وأفضلها وأرقى درجاته أن يستولي على قلبه الطمع في الجنة والخوف من النار، وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يغلب على قلوبهم الخوف من النار والطمع في الجنة في كل حال من الأحوال، فصلحت أعمالهم واستقامت لهم أمورهم.

ونحن بحاجة إلى ذكر الجنة والنار في قلوبنا ونوادينا وفي ليلنا ونهارنا لتستقيم أحوالنا وتصلح أعمالنا، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة، وتظاهرت الفتن وانتشرت، وقل الناصح، وضعف الإيمان، وتزينت الدنيا بزخرفها وزهرتها، وأثقلت الكواهل بكثرة مطالبها، وأرهقت الأعصاب بتشعب حاجاتها، حتى صار التحاب من أجلها والتباغض من أجلها والتواصل لها والتقاطع لها إلا من شاء الله تعالى، فكانت أكبر ما يصد عن الآخرة، قال الله تعالى: "إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون [يونس: 7، 8].

الطمع في الجنة قائد، والخوف من النار زاجر وسائق. الجنة حق أن يطلبها المسلم جهده، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((أهل مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي - ورب الكعبة - نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية))، قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: ((قولوا: إن شاء الله))، فقال القوم: إن شاء الله⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((بناء الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك - وهو ما يكون

¹ (رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

بين اللبن ،، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، ومن يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)) (1).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي قال : ((إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا)) (2).

وأما شرابهم فكما قال الرب جل وعلا : " مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى " [محمد:15].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله في أزواج أهل الجنة : ((يضع أحدهم يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدهم إلى السلك في قسبة الياقوت، كبده مرآة لها، وكبدها مرآة له)) (3).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه : ((إن أسفل أهل الجنة أجمعين من يكون على رأسه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صحتان : واحدة من ذهب وواحدة من فضة، في كل صحيفة لون ليس في الأخرى مثلها، يأكل من آخره كما يأكل من أوله، يجد لآخره من اللذة والطعم ما لا يجد لأوله، ثم يكون فوق ذلك رشح مسك وجشاء مسك، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون)) (4).

وقد وصف الله تعالى ما في الجنة من النعيم المقيم في كتابه بما لم يوصف في كتاب منزل، ووصف ذلك رسول الله بما لم يصفه نبي؛ لنعمل بأعمال أهل الجنة ولنسارع إلى الخيرات

¹ (رواه الترمذي.

² (رواه البخاري ومسلم

³ (رواه أبو يعلى والبيهقي

⁴ (رواه الطبراني وابن أبي الدنيا

ونطلب جنة ربنا جهننا ونسأل ذلك من ربنا ونتعرض
لرحمته، فإنه لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله.
وأعظم من نعيم الجنة رضوان رب العالمين والنظر إلى وجهه
الكريم، قال الله تعالى : وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات
عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم
[التوبة:72].

وأما النار وما أدراك ما النار فهي مثوى الأشرار ومكان
الخبث والذلة والخزي والصغار، بعيدة القعر، لو أن الحجر
يلقى من شفيرها ما أدرك لها قعرا سبعين خريفا⁽¹⁾.
شديدة الحر، ((نار الدنيا جزء واحد من سبعين جزءا من نار
جهنم))⁽²⁾.

طعام أهلها الزقوم من شجرة تخرج في جهنم، وتتغذى
بجهنم، والضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، خبيث الطعم،
مر المذاق، شديد الحرارة، ينشب في الحلق، فلا يستسيغه إلى
جوفه إلا بالماء البالغ الحرارة، فإذا وصل إلى الجوف قطع
الأمعاء.

ومن شرابهم المهل والغساق وهو الصيد من القيح والدم،
ولباسهم القطران والحديد، ولهم ثياب من نار والعياذ بالله،
قال الله تعالى : " فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب
من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم
أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق [الحج : 19-22]. عن عبد
الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال : (إن في النار
حيات كأمثال أعناق البخت تنهش الرجل، فيجد حر سمها
سبعين خريفا)⁽³⁾.

¹ (رواه مسلم

² (رواه البخاري

³ (رواه أحمد

قال الله تعالى : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما
كنتم تعملون [التوبة: 105].

ومن المواقف :

وإن منكم إلا واردها

هذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يودع أصحابه في غزوة
مؤتة فيبكي ويقال له : ما يبكيك؟ فقال : والله، ما أبكي صباية
بكم ولا جزعا على الدنيا، ولكن ذكرت قول الله تعالى : وإن
منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا [مريم: 71]، فكيف
لي بالصدر بعد الورود؟!.

إنها حياة طويلة

وعمير بن الحمام رضي الله عنه لما قال النبي في غزوة بدر :
((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)) كان في يده
تمرات، فرمى بهن وقال : لئن بقيت حتى أكل تمراتي هذه إنها
لحياة طويلة، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

إني لأجد ريح الجنة

وأنس بن النضر رضي الله عنه قال : إني لأجد ريح الجنة من
دون أحد، وذلك في غزوة أحد، فقتل رضي الله تعالى عنه.

قصة أبي قدامة مع امرأة وابنها

يقول أبو قدامة الشامي : خطبت في الناس وكان وقت جهاد
في سبيل الله، فتكلمت في فضل الجهاد، وحث الناس على
الجهاد، فلما نزلت من الخطبة جاءتني امرأة فنادتني فقالت:
يا شيخ! فالتفت فإذا بامرأة، فتركها، فقالت: يا شيخ! قال:
فالتفت فإذا هي تنادي فتركها، فقالت لي: يا شيخ! والله
لتقف، فوقفت واستمعت إليها، ماذا تريد فقالت لي: يا شيخ!
سمعت خطبتك عن الجهاد، فوالله لا أملك شيئا أجاهد به إلا

هذا الظرف فخذهُ واستعملهُ في الجهاد في سبيل الله، يقول: فأخذت هذا الظرف، وذهبت المرأة، يقول: ففتحت هذا الظرف فإذا فيه ظفيرتان، قد قصت شعرها ووضعتهُ في ذلك الظرف، لا تملك غيره، وأي شيء أعظم عند المرأة من شعرها، ما عندها مال، ولا دارهم، ولا تستطيع أن تجاهد فقصت شعرها، ووضعتهُ في ذلك الظرف، ليستخدّم في الجهاد في سبيل الله. يقول: فربطت به فرسي، وصعدت على الفرس لأذهب إلى الجهاد، يقول: فلما ذهبنا، فإذا بصبي يناديني، فقال لي: يا شيخ! قلت: ماذا تريد؟ قال: يا شيخ! قلت: ماذا تريد؟ قال: احملني معك للجهاد في سبيل الله، قلت: يا بني أنت صغير والله قد عذرك، قال: أقسمت عليك لتحملني معك للجهاد في سبيل الله، يقول: فقلت له: بشرط واحد، قال: وما هو الشرط، قال: إنك إذا مت ولقيت الله جل وعلا أن تشفع لي عند الله؛ لأن الشهيد يشفع في سبعين من الناس يا عبد الله! يقول: فقال لي: نعم، فحملته على فرسي، ردفته، يقول: ودخلنا في الجهاد، وبدأت المعركة، وحمي الوطيس، وفي أثناء المعركة ناداني ذلك الغلام الصبي، فقال لي: يا شيخ! فقلت: ماذا تريد؟ فقال: أعطني سهماً، قال: اترك السهم لأهله، قال: أعطني سهماً، يقول: فأعطيته ثلاثة أسهم، يقول: فوضع السهم في النبل، ثم قال: باسم الله، فرمى السهم فأصاب به نصرانياً فقتله، وأخذ الآخر فقال: باسم الله، يقول: فرمى به الآخر فقتله، يقول: وأخذ الثالث فقال: باسم الله، فرمى الثالث وقتله، { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال: 17]. يقول: وبعد الثلاثة أصيب بسهم في صدغه، فسقط من على الفرس، فنزلت إليه أسعفه، فنظرت إليه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يحتضر، فقلت له: يا غلام يا غلام لا تنسى العهد الذي بيني وبينك أن تشفع لي عند الله، فقال: يا شيخ! خذ هذه وأعطها لأمي، يقول: فأخذت خرقة، فقلت له: ومن أمك يا بني؟ فقال ذلك الغلام: يا شيخ! أمي صاحبة الظفيرتين، أمي صاحبة الظفيرتين، أمي صاحبت الظفيرتين، وفارق الدنيا.

يقول: فرجعنا من المعركة، وطرقت الباب، فخرجت لي بنت،
فقلت لها: أين أمك؟ فقالت هذه البنت: بشرنا يا شيخ! عن
أخي، فقال: أخوك قد استشهد في المعركة في سبيل الله،
فقالت البنت: الحمد لله، الحمد لله، مات أبي فاحتسبناه عند
الله، ثم مات أخي الكبير فاحتسبناه عند الله، الآن يموت أخي
الصغير فنحتسبه عند الله، الحمد لله الذي بنعمته تتم
الصلوات.

الله أكبر كيف كانوا يتسابقون إلى الجنة { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الحديد: 21].

ما حملك علي ما صنعت يوم كذا !؟

وكان الأحنف بن قيس يقدم إصبعه إلى المصباح فإذا وجد
حرارة النار قال لنفسه ما حملك علي ما صنعت يوم كذا . (1)

شغلني ذكر النار عن النوم واللذات:

قال عبد الرحمن بن مهدي: ما عاشرت في الناس رجلاً هو
أرق من سفيان الثوري، قال ابن مهدي: وكنت أرمقه الليلة
بعد الليلة، فما كان ينام إلا في أول الليل ثم ينتفض فزعاً
مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم
واللذات، كأنه يخاطب رجلاً في البيت، ثم يدعو بماء إلى
جانبه فيتوضأ ثم يقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم
بحاجتي غير معلم بما أطلب، وما أطلب إلا فكاك رقبتني من
النار، إلهي إن الجزع قد أرقني والخوف فلم يؤمني، وكل هذا
من نعمك السابغة علي، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك،
إلهي قد علمت أن لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع
الناس طرفة عين، ثم يقبل على صلاته. وكان البكاء يمنعه
من القراءة حتى إنني كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة
بكائه، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة منه⁽²⁾.

¹ (الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، التبصرة ، 269/1

² (أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 68/7

يشتهي لها الرجل الموت :

- كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد : أما بعد فإنك في زمان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعوذون أن يدركوه في ما بلغنا، ولهم من العزم ما ليس لنا ولا لك، ولهم من العلم ما ليس لنا ولا لك فكيف بنا وقد أدركناه على قلة علم وبصر، وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس؟ فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فإن عمر يقول :إياكم والطمع فإنه فقر حاضر، وإن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خليط السوء .
- وكان سعيد بن المسيب يقول :العزلة عبادة .وكان الناس إذا اتقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما ترى .وإياك والأمرأ أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء .وإياك أن تخذع فيقال :ذلك رجل تشفع فيه ترده عن مظلوم أو ترده عن مظلمة، وإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخاً .وكان يقال :اتقوا فتنة العابد وفتنة العالم فإن فيهما فتنة لكل أحد .إياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو يسمع من قوله، فإذا لم تزل كذلك فقد عرفت .وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهذا باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء .واعمل بنية فإن الحسن رحمه الله كان يقول :رحم الله عبداً وقف عند همه، فإنه ما من عبد يعمل حتى يهم، فإن كان له مضي، وإن كان عليه أمسك، فإن النية ليست كل ساعة تقع .وإن طاووس قيل له :ادع لنا بدعوات فقال :ما أجد الآن لذلك نية .وكان حذيفة رضي الله عنه يقول :
- يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق .وسئل حذيفة عن أي الفتن أشد فقال :أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تترك .وقد ذكر عن النبي ﷺ أنه قال :لا تزال يد الله على هذه الأمة في كنفه، ما لم يمل فراؤهم إلى امرائهم، وما لم يوقر خيارهم شرارهم، وما لم يعظم أبرارهم فجارهم؛ فإذا فعلوا ذل رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب، وأنزل عليهم الفاقة، وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب .وقال حذيفة :لا يأتيهم أمر يضحكون

منه إلا ردف أمر يشغلهم عن ذلك . فليكن الموت من شأنك .
وبالك . وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت فإنكم إذا ذكرتموه في
قليل كثرة . واعلم أنه قد دنا من الناس أمور ، وحضرت أمور
يشتهي لها الرجل الموت ، والسلام⁽¹⁾ .

يا طبيب أعندك دواء المذنوب ؟!

- وعن عبد الله بن المبارك قال مررت في سياحتي بالشام
بطبيب يصف لكل ما يحب فقلت له يا طبيب أعندك دواء
المذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لي يا هذا عليك
بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصاف وبليج الرضا
وغارقون في الكتمان وسقمونا الأحزان فأمر سهم بماء
الأجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق
وصفهم بمنخل الأرق واشربهم على الحرق فإنه شفاؤك
وأنشد :

يا طبيباً بذكره يتداوى . . وصفوه لكل داء غريب
ليس حزني عليك شيء عجيب . . . إنما الصبر عنك شيء
عجيب⁽²⁾

كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها

قال سفيان بن عيينة : كان عمر بن عبد العزيز يوماً ساكناً
وأصحابه يتحدثون فقالوا له : ما لك لا تتكلم يا أمير
المؤمنين ؟ ! قال : كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون
فيها وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ؛ ثم بكى⁽³⁾ .

متى يجد العبد طعم الراحة ؟

عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه جاءه رجل من أهل
خراسان فقال : يا أبا عبد الله قصدتك من خراسان أسألك عن
مسألة ! قال له : سل ؛ قال : متى يجد العبد طعم الراحة ؟ قال :
عند أول قدم يضعها في الجنة .

خلوا سبيله

⁽¹⁾ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 384/1

⁽²⁾ داود بن عمر الأنطاكي الضرير ، تزيين الأسواق ، تحقيق : د . محمد التونجي ، عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1413 هـ - 1993 ، 75/1

⁽³⁾ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، مكتبة دار البيان - دمشق ، الطبعة الأولى ، 1399 هـ ، 51/1

- عن مجاهد قال يؤمر بالعبد الى النار يوم القيامة فتنزوي عنه فيقول ما شأنك ما شأنك فتقول إنه قد كان يستجير مني في الدنيا فيقول خلوا سبيله .

- عن مجاهد قال يؤمر بالعبد الى النار يوم القيامة فيقول ما كان هذا ظني فيقول ما كان ظنك فيقول أن تغفر لي فيقول خلوا سبيله.

إنما تحفة المؤمن حفرته

قال المروزي : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : كأنك بالموت وقد فرق بيننا، ما أعدل بالفقر شيئاً؛ أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً؛ أخاف أن أفتن في الدنيا؛ قال مسروق: إنما تحفة المؤمن حفرته.

ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك

لما مات أخو مالك بن دينار بكى مالك وقال : يا أخي لا تقر عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك . (1)

يا أيها الناس النار النار

وسمعه يقول لو استطعت أن لا أنام لم أتم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ولو وجدت أعوانا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار (2)

النصيحة

هي الاسم من النصح، وكلاهما مأخوذ من مادة (ن ص ح) التي تدلّ على ملائمة بين شيئين وإصلاح لهما، وقال الراغب: النصح مأخوذ من قولهم: نصحت له الودّ، أي أخلصته أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته.

¹ (ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 2 / 222)

² (صفة الصفوة ، 3 / 286)

وقال ابن منظور: نصح الشيء: خلص والنّاصح الخالص من العمل وغيره.

والنّصح: الإخلاص والصدق في المشورة والعمل.
وقال ابن الأثير: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له.

وقال الله عز وجل: " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَوْمٍ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (الأعراف: 59-62)

*قال يا
*أبلغكم

وقال أيضا: " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ بِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (الأعراف: 65-68)

وقال تعالى: " فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (الأعراف: 77-79)

وقال تعالى: " وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (الأعراف: 90-93)

وقال تعالى: " لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (التوبة: 91)

وقال تعالى : " وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (القصص: 20)

وقد قال الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم : «إذا نصح العبد لسيّده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين(1)» وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحجّ...»- حديث صفة حجّته صلى الله عليه وسلم وفيه: «وأنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت(2)

عن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: «بايعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم على إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والنّصح لكلّ مسلم(3)»

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حقّ المسلم على المسلم ستّ». قيل: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فسمّته (4). وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتّبعه(5)».

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح(6)»

¹ (البخاري- الفتح 5 (2550). ومسلم (1664) واللفظ له.
² (أبو داود (1905). وابن ماجه (3074). وأصله في صحيح مسلم (1218)
³ (البخاري- الفتح 3 (1401).، ومسلم (56)
⁴ (فسمّته: تشميت العاطس أن يقول له: يرحمك الله، ويقال بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان.

⁵ (مسلم (2162)، وقوله: إذا مات فاتّبعه: أي اتبع جنازته.
⁶ (أحمد (334 /2) حديث (8433) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال ذكره السيوطي في الجامع الصغير وأشار إلى حسنه وذكره الألباني في صحيح الجامع (132 /2) حديث (3278) وقال: حسن.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله - :

«ما زال لله تعالى نصحاء، ينصحون لله في عبادته، وينصحون لعباد الله في حقّ الله، ويعملون لله تعالى في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض.»

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - يوصي ابنه عبد الملك بعد ما تولّى الخلافة : «أمّا بعد : فإنّ أحقّ من تعاهدت بالوصيّة والنصيحة بعد نفسي أنت، وإنّ أحقّ من رعى ذلك وحفظه عنّي أنت، وإنّ الله - تعالى - له الحمد قد أحسن إلينا إحسانا كثيرا بالغا في لطيف أمرنا وعامّته، ... إلى أن قال له : وإنّي لأعظك بهذا، وإنّي لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لكثير من أمري، ولو أنّ المرء لم يعظ أخاه حتّى يحكم نفسه، ويكمل في الذي خلق له لعبادة ربّه، إذا تواكل الناس الخير، وإذا يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستحلّت المحارم، وقلّ الواعظون والسّاعون لله بالنصيحة في الأرض، فله الحمد ربّ السّموات والأرض ربّ العالمين وله الكبرياء في السّموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وقال مسعر بن كدام - رحمه الله تعالى : «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي في سرّ بيني وبينه، فإنّ النصيحة في الملاءم تقريع.

وقال معمر بن راشد بن همام الصنعانيّ : «كان يقال : أنصح النّاس لك من خاف الله فيك.

وقال الشافعيّ - رحمه الله تعالى - :

تعهدني بنصحك في الفرادى ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإنّ النصح بين النّاس نوع ... من التّوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قلبي ... فلا تغضب إذا لم تعط طاعه

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - : «الحبّ أفضل من الخوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان، أحدهما يحبّك والآخر يخافك، فالذي يحبّك ينصحك شاهدا كنت أو غائبا لحبه إياك، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت لما يخافك ويغشّك إذا غبت ولا ينصحك».

وقال أيضا: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير.

وقال بعض الشعراء:

اصف ضميرا لمن تعاشره ... واسكن إلى ناصح تشاوره
وارض عن المرء في مودته ... ممّا يؤدّي إليك ظاهره
من يكشف الناس لا يجد أحدا ... تنصح منهم له سرائره
أوشك أن لا يدوم وصل أخ ... في كلّ زلّاته تنافره

ومن المواقف

وصية الخطاب بن المعلى المخزومي ابنه

عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه
فقال يا بني عليك بتقوى الله وطاعته وتجنب محارمه باتباع
سنته ومعالمه حتى تصح عيوبك وتقر عينك فانها لا تخفي
على الله خافيه واني قد وسمت لك وسما ووضع لك رسما
ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك وانقاد
لك به الصلوك ولم تزل مرتجى مشرفا يحتاج اليك ويرغب
الى ما في يديك فأطع اباك واقتصر على وصية ابيك وفرغ
لذلك ذهنك واشغل به قلبك ولبك واياك وهذر الكلام وكثرة
الضحك والمزاح ومهازلة الإخوان فإن ذلك يذهب البهاء
ويوقع الشحناء وعليك بالرزانة والتوقر من غير كبر يوصف
منك ولا خيلاء تحكي عنك والى صديقك وعدوك بوجه الرضى
وكف الأذى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وكن في جميع
أمورك في أوسطها فإن خير الأمور أوسطها وقلل الكلام
وأفش السلام وامش متمكنا قصدا ولا تخط برجلك ولا تسحب
ذيلك ولا تلو عنقك ولا ردائك ولا تنظر في عطفك ولا تكثر
الالتفاف ولا تقف على الجماعات ولا تتخذ السوق مجلسا ولا
الحوانيت متحدثا ولا تكثر المراء ولا تنازع السفهاء فإن
تكلمت فاختصر وإن مزحت فاقصر وإذا جلست فتريع وتحفظ
من تشبيك أصابعك وتفقيعها والعبث بلحيتك وخاتمك وذوابة
سيفك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وكثرة طرد الذباب
عنك وكثرة التثاؤب والتمطى وأشباه ذلك مما يستخفه الناس
منك ويغتمزون به فيك وليكن مجلسك هاديا وحديثك مقسوما

وأصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار عجب منك
ولا مسألة إعادة وغض عن الفكاهات من المضاحك
والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا عن
فرسك ولا عن سفيك وإياك وأحاديث الرؤيا فإنك إن أظهرت
عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الأحلام
واغتمزوا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ولا تبذل تبذل
العبد ولا تهلب لحيتك ولا تبطنها وتوق كثرة الحف ونتف
الشيب وكثرة الكحل والإسراف في الدهن وليكن كحكك غبا ولا
تلح في الحاجات ولا تخشع في الطلبات ولا تعلم أهلك وولدك
فضلا عن غيرهم عدد مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم
وإن كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم وأخفهم في غير عنف ولن
لهم قي غير ضعف ولا تهازل أمتك وإذا خاصمت فتوقر
وتحفظ من جهلك وتجنب عن عجلتك وتفكر في حجتك وأر
الحاكم شيئا من حلمك ولا تكثر الأشارة بيدك ولا تحفز على
ركبتيك وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين وإن سفه عليك
فاحلم وإذا هدا غضبك فتكلم وأكرم عرضك وألق الفضول عنك
وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان وإن أسترسل اليك
فلا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقا بالصبي وكلمه بما
يشتهي ولا يحملنك ما ترى من الطافه إياك وخاصته بك أن
تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه وإن كان لذلك
منك مستمعا وللقول منك مطيعا فإن سقطه الداخل بين الملك
وأهله صرعة لا تنهض وزلة لا تقال وإذا وعدت

فحقق وإذا

حدثت فاصدق ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ولا تخافت به
كتخافت الأخرس وتخبر محاسن القول بالحديث المقبول وإذا
حدثت بسماع فانسبه الى أهله وإياك الأحاديث العابرة
المشنع التي تنكرها القلوب وتفق لها الجلود وإياك ومضعف
الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل عجل وما أشبه ذلك وإذا
توضأت فأجد عرك كفيك وليكن وضعك الحرص من الأشنان
في فيك كفعلك بالسواك ولا تتخع في الطست وليكن طرحك
الماء من فيك مترسلا ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ولا
تعص نصف اللقمة ثم تعيد ما بقى منها منصبا فإن ذلك

مكروه ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ولا تعبث
بالمشاش ولا تعب شيئاً مما يقرب اليك على مائدة بقلة خل أو
تابل أو عسل فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ولا تمسك
إمساك المثبور ولا تبذر تبذير السفية المغرور واعرف في
مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس
يحتاجوا اليك واعلم ان الجشع يدعو الى الطبع والرغبة كما
قيل تدق الرقبة ورب أكله تمنع أكلات والتعفف مال جسيم
وخلق كريم ومعرفة الرجل قدره تشرف ذكره ومن تعدى
القدر هوى في بعيد القعر والصدق زين والكذب شين ولصدق
يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله
ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ولزوم الكريم على
الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ولقرب ملك جواده
خير من مجاورة بحر طراد وزوجة السوء الداء العضال
ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه وطاعة النساء تزرى
بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم وتصنع للشرف تدركه .
وأعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه وإنما ينسب الصانع
الى صناعته والمرء يعرف بقرينه وإياك وإخوان السوء فإنهم
يخونون من رافقهم ويحزنون من صادقهم وقربهم أعدى من
الجرب ورفضهم من استكمال الأدب واستخفاف المستجير لؤم
والعجلة شؤم وسوء التدبير وهن
والإخوان إثنان فمحافظ عليك عند البلاء وصديق لك في
الرخاء فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية فإنهم
أعدى الأعداء

ومن اتبع الهوى مال به الردى ولا يعجبك الجهم من الرجال
ولا تحقر ضئيلاً كالخلال فإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه
ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه
وتوق الفساد وإن كنت في بلاد الأعادي ولا تفرش عرضك
لمن دونك ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ولا تكثر
الكلام فتثقل على الأقوام وامنح البشر جليسك والقبول ممن
لأفأك

وإياك وكثرة التبريق والتزليق فإن ظاهر ذلك ينسب الى
التأنيث وإياك والتصنع لمغازلة النساء وكن متقربا متعززا
منتهزا في فرصتك رفيقا في حاجتك متثبتا في حملتك والبس
لكل دهر ثيابه ومع كل قوم شكلهم
واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ولا تعجل في امر حتى
تنظر في عاقبته ولا ترد حتى ترى وجه المصدر
وعليك بالنورة في كل شهر مرة وإياك وحلاق الإبط بالنورة
وليكن السواك من طبيعتك وإذا استكت فعرضا عليك
بالعمارة فإنها أنفع التجارة وعلاج الزرع خير من اقتناء
الضرع ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ومن أكرم عرضه أكرمه
الناس وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ومعرفة الحق
من أخلاق الصدق والرفيق الصالح ابن عم ومن أيسر أكبر
ومن افتقر احتقر قصر في المقالة مخافة الإجابة والساعي
إليك غالب عليك وطول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة
وليس للغائب صديق ولا على الميت شقيق وأدب الشيخ عناء
وتأديب الغلام شقاء والفاحش أمير والوقاح وزير والحليم
مطية الأحمق والحمق داء لا شفاء له والحلم خير وزير
والدين أزين الأمور والسماجه سفاهة والسكران شيطان
وكلامه هذيان والشعر من السحر والتهدد هجر والشح شقاء
والشجاعة بقاء والهدية من الأخلاق السرية وهي تورث
المحبة ومن ابتدأ المعروف صار ديننا ومن المعروف ابتداء
من غير مسألة وصاحب الرياء يرجع الى السخاء ولرياء
بخير خير من معالنة بشر والعرق نزاع والعادة طبيعة لازمة
إن خير فخير وإن شرا فشر ومن حل عقدا احتمل حقدًا
ومراجعة السلطان خرق بالإنسان والفرار عار والتقدم
مخاطرة وأعجل منفعه إيسار في دعة وكثرة العلل من البخل
وشر الرجال الكثير الاعتلال وحسن اللقاء يذهب بالشحناء
ولين الكلام من أخلاق الكرام
يا بني إن زوجة الرجل سكرة ولا عيش له مع خلافها فإذا
هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها فإن العروق الطيبة تنبت
الثمار الحلوة

واعلم أن النساء أشد اختلافا من أصابع الكف فتوق منهن كل ذات بذا مجبولة على الأذى فمنهن المعجبة بنفسها المزرية ببعلها إن أكرمها رأته لفضلها عليه لا تشكر على جميل ولا ترضى منه بقليل لسانها عليه سيف صقيل قد كشفت القحة ستر الحياء عن وجهها فلا تستحي من إعارها ولا تستحي من جارها كلبة هراة مهارشة عقارة فوجه زوجها مكلوم وعرضه مشنوم ولا ترعى عليه لدين ولا الدنيا ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين حجابيه مهتوك وستره منشور وخيره مدفون يصبح كئيبا ويمسي عاتبا شرابه مر وطعامه غيظ وولده ضياع وبيته مستهلك وثوبه وسخ ورأسه شعث إن ضحك فواهن وإن تكلم فمتكاره نهاره ليل وليله ويل تلدغه مثل الحية العقارة وتلسعه مثل العقرب الجرارة

ومنهن شفشليق شعشع سلفع ذات سم منقع وإبراق واختلاق تهب مع الرياح وتطير مع كل ذي جناح إن قال لا قالت نعم وإن قال نعم قالت لا مولدة لمخازيه محتقرة لما في يديه تضرب له الأمثال وتقصر به دون الرجال وتنقله من حال الى حال حتى قلا بيته ومل ولده وغث عيشه وهانت عليه نفسه وحتى أنكره إخوانه ورحمه جيرانه

ومنهن الورهاء الحمقاء ذات الدل في غير موضعها الماضغة للسانها الآخذة في غير شأنها قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه تأكل كالحمار الراجع تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت ولم يكنس لها بيت طعامها بأت وإنأوها وضر وعجينها حامض وماؤها فاتر ومتاعها مزروع وماعونها ممنوع وخادمها مضروب وجارها محروب

ومنهن العطوف الودود المباركة الولود المأمونه على غيبها المحبوبة في جيرانها المحموده في سرها وإعلانها الكريمة التبعل الكثيرة التفضل الخافضة صوتا النظيفة بيتا خادمها مسمن وابنها مزين وخيرها دائم

وزوجها ناعم وموقفه مألوفه وبالعفاف والخيرات موصوفة

جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى ويأتم بالتقى ويجتنب السخط ويحب الرضى

والله خليفتي عليك والمتولي لأمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم
تسليماً كثيراً. (1)

ما النعمة؟

وقال الحجاج بن يوسف لخريم الناعم : ما النعمة؟ قال : الأمن،
فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال له : زدني . قال :
فالصحة، فإني رأيت المريض لا ينتفع بعيش . قال له : زدني .
قال له : الغنى، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش . قال له :
زدني . فالشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال له :
زدني. قال: ما أجد مزيداً (2).

سياسة الأبدان بما يصلحها

قال الحجاج بن يوسف للبادون طبيبه : صف لي صفةً آخذ بها
نفسي ولا أعدوها . قال له : لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا
تأكل اللحم إلا فتياً، ولا تأكله حتى تنعم طبخه، ولا تشرب دواء
إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها، ولا تأكل طعاماً
إلا أجدت مضغه، وكل ما أحببت من الطعام، واشرب عليه،
فإذا شربت فلا تأكل، ولا تحبس الغائط ولا البول، وإذا أكلت
بالنهار فقم، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة
خطوة (3).

دوام الطاعة لمولائك

- وقال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن
تترك العمل، فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولائك، فقلت: وما
ذلك العمل قال: دوام الطاعة لمولائك ، وحرمة المسلمين،
والنصيحة لهم.

يكفيك هذا موعظة إن اتعظت

وقال محمد بن الحسين، سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي
في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي،

(1) محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1397 - 1977 م ، ص 197 - 203

(2) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 475/2

(3) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 7/3

فقلت: بزهدك وورعك فقال: لا بل بقبول موعظة ابن السماك
ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء. وكانت موعظة ابن السماك
ما رواه معروف قال: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال
له ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من
أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة، ومن أقبل على
الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه، وأقبل بوجوه
الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما،
فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما
كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا، وذكرت
هذا الكلام لمولاي فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت.(1)

تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي

وجاء أبو محمد السمرقندي إلى الفضيل ومعه أولاد البرامكة،
وعليهم قمص لها جربانات عراض، فسألوه أن يحدثهم
فامتنع فقام مغضباً فقال الفضيل: ردوه. فردوه فقال: بلغنا أن
عيسى صلوات الله عليه قال: تحببوا إلى الله ببغض أهل
المعاصي، وتقربوا إليه بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه
بسخطهم. فقل: يا روح الله فمن نجاس؟ فقالوا: من تذكركم
الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه وترغبكم في الآخرة
مجالسته، قم فقد حدثتك(2).

واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني :

لما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تأقت نفسه إلى
محادثة الرجال والأشراف على أخبار الناس، فلم يجد من
يصلح لمناذمته غير الشَّعْبِي، فلما حُمل إليه وناداه وحظي
عنده قال له: يا شعبي لا تساعدني على ما قبح، ولا ترد علي
الخطأ في مجلسي، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة، ولا
جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف
أمسى، وكلمني بقدر ما أستطعمك واجعل بدل المدح لي
صواب الاستماع مني، وأعلم أن صواب الاستماع أكثر من
صواب القول، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتك منه شيء،

¹ (وفيات الأعيان ، 5 / 233)

² (الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، 1 / 245)

وَأَرِنِي فَهْمَكَ فِي طَرْفِكَ وَسَمْعَكَ، وَلَا تَجْهَدْ نَفْسَكَ فِي تَطْرِيةِ
جَوَابِي، وَلَا تَسْتَدْعِ بِذَلِكَ الزِّيَادَةَ فِي كَلَامِي، فَإِنْ أَسَوَّاءَ النَّاسِ
حَالاً مَنْ اسْتَكْدَ الْمُلُوكَ بِالْبَاطِلِ، وَإِنْ أَسَوَّاءَ حَالاً مِنْهُمْ مَنْ
اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِمْ، وَاعْلَمْ يَا شُعْبِي أَنَّ أَقْلَ مَنْ هَذَا يَذْهَبُ بِسَالِفِ
الْإِحْسَانِ، وَيَسْقُطُ حَتَّى الْحَرَمَةِ فَإِنَّ الصَّمْتَ فِي مَوْضِعِهِ رَبِّمَا
كَانَ أَبْلَغُ مِنَ الْمَنْطِقِ فِي مَوْضِعِهِ، وَعِنْدَ إِصَابَتِهِ فِرْصَةٌ (1).

كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟

قال :وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال
نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟
: فقال الحسن :
والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك
من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يلحقك الخوف (2).

القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ

قال جعفر سمعت مالك بن دينار يقول إن البدن إذا سقم لا ينجع
فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة وكذلك القلب إذا علق
حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ وسمعتة يقول بقدر ما تحزن
للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة
فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك (3).

كن ذنباً ولا تكن رأساً

حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ : قُلْتُ لِابِرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ : أَكُنْكَ أَمْ
أَدْعُوكَ بِاسْمِكَ ؟ قَالَ : إِنْ كُنَيْتَنِي قَبِلْتُ مِنْكَ ، وَإِنْ دَعَوْتَنِي
بِاسْمِي فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ : فَمَدَحْتَهُ - أَوْ قَالَ : أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ،
قَالَ : فَفُطِنَ ، فَقَالَ : لِرَوْعَةِ يَرْوَعُ صَاحِبُ عِيَالٍ ، أَفْضَلُ مِمَّا أَنَا
فِيهِ . قَالَ : قُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي . قَالَ : كُنْ ذَنْبًا وَلَا تَكُنْ رَأْسًا ، فَإِنَّ
الرَّأْسَ يَهْلِكُ ، وَيَسْلُمُ الذَّنْبُ . (4)

¹ (المسعودي ، مروج الذهب ، 388/1

² (أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 150/2

³ (صفة الصفوة ، 279/3

⁴ (المزني ، تهذيب الكمال مع حواشيه ، 35 / 2

وصية الإمام الأعظم لأبي يوسف رحمه الله

وصية الإمام الأعظم أبي يوسف رحمه الله بعد أن ظهر له منه الرشد و حسن السيرة والإقبال على الناس فقال له : يا يعقوب وقر السلطان وعظم منزلته و إياك و الكذب بين يديه والدخول عليه في كل وقت ما لم يدعك حاجة علمية فإنك إذا أكثرت إليه الاختلاف تهاون بك وصغرت منزلتك عنده فكن منه كما أنت من النار تنتفع وتتباعد ولا تدن منها فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه و إياك وكثرة الكلام بين يديه فإنه يأخذ عليك ما قلته ليرى من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك وإنه يخطئك فتصغر في أعين قومه و لتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك و قدر غيرك

ولا تدخل عليه و عنده من أهل العلم من لا تعرفه فإنك إن كنت أدون حالا منه لعلك تترفع عليه فيضرك و إن كنت أعلم منه لعلك تنحط عنه فتسقط بذلك من عين السلطان و إذا عرض عليك شيئا من أعماله فلا تقبل منه إلا بعد أن تعلم أنه يرضاك و يرضى مذهبك في العلم و القضايا كيلا تحتاج إلى ارتكاب مذهب غيرك في الحكومات و لا تواصل أولياء السلطان و حاشيته بل تقرب إليه فقط و تباعد عن حاشيته ليكون مجداك وجاهك باقيا

ولا تتكلم بين يدي العامة إلا بما تسأل عنه و إياك و الكلام في العامة و التجار إلا بما يرجع إلى العلم كيلا يوقف على حبك و رغبتك في المال فإنهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم و لا تضحك و لا تتبسم بين يدي العامة

ولا تكثر الخروج إلى الأسواق و لا تكلم المراهقين فإنهم فتنة و لا بأس أن تكلم الأطفال و تمسح رؤوسهم ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ و العامة فإنك إن قدمتهم ازدرى ذلك بعلمك و إن أخرتهم ازدرى بك من حيث إنه أسن منك فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [من لم يرحم صغيرنا و لم يوقر كبيرنا فليس منا] و لا تقعد على قوارع الطريق فإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد و لا تأكل في الأسواق و المساجد

و لا تشرب من السقايات و لا من أيدي السقائين و لا تقعد
على الحوانيت و لا تلبس الديباج و الحلي وأنواع الإبريسم
فإن ذلك يفضي إلى الرعونة .

و لا تكثر الكلام في بيتك مع امرأتك في الفراش إلا وقت
حاجتك إليها بقدر ذلك .

و لا تكثر لمسها و مسها و لا تقربها إلا بذكر الله تعالى و لا
تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها و لا بأمر الجواري فإنها
تنبسط إليك في كلامك و لعلك إذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن
الرجال الأجانب

و لا تتزوج امرأة كان لها بعل أو أب أو أم أو بنت إن قدرت
إلا بشرط ألا يدخل عليها أحد من أقاربها فإن المرأة إذا كانت
ذات مال يدعي أبوها أن جميع مالها له و أنه عارية في يدها
و لا تدخل بيت أبيها ما قدرت .

و إياك أن ترضى أن تزف في بيت أبويها فإنهم يأخذون
أموالك و يطمعون فيها غاية الطمع و إياك و أن تتزوج بذات
البنين و البنات فإنها تدخر جميع المال لهم و تسرق من مالك
و تنفق عليهم فإن الولد أعز عليها منك .

و لا تجمع بين امرأتين في دار واحدة و لا تتزوج إلا بعد أن
تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائجها .

و اطلب العلم أولا ثم أجمع المال من الحلال ثم تزوج فإنك إن
طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم و دعاك
المال إلى شراء الجواري و الغلمان و تشتغل بالدنيا و النساء
قبل تحصيل العلم فيضيع وقتك و يجتمع عليك الولد و يكثر
عيالك فتحتاج إلى القيام بمصالحهم وتترك العلم و اشتغل
بالعلم في عنفوان شبابك وقت فراغ قلبك و خاطرك ثم اشتغل
بالمال ليجتمع عندك فإن كثرة الولد و العيال يشوش البال فإذا
جمعت المال فزوج .

و عليك بتقوى الله تعالى و أداء الأمانة و النصيحة لجميع
الخاصة و العامة و لا تستخف بالناس و وقر نفسك و وقرهم
و لا تكثر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك و قابل معاشرتهم

بذكر المسائل فإنه إن كان من أهله اشتغل بالعلم و إن لم يكن من أهله أحبك .

وإياك و أن تكلم العامة بأمر الدين في الكلام فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك ومن جاءك يستفتيك في المسائل فلا تجب إلا عن سؤاله و لا تضم إليه غيره فإنه يشوش عليك جواب سؤاله

وإن بقيت عشر سنين بلا كسب و لا قوت فلا تعرض عن العلم فإنك إذا عرضت عنه كانت معيشتك ضنكا و أقبل على متفقهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنا و ولدا لتزيدهم رغبة في العلم و من ناقشك من العامة و السوق فلا تناقشه فإنه يذهب ماء وجهك و لا تحتشم من أحد عند ذكر الحق و إن كان سلطانا و لا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك و يتعاطاها فالعامة إذا لم يروا منك الإقبال عليها بأكثر مما يفعلون اعتقدوا فيك قلة الرغبة و اعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه .

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم : فلا تتخذها لنفسك بل كن كواحد من أهلهم ليعلموا أنك لا تقصد جاههم و إلا يخرجون عليك بأجمعهم و يطعنون في مذهبك و العامة يخرجون عليك و ينظرون إليك بأعينهم فتصير مطعونا عندهم بلا فائدة و إن استفتوك في المسائل فلا تناقشهم في المناظرة و المطارحات و لا تذكر لهم شيئا إلا عن دليل واضح و لا تطعن في أسأتذتهم فإنهم يطعنون فيك

وكن من الناس على حذر و كن لله تعالى في سر كما أنت له في علانيتك و لا يصلح أمر العلم إلا بعد أن تجعل سره كعلانيته و إذا أولاك السلطان عملا لا يصلح لك فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن تعلم أنه إنما لا يوليئك ذلك إلا لعلمك و إياك و أن تتكلم في مجلس النظر على خوف فإن ذلك يورث الخلل في الإحاطة و الكلل في اللسان

وإياك أن تكثر الضحك فإنه يميت القلب و لا تمس إلا على طمأنينة و لا تكن عجولا في الأمور و من دعاك من خلفك فلا تجبه فإن البهائم تنادى من خلفها و إذا تكلمت فلا تكثر

صياحك و لا ترفع صوتك و اتخذ لنفسك السكون وقله الحركة عادة كي يتحقق عند الناس ثباتك .

وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك و اتخذ لنفسك أورادا خلف الصلاة ة تقرأ فيها القرآن و تذكر الله تعالى و تشكره على ما أودعك من الصبر و أولاك من النعم و اتخذ لنفسك أياما معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقتدي غيرك بك .

وراقب نفسك و حافظ على الغير لتتففع من دنياك و آخرتك بعلمك و لا تشتتر بنفسك و لا تبع بل اتخذ لك غلاما مصلحا يقوم بأشغالك و تعتمد عليه في أمورك و لا تطمئن إلى دنياك و إلى ما أنت فيه فإن الله تعالى سائلك عن جميع ذلك .
ولا تشتتر الغلمان المردان و لا تظهر من نفسك التقرب إلى السلطان و إن قربك فإنه ترفع إليك الحوائج فإن قمت أهانك و إن لم تقم أعابك .

ولا تتبع الناس في خطئهم بل اتبع في صوابهم وإذا عرفت إنسانا بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيرا فاذكره به إلا في باب الدين فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كيلا يتبعوه ويحذروه وقال عليه السلام : [اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس و إن كان ذا جاه و منزلة] و الذي ترى منه الخلل في الدين فاذكر ذلك و لا تبال من جاهه فإن الله تعالى معينك و ناصرك و ناصر الدين فإذا فعلت ذلك مرة هابوك و لم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين .

وإذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم فاذكر ذلك مع طاعتك إياه فإن يده أقوى من يسك تقول له : أنا مطيع لك في الشيء أنت فيه سلطان و مسلط علي غير أنني أذكر من سيرتك ما لا يوافق العلم فإذا فعلت مع السلطان مرة كفاك لأنك إذا واطبت عليه ودمت لعلمهم يقهرونك فيكون في ذلك قمع للدين فإذا فعل ذلك مرة أو مرتين ليعرف منك الجهد في الدين و الحرص في الأمر بالمعروف فإذا فعل ذلك مرة أخرى فادخل عليه وحدك في داره و انصحه في الدين و ناظره إن كان مبتدعا و إن كان سلطانا فاذكر له ما يحضرك من كتاب

الله تعالى و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فإن قبل منك وإلا فاسأل الله تعالى أن يحفظك منه .

واذكر الموت و استغفر للأستاذ و من أخذت عنهم العلم و داوم على التلاوة و أكثر من زيارة القبور و المشايخ و المواضع المباركة و اقبل من العامة ما يعرضون عليك من رؤياهم في النبي صلى الله عليه و سلم و في رؤيا الصالحين في المساجد و المنازل و المقابر و لا تجالس أحدا من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين و لا تكثر اللعب و الشتم و إذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد كيلا تتقدم عليك العامة .

ولا تتخذ دارك في جوار السلطان و ما رأيت على جارك فاستره عليه فإنه أمانة و لا تظهر أسرار الناس و من استشارك في شيء فأشر عليه بما تعلم أنه يقربك إلى الله تعالى .

وأقبل و صيتي هذه فإنك تنتفع بها في أولاك و أخراك إن شاء الله تعالى .

وإياك و البخل فإنه يبغض به المرء و لا تك طماعا و لا كتابا و لا صاحب تخطيط بل احفظ مروءتك في الأمور كلها . وألبس من الثياب البيض في الأحوال كلها و أظهر غنى القلب مظهرا من نفسك قلة الحرص و الرغبة في الدنيا و أظهر من نفسك الغناء و لا تظهر الفقر و إن كنت فقيرا وكن ذا همة فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته .

وإذا مشيت في الطريق فلا تلتفت يمينا و لا شمالا بل داوم النظر إلى الأرض و إذا دخلت الحمام فلا تساو الناس في أجره الحمام و المجلس بل ارجح على ما تعطي العامة لتظهر مروءتك بينهم فيعظمونك و لا تسلم الأمتعة إلى الحائك و سائر الصنائع بل اتخذ لنفسك ثقة يفعل ذلك و لا تماكس بالحبات و الدوانيق و لا تزن الدراهم بل اعتمد على غيرك . وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم فإن ما عند الله خير منها و ول أمورك غيرك ليتمكنك الإقبال على العلم فإن ذلك أحفظ لحاجتك

وإياك إن تكلم المجانين و من لا يعرف المناظرة و الحجة من أهل العلم و الذين يطلبون الجاه و يستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فإنهم يطلبون تخجيلك و لا يبالون منك و إن عرفوك على الحق .

وإذا دخلت على قوم كبراة فلا ترتفع عليهم ما لم يرفعوك كيلا يلحق بك منهم أذية وإذا كنت في قوم تتقدم عليهم في الصلاة ما لم يقدموك على وجه التعظيم .

ولا تدخل الحمام وقت الظهر والغداة و لا تخرج إلى النظارات و لا تحضر مظالم السلاطين إلا إذا عرفت أنك إذا قلت شيئاً ينزلون على قولك بالحق فإنهم إن فعلوا ما لا يحل و أنت عندهم ربما لا تملك منعهم و يظن الناس أن ذلك حق لسكوتك فيما بينهم وقت الإقدام عليه .

وإياك و الغضب في مجلس العلم و لا تقص على العامة فإن القاص لا بد له أن يكذب و إذا أردت اتخاذ مجلس لأحد من أهل العلم فإن كان مجلس فقه فاحضر بنفسك و اذكر فيه ما تعلمه و إلا فلا كيلا يغتر الناس بحضورك فيظنون أنه على صفة من العلم وليس هو على تلك الصفة و إن كان يصلح للفتوى فاذكر منه ذلك و إلا فلا و لا تقعد ليدرس الآخر بين يديك بل أترك عنده من أصحابك ليخبرك بكيفية كلامه و كمية علمه و لا تحضر مجالس الذكر أو من يتخذ مجلس و عظم بجاهك و تركيتك له بل وجه أهل محلّتك و عامتك الذين تعتمد عليهم مع واحد من أصحابك وفوض أمر المناكح إلى خطيب ناحيتك و كذا صلاة الجنّازة و العيدين .

ولا تتسنى من صالح دعائك و اقبل هذه الموعظة مني و إنما أوصيك لمصلحتك ومصلحة المسلمين .⁽¹⁾
- ومن ذلك أيضاً أن أبا حنيفة ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة إلى أن علم موتها، سبع سنين تورعاً منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه، إذ

¹ (زَيْنُ الْعَابِدِينَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نُجَيْمٍ (926-970هـ) ، الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ=1980م ، 433-426/1

هذا شأن أكل الحرام، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام (1)

أحفظ عني ثلاث خصال

قال أيوب السخيتاني : قال لي أبو قلابة : يا أيوب احفظ عني ثلاث خصال : إياك وأبواب السلطان وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية⁽¹⁾.

فمتى أحب ربي؟

قال محمد بن عامر: قال لشقيق: متى أوفق العمل الصالح؟ قال: إذا جعلت أحداث يومك وليلتك متقدمة عند الله. قلت: فمتى أتوكل؟ قال: إن اليقين إذا تم بينك وبين الله سمي تمامه توكلًا. قلت: فمتى يصح ذكرى لربي؟ قال: إذا سمجت الدنيا في عينيك، وقدمت أملك فيما بين يديك. قلت: فمتى أعرف ربي؟ قال: إذا كان الله لك جليسا ولم تر سواه لنفسك أنيسا. قلت فمتى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما أسخطه أمر عندك من الصبر. وكان ما ينزل بك هو الغنم والظفر، وجددت لذلك حمداً وشكراً. قلت: فمتى أشتاق إلى ربي؟ قال: إذا جعلت الآخرة لك قراراً ولم تسم لك الدنيا مسكناً. قلت: فمتى أعرف لقاء ربي؟ قال: إذا كنت تقدم على حبيب، وتصدر عن أمل قريب. قلت: متى أستلذ الموت؟ قال: إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك، وجعلت الآخرة نصب عينيك، وعلمت أن الله تبارك وتعالى يراك على كل حال، وقد أخفي عليك الدقيق والجليل. قلت: فمتى أكتفي بأهون الأغذية؟ قال إذا عرفت وبال الشهوات غداً وسرعة انقطاع عذوبة اللذات. قلت: متى أوتر الله ولا أوتر عليه سواه؟ قال: إذا أبغضت فيه الحبيب، وجانبت فيه القريب.

صفة أصحاب رسول الله ﷺ :

قيل للشعبي: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد وممشاهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى واستقاداتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من

¹ (ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، 201/4

أنفسهم؛ ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستحقوا بسخط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم⁽¹⁾.

أي شيء يقول العاطس إذا عطس ؟

- وعطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله عز وجل ، فقال له ابن المبارك : أي شيء يقول العاطس إذا عطس ؟ قال الحمد لله . فقال ابن المبارك : يرحمك الله . فعجب الحاضرون من حسن أدبه⁽²⁾.

أنت هو يا حسن الوجه ؟

قال الرشيد لسفيان بن عيينة :إني عزمت أن أرى الفضيل بن عياض ، فقال له سفيان :يا أمير المؤمنين ، إنه رجل قد زهد في الناس والدنيا جميعاً ، وأخاف أن تأتيه فتستجفيه ، فقال له :كلا ما عزمت على إتيانه حتى وطنت نفسي على احتمال ما يكون منه ؛ يا سفيان ، إن عز القوي عز لا يزحمه منكباً إمرة ولا خلافة . قال :فأتيت فضيلاً بما قال :فقال :ما أعقله لولا أنه يحب العاجل ، ثم قال :إني لأحب أن يأتيني وأكره أن يأتيني ، فأما محبتي لمجيئه فلعلي أعظه بموعظة ينتفع بها هؤلاء الناس ، وأما كراهيتي لمجيئه فلأنني أراه يرفل في النعم عارياً من الشكر . قال :ثم أذن ، فمضيت مع الرشيد إليه ، وقد اختلط الظلام ، وعلى الرشيد طيلسان غسيل قد غطى به رأسه ، فلما هجمنا عليه في بيته وشم الرائحة سمعته يقول :اللهم إني أسألك رائحة الخلد التي أعدتها لأوليائك المتقين ، فرفع طرفه إليه وعينه تقطر فقال :أنت هو يا حسن الوجه ؟ ثم وعظه فجعل يبكي حتى اشتد نشيجه ،

⁽¹⁾ أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 150/2

⁽²⁾ كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ - 2003 م ، 158/1

ثم قال له :ازدد من هذا ، فما أعرف في هذه الليلة أحداً
أحوج إليه منك ، ثم وثب إلى صلاته ، وما كان ذاك إلا كخطفة
الطير . فلما صرنا إلى صحن الدار قال لي الرشيد :يا سفيان
، ما رأيت التقوى في وجه أحد قط أبين منها في وجه هذا
الشيخ ، ولولا التحشم منك لقبلت ما بين عينيه ، فقلت له
والله لعلى ودي أن تكون فعلت ذلك ، فكتب الله لك ثوابه
وأجره ، فقال :إني أرجو أن يكون قد كتب لي ثوابه بالنية
ولو لم أفعل .انظر -فديتك -إلى هذا الحديث ، وانظر إلى
زمانك وإمامك وسلطانك ، فإنك ترى فرقاً يوحش القلب ،
ويورث الأسف ، والله أمر هو بالغه لا نعترض عليه ، ولا
ننازع فيه ، ولكن نلجأ إلى كنفه ، ونسأله زيادة من عطفه ،
فإنه رحيم بعباده ودود (1) .

الإيمان قول وعمل

قال يحيى بن المحشو .سمعت سفيان بن عيينة وقد سأله رجل
عن الإيمان فقال : الإيمان قول وعمل، قال : يزد وينقص؟ قال
يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه مثلاً ذاً، وأشار
بأطراف أصابه، قال فكيف نضع بقوم عندنا بطرسوس
يزعمون إنما هو قول : قال كان القول قولهم واستوى قاعداً
قبل أن تنزل أحكام الإيمان وشروطه أن الله عز وجل بعث محمداً
صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا لا
إله إلا الله وأنه رسول الله، فلما قالوها حقنوا بها دماءهم
وأموالهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم
فأمرهم بالصلاة ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعمهم الإقرار
الأول فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن
يهاجروا إلى المدينة غرباً، ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعمهم
الإقرار الأول ولا صلاتهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم
أمره أن يأمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأولادهم
وإخوانهم ، ويقولوا كقولهم ويصلوا صلاتهم ويهاجروا
كهجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أن أحدهم أتى برأس أبيه،
فقال يا رسول الله هذا رأس الشيخ الكافر، والله لو لم يفعلوا ما

(1) أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 31/3

نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرتهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يطوفوا بالبيت تعبدًا، وأن يحلقوا رؤوسهم تذللًا، فأمرهم ففعلوا، والله لو لم يفعلوا لما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرتهم ولا قتلهم آباءهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم، قال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وكانت أشد الخلال عليهم ففعلوا، وأتوا به سرًا وعلانية قليلها وكثيرها، فلما علم الله الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وضروبه فأنزل الله عليهم : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " ، فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان عندنا كافرًا، ومن تركها كسلًا أو تهاونًا أدبناه وكان عندنا ناقصًا . هكذا السنة يا بني فأبلغها عني من لقيت من جماعة المسلمين. (1)

النرد والشطرنج سواء

عن عيسى بن صبيح مولى عمرو بن عبيدة القاضي قال : كنت مع أيوب السخثياني فرأى قوماً يلعبون بالشطرنج فقال لمحمد بن المنكدر، فقال : من يلعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله؛ فقال له عمرو بن عبيدة : ليس هذا نرد، هذا شطرنج؛ فقال أيوب: النرد والشطرنج سواء.

فكن على حذر

قال الزهري : سمعت رجلاً يقول لهشام بن عبد الملك : لا تعدن يا أمير المؤمنين عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرًا ، وأعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور تعاقباً فكن على حذر (2) .

ان عرفت الله حق معرفته أغناك ذلك عن كل كلام وموعظة

عن سع يد بن يحيى : كنا عند مالك بن دينار فمر بنا خليفة البهراني فسلم على حالك، فقال : عظنا يا أبا عبد الله، فقال : يا أبا يحيى، أنك والله ان عرفت الله حق معرفته أغناك ذلك عن كل كلام وموعظة، أبا يحيى، ان المؤمنين لم يعبدوا الههم عن

¹ (ابن الشجري ، الأمالي الشجرية ، 9/1

² (أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 145/4

رؤية : انما عبوده عن دلالة، انهم والله لما نظروا الى اختلاف الليل والنهار، ودوران هذا الفلك، وارتفاع هذا السقف المرفوع بغير عمد، ومجاري هذه البحار والانهار، علموا ان لذلك صانعا ومديرا لا يغرب عنه مثقال ذرة من أعمال خلقه في السماوات والارض، فعبدوا الله بدلائله على نفسه، عبادة أنضت الابدان، وآحالت الألوان، حتى كأنما عبوده عن رؤية . فهم في الدنيا حية قلوبهم، ميتة جوارحهم، الا عند الذكر والمناجاة والنهوض الى طاعته، فبكى مالك بكاء شديدا ثم قام عشيته لم يتكلم بشيء. (1)

إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل
وقال مالك بن دينار لراهب : عطني ! فقال : إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل(2).

¹ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 1 / 12

² (الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، 339/1

العفو عن الناس :

العفو لغة : مصدر قولهم عفا يعفو عفوا وهو مأخوذ من مادة (ع ف و) التي تدلّ على معنيين أصليين الأول: ترك الشّيء، والآخر طلبه ، ومن المعنى الأول عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إيّاهم فلا يعاقبهم، فضلا منه تعالى، قال الخليل: العفو تركك إنسانا استوجب عقوبة فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفوّ الغفور.

وقال الجوهري: يقال: عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه، والعفوّ على فعول: الكثير العفو.

والعفوّ من أسماء الله تعالى:

قال ابن الأثير: من أسماء الله تعالى «العفو» هو فعول من العفو وهو التّجاوز عن الذّنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطّمس، وهو من أبنية المبالغة .

وقال الغزالي: والعفوّ صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيّئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنّه أبلغ منه فإنّ الغفران ينبأ عن السّتر، والعفو ينبأ عن المحو، والمحو أبلغ من السّتر. وحظّ العبد من ذلك لا يخفى وهو أن يعفو عن كلّ من ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسنا في الدّنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة. بل ربّما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محاسنّاتهم، إذ التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له. وهذا غاية المحو للجناية.

وقال ابن القيم- رحمه الله- تعالى: ومن حكمة الله- عزّ وجلّ- تعريفه عبده أنّه لا سبيل له إلى النّجاة إلّا بعفوه ومغفرته- جلّ وعلا- وأنّه رهين بحقه، فإن لم يتغمّده بعفوه ومغفرته، وإلّا فهو من الهالكين لا محالة فليس أحد من خلقه إلّا وهو محتاج إلى عفوه ومغفرته كما هو محتاج إلى فضله ورحمته .

وقال الله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ
يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا (النساء: 97-99)
وقال تعالى: " إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا (النساء: 149)
وقال تعالى: " الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ
أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ (المجادلة: 2)
وقال تعالى: " وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة: 51-52)
وقال تعالى: " وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ
فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (البقرة: 109)
وقال تعالى: " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا
اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا
عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ (آل عمران: 130-136)

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أَنَّ الرَّبِيعَ- وهي ابنة
النَّضْرِ- كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش (1)، وطلبوا العفو
فأبوا، فأتوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأمرهم بالقصاص.
فقال أنس بن النَّضْرِ: أَتَكسر ثنية الرَّبِيعِ يا رسول الله؟ لا

¹ (الأرش: في الحكومات، وهو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأروش الجنايات والجراحات من ذلك.

والذي بعثك بالحق لا تكسر (1) ثنيتها. فقال: «يا أنس، كتاب الله القصاص» فرضي القوم وعفوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره (2)

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الأنصار كرشي وعيبتني الناس سيكثرون ويقتلون (4)، فاقبلوا من محسنهم، واعفوا عن مسيئهم (5)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «تعافوا (6) فيما بينكم، فما بلغني من حدّ فقد وجب (7)

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! كم نغفو عن الخادم؟ فصمت!، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت!، فلما كان في الثالثة، قال: «اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة (8)

وعن أبي بكر- رضي الله عنه- أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

¹ قوله (لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها): ليس من باب العصيان لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما من باب الرجاء والدعاء أن يلهمهم الله العفو ويعفو. وهذه من كرامة المسلم عند الله إذا دعا استجاب له.

² (البخاري- الفتح 5 (2703) واللفظ له، ومسلم (1675)

³ (كرشي وعيبتني: معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم.

⁴ (ويقتلون: أي ويقل الأنصار.

⁵ (مسلم (2510)

⁶ (تعافوا: أمر بالعفو وهو التجاوز عن الذنب.

⁷ (أبو داود (4376) واللفظ له، وقال الألباني (828/3): صحيح، وهو عنده في النسائي (4538، 4539)، النسائي (70/8). الحاكم (383/4) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

⁸ (أبو داود (5164) واللفظ له، ونظرت جميع رجاله ثقات ما عدا الخولاني قال عنه في التقريب: لا بأس به. وأخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، فالحديث حسن الإسناد، وقال الألباني (970/3): صحيح وعنده في الترمذي (2031). وقال محقق «جامع الأصول» (8/48): إسناده حسن.

وخطب أبو بكر- رضي الله عنه- قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام الأول، وبكى أبو بكر، فقال أبو بكر: «سلوا الله المعافاة- أو قال: العافية. فلم يوت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة- عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا كما أمركم الله تعالى(1)» وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- «كلّ الناس مني في حلّ.

وعن عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال: «سبق النبيّ صلى الله عليه وسلم، وصلى أبو بكر وثلاث عمر، ثمّ خطبتنا أو أصابتنا فتنة، يعفو الله عمّن يشاء. وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النّفر الذين يدينهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبّانا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرّ لعيينة فأذن له عمر، فلمّا دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل (2) ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتّى همّ بهمّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين! إنّ الله تعالى قال لنبيّه خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (الأعراف/ 199) وإنّ هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله(3)

وعن الحسن، قال: «أفضل أخلاق المؤمن العفو. وروي أنّ راهبا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للراهب: «أرأيت ذا القرنين أكان نبيا؟». فقال: «لا، ولكنه إنّما أعطي

¹ (أحمد في المسند (3 / 1) وقال محققه الشيخ أحمد شاكر (156 / 1): إسناده صحيح ورواه الترمذي (3558) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر- رضي الله عنه.-

² (الجزل: الكريم المعطاء، والعاقل الأصيل الرأي.

³ (البخاري- الفتح 8 (4642)

ما أعطي بأربع خصال كنّ فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدّث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد.

ومن فوائد العفو عن الناس

- العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.
- كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظنّ.
- كلاهما يثمر محبة الله- عزّ وجلّ- ثمّ محبة الناس.
- العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلّل.
- الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.
- كلّ من العفو والغفران يهيّئ المجتمع والنشء الصّالح لحياة أفضل.
- كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين.

ومن المواقف :

فاجعله آخر ذنوبه

وجلس ابن مسعود في السّوق يبتاع طعاما فابتاع، ثمّ طلب الدّراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلّت، فقال: لقد جلست وإنّها لمعي، فجعلوا يدعون علي من أخذها ويقولون: اللّهمّ اقطع يد السّارق الّذي أخذها، اللّهمّ افعل به كذا، فقال عبد الله: «اللّهمّ إن كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذّنّب فاجعله آخر ذنوبه. وقال معاوية- رضي الله عنه «:- عليكم بالحلم والاحتمال حتّى تمكّنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصّفح والإفضال.

أقول لا تثريب عليكم اليوم

وقال مالك بن دينار: «أتينا منزل الحكم بن أيّوب ليلا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنّا مع الحسن إلّا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصّة يوسف- عليه السّلام- وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النّساء ومن الحبس، ثمّ قال: أيّها الأمير، ماذا صنع الله به؟

أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟ قال: لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (يوسف/ 92)، يعرّض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تَثْرِيْبَ عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لو اريتكم تحته.

خَلُّوا سَبِيلَهُ

وروي أنّ زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخا له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا: أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى. أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (النجم 38) فقال زياد: «خَلُّوا سَبِيلَهُ، هذا رجل قد لقن حجته.

-36

سياسة المنصور في العفو عن المسيء

ولما احتال ابو الازهر بالمهلب بن عبيثر المهري لعبد الحميد بن ربيعي بن خالد ابن مغداق وأسلمه إلى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد الى المنصور قال لا عذر فأعذر وقد احاط بي الذنب وانت أولى بما ترى قال لست أقتل أحدا من ال قحطبة بل أهب مسيئهم المحسنهم وغادرهم لوفيههم قال ان لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اسكت مقبوحا مشقوحا اخرج فانك أنوك جاهل أنت عتيقهم وطييقهم ما حييت .

وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن ابراهيم بن عبد الله وصار الى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤوس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ثم قال قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفت ما كان من إحساني اليه وحسن بلائي عنده وقديم نعمتي عليه والذي حاول من الفتنة ورام من البغي وأراد من شق العصا ومعاوثة الاعداء وإراقة الدماء وأنه قد استحق بهذا من فعله

أليم العقاب وعظيم العذاب وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ورب نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عن ظلم والصفح عن أساء وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيقهم .

تأني علي فإن التآني نصف العفو!

أتى بعض الملوك برجل قد أجرم فأمر بضرب عنقه فقال له الرجل: يا مولاي! تأني علي فإن التآني نصف العفو! فعفا عنه.

فيك موضع للصنيعة

أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بضرب عنقه فقال: أيها الأمير ما أقبح أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول: يا رب! سل مصعباً فيم قتلني؟ فقال مصعب: أطلقوه! قال: اجعل ما وهبت في حياتي من خفض! قال: أعطوه عشرة آلاف درهم! قال: بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات خمسة آلاف! قال: ولم؟ قال: لقوله:

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

يتقي الله في الأمور وقد ... أفلح من كان همه الالتقاء

فضحك مصعب؛ وقال: فيك موضع للصنيعة . وأمره بملازمته وأحسن إليه معه حتى قتل مصعب.

إن عفوك لا يكون غدرًا!

قال بعض المشايخ؛ جرى بين شهرام المروزي وبين أبي مسلم الخراساني كلام شديد فما زال أبو مسلم يقول له إلى أن قال له شهرام بالغيط: كذبت! فلما قال له ذلك صمت أبو مسلم وندم شهرام وأقبل عليه معترداً وخاضعاً متذلاً؛ فلما رأى ذلك أبو مسلم قال: لسان سبق ووهم أخطأ، وإنما الغضب شيطان وأنا جرأتك بطول احتمالي إياك؛ فإن كنت متعمداً فقد شاركك فيه، وإن كنت مغلوباً فالعذر يسعك؛ وقد عفونا عنك على كل حال . فقال شهرام: أيها الأمير! إن عفوك لا يكون غدرًا! قال: أجل! قال: فإن عظم ذنبي لا يدع قلبي يسكن! ولج في

الاعتذار فقال أبو مسلم : يا عجي ! كنت تسيء وأنا أحسن
فإذا أحسنت أسيء؟!.

اذهب فأنت حر

كان للمأمون خادم، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب
الماء على يديه، إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون
عليه، فقال : يا أمير المؤمنين، إن الله يقول : " والكاظمين
الغیظ " . قال : قد كظمت غیظي عنك . قال : " والعافين عن
الناس " . قال : قد عفوت عنك . قال : " والله يحب المحسنين
" . قال : اذهب فأنت حر.

فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه

ومدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء فأنشأ
يقول:

لَتُنصِفَنِي يا أبا حاتم ... أو لأصيرنَّ إلى حاكم
أول ما أتلفت من ماله ... خمسين ألفاً في شري هاشم
خمسين ألفاً وضحاً كلها ... من مال هذا الملك النائم
فاحتفظها صاحب الخبر ورفعها إلى الرشيد فقال: صدق، لولا
أني نائم ما كانت أموري تجري على هذا السبيل: وأمر
بإخراج الجرائد من الدار إليه. فأول ما وجد على منصور بن
زياد عشرة آلاف ألف درهم.

فحدث صالح صاحب المصلّى قال: دعاني الرشيد وهو على
كرسي فقال: اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من
عشرة آلاف ألف درهم فإن لم يوردها بينك وبين المغرب
فاضرب عنقه وجئني برأسه وأنا نفي من المهدي لئن أنت
دافعت عنه لأضربنَّ عنقك. قلت: يا سيدي فإن أعطاني بعضها
ووقت لي في بعضها وقتاً؟ قال: لا. فخرجت فأعلمته الخبر
فأسقط في يده وقال: ما أراد إلا قتلي لأنه يعلم أن مقدار مالي
لا يبلغ ما به طالبني، ولكن تأذن لي أن أدخل بيتي فأودع
أهلي؟ فأذنت له فدخل ودخلت معه وبقيت واقفاً فبعث إلى
أمهات أولاده وبناته ونسائه أن اخرجن إلي كما كنتن تخرجن
عند موتي فإن هذا آخر أيامي ولا ستر لكن بعدي. فخرجن
إليه مشققات الجيوب مخمّشات الوجوه بصراخ شديد. فبكى

إليه وبكين إليه وبكيت معهن ثم ودعهن وخرج وهن في أثره واضعات التراب على رؤوسهن، ثم قال: يا أبا مقاتل لو أذنت لي في المصير إلى أبي عليّ يحيى بن خالد البرمكي فكنت أوصيه بولدي وأهلي؟ فقلت: امض. وصرنا إليه وقد نزل في ساعته وهو على كرسي يغسل يده، فلما توسطنا الدار جعل منصور يبكي ويمشي إليه حتى دنا منه وهو يسأله عن الحال فيمنعه البكاء من إخباره، فأقصت عليه قصته فقال: ارجع إلى أمير المؤمنين وسله أن يهبه لي. قلت: ما لي إلى ذلك سبيل ولا يراني إلا والمال معي أو رأس منصور كما أمرني. فقال لخادم له: انت فلانة فسلها كم لنا عندها من المال. فانصرف وذكر أن عندها خمسة آلاف ألف درهم. فقال لي: احملها وابلغ أمير المؤمنين رسالتي في باقيها. فأعلمته أن لا سبيل إلى حمل بعضها دون بعض. فأطرق ثم رفع رأسه ثم قال: يا غلام انت دنانير فقل لها تبعث إلي بالجوهر الذي وهبه لها أمير المؤمنين. فبعثت إليه بحق فقال: هذا جوهر ابتغاه لأمرير المؤمنين بمائتي ألف دينار وهو عارف به وقد جعلته له بمائة ألف دينار وهو ألفا ألف درهم، واحمل إليه هذه السبعة الآلاف والألف والرسالة. فأبيت.

فوجه إلى الفضل ابنه: إنك كنت أعلمتني أنك على ابتياع ضيعة نفيسة وقد أصبتها ولا يوجد مثلها في كل وقت وابتياعها فرصة فاحمل إلي مالها. فعاد الرسول ومعه ألفا ألف درهم. ووجه إلى جعفر ابنه أن يوجه إليه بألف ألف درهم. فأنفذ إليه صكاً أو صكاً إلى الجهد بها. فقبضت المال ووافيت الرشيد قبل المغرب وهو منتصب على حالته ينتظر رجوعي إليه. فأخبرته الخبر فلما انتهيت إلى خبر الحقّة قال: صدق وقد ظننت أنه لا ينجيه غيرهم، احمل هذا المال أجمع إلى أبي عليّ وارده عليه وأعلمه أنني قد قبلت ذلك عن منصور وردده عليه. ففعلت ذلك.

ولقيني بعد ذلك يحيى منصرفاً من الدار ومنصور معه يسايره ويضاحكه والناس خلفه فقلت: والله لأنصحن هذا الشيخ

الكريم. فدخلت معه ودخل منصور ودعا بغدائه، فلما نهض منصور قلت: يا أبا علي إني والله ما رجعت معك إلا لنصحك وقد رأيت مكان هذا الرجل منك وكنا حين حملت المال أنهضته معي فوالله ما قطع نصف الصحن من الدار حتى تمثل بهذا البيت:

فما بَقيا علي تركتmani ... ولكن خفتما صرد النبال
فعارض أكرم فعلك بالأم خصلة فيه فدعاني الامتعاض من ذلك
إلى إخبارك، فإني من تعلم في مودتك وطاعتك. فأكب على
الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال: اعذره فقد كان عقله عزب
عنه في ذلك الوقت. قال: فكان عذره له أحسن من إحيائه
إياه⁽¹⁾.

والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله

قيل: وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جنايةً.
فحبسه يحيى وسأله عنه الرشيد فقيل: هو كثير الصلاة
والدعاء. فقال للموكل به: اعرض عليه أن يكلمني ويسألني
إطلاقه. فقال له ذلك الموكل به فقال: قل لأمير المؤمنين إن
كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب
والموعد الصراط والحكم الله. فخرّ الرشيد ساجداً مغشياً عليه
وأمر بإطلاقه⁽²⁾.

لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد

قيل: وأتي الرشيد برجل قد وجب عليه الحد فأمر أن يضرب
فضرب. فقال: يا أمير المؤمنين قتلتني! قال: الحق قتلك. قال:
ارحمني! قال: لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد. ثم أمر
بإطلاقه.

¹ (البیهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص 217

² (البیهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص 217

ولأن تتدم على العفو خير من أن تتدم على العقوبة

قال الشعبي : دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت : أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تتدم على العفو خير من أن تتدم على العقوبة .قال : صدقت يا شعبي .وأمر بالرجل إلى السجن⁽¹⁾.
إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!

وسمع الشعبي رجلاً يشتمه فقال : إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك !ثم تمثّل :
ليست الأحلام في حال الرضى ...إنما الأحلام في حال الغضب
فأعطه ما يحب من العفو

قال المدائني : أراد الحجاج قتل من بقي في ديوان ابن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم، فقال له قتيبة بن مسلم : أصلح الله الأمير إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعطه ما يحب من العفو، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال : لله در قتيبة لقد أبلغ في الموعظة، ولقد أحسن الحجاج في القبول⁽²⁾.

ويحك! بأي وجه تلقاني؟

هجا نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم، وكان ولي خراسان بعد يزيد بن المهلب، فقال:

كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها ... وكل باب من الخيرات مفتوح

فبدلت بعده قرداً نطوف به ... كأنما وجهه بالخل منضوح
فطلبه فهرب منه، ثم دخل عليه بكتاب أمه، فقال له : ويحك !
بأي وجه تلقاني؟ قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه
أكثر من ذنوبي إليك. فقر به ووصله وأحسن إليه⁽³⁾.

لم حَلَمْتُ عنه؟

وقال المدائني : شتم رجل المهلب بن أبي صفرة فلم يردد عليه، ف قيل له : لم حَلَمْتُ عنه؟ قال : لم أعرف مساويه،

¹ (ابن عبد البر ، بهجة المجالس وأنس المجالس ، 75/1

² (البلاذري ، أنساب الأشراف، 447/2

³ (ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 136/1

وكرهت أن أبهته بما ليس فيه . وشتم رجل فقال الرجل
لشاتمته: يا هذا، ما ستر الله عليك من عورتي أكثر، وأنشد:
لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا ... حتى يذلوا وإن عزوا
لأقوام
أو يشتّموا فترى الألوان مشرقةً ... لا صفح ذلّ ولكن صفح
أحلام⁽¹⁾

والله ماكان شيء من هذا:

وهجاه رجلٌ قضى عليه لزوجته فقال:
فتنّ الشعبيّ لمّا ...رفع الطّرفَ إليها
فتنته حين ولّت ...ثم هزّت منكبيها
فتنته بقوامٍ ...وبخطي حاجبيها
وبنان كالمداري ...وبحسن معصميا
من فتاة حين قامت ...رفعت مأمّتها
كيف لو أبصر منها ...نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه ...ساجداً بين يديها
قال للجلواز: قدمها وأحضر شاهديها
فقضى جوراً على الخصم ولم يقض عليها
بنت عيسى بن جرادٍ ...ظلمَ الخصم لديها
ما على الشعبي لم يؤ ...ف الذي كان عليها
فلما سمع الشعبي الأبيات ضحك وقال
من هذا⁽²⁾.

: لا والله ماكان شيء

وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك

ذكر عبد الغني المقدسي في كتابه محنة الإمام أحمد بسنده
إلى أبي علي حنبل قال : حضرت أبا عبد الله -أي أحمد بن
حنبل -، وأتاه رجل في مسجدنا، وكان الرجل حسن الهيئة
كأنه كان مع السلطان، فجلس حتى انصرف من كان عند أبي
عبد الله، ثم دنا منه فرفعه أبو عبد الله لما رأى من هيئته،
فقال الرجل : يا أبا عبد الله ! اجعلني في حل، قال أحمد : من

¹ (المبرد ، الفاضل ، 27،

² (المرزباني ، نور القبس، 88/1

ماذا؟ ! قال : كنت حاضراً يوم ضربت، وما أعنت ولا تكلمت، إلا أني حضرت ذلك.

فأطرق أبو عبد الله ثم رفع رأسه إليه فقال : أحدث لله توبة ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف، فقال له : يا أبا عبد الله ! أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان، قال له أبو عبد الله : فأنت في حل وكل من ذكرني إلا مبتدع، قال أبو عبد الله : وقد جعلت أبا إسحاق - المعتصم - في حل، ورأيت الله عز وجل يقول : { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } [النور : 22] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالعفو في قضية مسطح .

ثم قال أبو عبد الله : العفو أفضل، وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك، لكن لتعف وتصفح عنه فيغفر الله لك كما وعدك.

فالحق يسعهم ويخرجهم

قال المدائني أتى الأحنف بن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم فقال أصلح الله الأمير إن كان حبسوا في باطل فالحق يسعهم ويخرجهم وإن كانوا حبسوا بحق فالعفو يسعهم (1) .

كثر بكائك الليلة فما السبب؟

ساق المقدسي رحمه الله بسنده إلى أبي علي الحسن بن عبد الله الخرقى قال : بت مع أحمد بن حنبل ليلة، فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت : يا أبا عبد الله كثر بكائك الليلة فما السبب؟ قال أحمد : ذكرت ضرب المعتصم إياي ومروءي في الدرس قوله تعالى : { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } [الشورى : 40] فسجدت وأحلتته من ضربتي في السجود.

رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!

ذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة عن أبي محمد فوزان قال : جاء رجل إلى الإمام أحمد فقال له : نكتب عن محمد بن منصور الطوسي ؟! فقال : إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون

ذلك؟ ! قالها مراراً، فقال الرجل : إنه يتكلم فيك، فقال أحمد رحمه الله تعالى: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!.

لا يزيد على قوله اللهم أغفر للمعتصم

وما أعجب ! مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، اقرؤوا هذا الكتاب محنة الإمام أحمد بن حنبل ، انظروا مواقف مع من عاداه ومع من ضربه ومع من سبه وشتمه، فرحم الله الإمام أحمد .

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي دخلت يوما على أحمد بن حنبل فإذا هو مغمو مكروب فقلت ما لك يا أبا عبد الله قال خير قلت وما الخير قال امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت إلا أنه بقي في صلي موضع يوجعني هو أشد علي من ذلك الضرب قال قلت اكشف لي عن صلبك قال فكشف لي فلم أرفيه إلا أثر الضرب فقط فقلت ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخير عن هذا قال فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له أدخل الحبس في حاجة قال أدخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ثم قلت من منكم ضرب أكثر قال فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضربا وأشدهم صبورا قال فقلت له أسألك عن شيء فقال هات فقلت شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطا يسيرة إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ إلا أن موضعا في صلبه يوجعه وجعا ليس له عليه صبر قال فضحك فقلت مالك قال الذي عالجه كان حائكا قلت إيش الخبر قال ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها قلت فما الحيلة قال يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وإن تركت بلغت الى فؤاده فقتلته قال فخرجت من الحبس فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته فقصصت عليه القصة قال ومن يبطه قلت أنا قال أو تفعل قلت نعم قال فقام فدخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان وعلى كتفه

فوطه فوضع إحداهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال استخر الله فكشفت الفوطه عن صلبه وقلت أرني موضع الوجع فقال ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به فوضعت إصبعي وقلت ها هنا موضع الوجع قال ههنا أحمد الله على العافيه فقلت ها هنا قال هاهنا أحمد الله على العافيه فقلت هاهنا قال هاهنا أسأل الله العافيه قال فعلت انه موضع الوجع فال فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول اللهم أغفر للمعتصم حتى بططته فأخذت القطعه الميتة ورميت بها وشدت العصا به عليه وهو لا يزيد على قوله اللهم أغفر للمعتصم قال ثم هداً وسكن ثم قال كأي كنت معلقاً فأصدرت قلت يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيك تدعو للمعتصم قال إني أفكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت أن آتي يوم القيامة وبينني وأحد من قرابته خصومة هو مني في حل.(1)

كيف تمشين؟

ويقول عبد الله بن محمد الصارفي : كنت عند أبي عبد الله البخاري في منزله فجاءته جارية وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها : كيف تمشين؟ قالت إذا لم يكن طريق كيف أمشي فبسط يديه وقال لها اذهبي فقد أعتقتك . قال فقل له فيما بعد يا أبا عبد الله أغضبتك الجارية قال إن كانت أغضبتني فإني أرضيت نفسي بما فعلت.

فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج

عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال : حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن جدعان، والحسن يومئذ مستخف، ونحن معه مستخفون، فأتاه الحسن ليلاً وأتيناها فأذن له وأجلسه معه على السرير فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج، فذكر يوسف النبي عليه الصلاة والسلام وإخوته فقال : باعوا أخاهم وحزنوا أباهم ومكانه من الله مكانه، ثم لقي

(1) محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، وضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1397 - 1977 ، ص 166

يوسف ما لقي من الحبس وكيد النساء، ثم أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه، وجعله أميناً على خزائن الأرض فلما أكمل له أمره، وجمع أهله، وأتاه بأبويه، وأقر عينه قالوا : " تالله لقد أثرك علينا وإن كنا لخاصئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " . قال الحكم : وأنا أقول لا تثريب عليكم، لو لم أجد الا ثوبي هذا لواريتم به، وأطلق علياً.(1)

جاء ليسرقنا فسرقتناه

وتأمل في قصه مالك بن دينار والتي ذكرها ابن الجوزي ، وهو يبين لنا عظيم الفطنة والحركة ، في مسألة اصطياده الناس، يذكر أنه جاءه رجل لص إلى بيته ليسرق، فإذا بالبيت ليس فيه ما يستدعي السرقة وبصر به مالك فقال : يا هذا فاتك حظك من الدنيا؟ قال : نعم قال : فهل لك في شيء من الآخرة ، قال فماذا قال : توضأ فصل ركعتين، ثم ما لبث أن أخذه صلاة الفجر، فقال له بعض الناس من هذا؟ قال: جاء ليسرقنا فسرقتناه.

مع خطائك صواباً كثيراً :

قال الأصمعي :استأذن الشعبي على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل فأذن له ، فلما مثل بين يديه قال :أنا الشعبي :يا أمير المؤمنين ، قال عن علم بك أذن لك ، قال الشعبي : فعقدت أوله إلى أن قال :من أشعر الناس ؟ فقال الأخطل :أنا :ولم أعرفه فقلت :كذبت يا شيخ ، امرؤ القيس أشعر منك ، قال :صدقت ، ولكن أمير المؤمنين سألني عن أهل زمانه فخيرته ، فإذا كذبت امرءاً فاعرف ما خطب قولك ، فعقدت في يدي ثانية أخطأت فيها ، فنهض الشيخ فقلت :من هذا يا أمير المؤمنين ، فوجم ، وعلمت أنني قد أخطأت الثالثة ، إذ صيرت أمير المؤمنين ولي مسألتي ، فالتفت إلي عبد الملك فقال لي : هذا الأخطل ؛ يا شعبي ، لا يهولنك ما كان منك ، فإن مع خطائك صواباً كثيراً (2).

¹ (البلاذري ، أنساب الأشراف ، 4 / 318

² (أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 3/184

إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب

قال ابن شهاب الزهري : دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا فقال لي : من أنت فانتسبت له فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة ابن الأشعث فقلت : يا أمير المؤمنين إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب .

فأعجبه ذلك وقال : أين نشأت قلت : بالمدينة قال : عند من طلبت قلت : سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب قال : فأين أنت من عروة بن الزبير فإنه بحر لا تكدره الدلاء .

فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات .⁽¹⁾

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبدفیه فضله عليك وقد قال عز وجل : (لَن شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم : 7)؛ فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعتها وعن حججه عليك كيف قضيتها فلا تحسبن الله عز وجل راضياً منك بالتعذير ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال (لَتَبَيَّنَنَّ لِلنَّاسِ لَآ تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران : 187)؛ إنك تقول إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالاً منك بفهمك واقتداراً منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل (هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (النساء

(109: اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن أنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت، فما أخلقتك أن ينوه غداً باسمك مع الجريمة وأن تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدور عليه رحي باطلهم وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم وسلماً إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك ! فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً، ما لك لا تتنبه من نعستك وتستقيل من عثرتك؟ ! فتقول : والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً، أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟ ! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل فيهم : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) (الأعراف : 169) الآية؛ إنك لست في دار مقام، قد أودنت بالرحيل، فما بقاء المرء بعد أقرانه؟ ! طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده؟ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره ! احذر فقد أتيت، وتخلص فقد وهلت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداودينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أنني أردت توبيخك وتعيرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك وترد عليك ما عذب عنك من حلمك وذكرت قوله تعالى : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات

(55:) ، أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعصب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيراً ممنعه أو علمك شيئاً جهلوه؛ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث في سنه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله؟! ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.⁽¹⁾

ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب

وقال مالك بن دينار ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس إذا لقي الناس وأرحم الناس إذا استحكم الباس ويقال أرق الناس قلوباً أقلهم ذنباً وقال عمر ابن العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي : ابغ للناس من الخي ... ر كما تبغي لنفسك (2)

1 (صفة الصفوة ، 160/2-164

2 (الوطواط ، غرر الخصائص الواضحة ، 1 / 155

وفي الخوف من الفتيا:

لقد أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم . فقال تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ } { وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (يونس : 59 – 60)
ويقول تعالى : { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } { مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النحل : 116- 117)

ومن أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري عن حكم الله فيه أو يقول عن الشيء إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه أو يقول عن الشيء إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه أو يقول عن الشيء إنه غير واجب وهو لا يدري أن الله لم يوجبه.

إن هذا جناية وسوء أدب مع الله عز وجل كيف تعلم أن الحكم لله ثم تتقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم لقد قرن الله تعالى القول عليه بلا علم بالشرك به فقال سبحانه وتعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (الأعراف : 33) .

إن كثيرا من العامة يفتي بعضهم بعضا بما لا يعلمون فتجدهم يقولون: هذا حلال أو حرام أو واجب أو غير واجب وهو لا يدري عن ذلك، أفلا يعلم هذا الرجل أن الله سائله عما قال يوم القيامة. أفلا يعلم أنه إذا أضل شخصا فأحل له ما حرم الله أو حرمه مما أحل الله له فقد باء بإثمه وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتواه؟

إن بعض الناس لجراته وعدم ورعه يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه: ما أظن هذا حراما، أو عن الشيء الواجب

الواضح وجوبه: ما أظن هذا واجبا، إما جهلا منه أو عنادا أو مكابرة أو تشكيكا للناس في ذلك.

إن من العقل وإن من الإيمان وإن من تقوى الله وتعظيمه أن يقول الرجل عما لا يعلم لا أعلم لا أدري أسأل غيري، فإن ذلك من تمام العقل، لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به ولأنه يعرف قدر نفسه حينئذ وينزلها منزلها، وإن ذلك من تمام الإيمان بالله حيث لا يتقدم بين يدي ربه ولا يقول عليه ما لا يعلم. ولقد كان النبي يسأل عما لم ينزل عليه فيه الوحي فينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيجيب الله سبحانه عما سئل عنه نبيه: يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات [المائدة: 4].

ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم ذكرا [الكهف: 83]. يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو [الأعراف: 187]. ولقد كان الأجلاء من الصحابة تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله فيها فيها بونها ويتوقفون فيها، فها هو أبو بكر يقول: أي سماء تظلمي وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم.

وها هو عمر بن الخطاب تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها وقال ابن سيرين لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر.

وقال ابن مسعود: أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم.

وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا أحسنها فقال له أصحابه: قد استحينا لك، فقال: لكن الملائكة لم تستحي حين قالت: لا علم لنا إلا ما علمتنا.

وجاء رجل إلى مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسافة بعيدة في مسألة حملني إياها أهل بلدي لأسألك. فقال: فسل. فسأله فقال: لا أحسنها. فبهت

الرجل فقال: ماذا أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن.

وكان الإمام أحمد يسأل عن المسألة فيتوقف أو يقول: لا أدري أو يقول: سل غيري أو سل العلماء أو نحو ذلك. وقال الشعبي رحمه الله: لا أدري نصف العلم. وقال أحمد رحمه الله في رواية المروزي: كان مالك يسأل عن الشيء فيقدم ويؤخر يتثبت، وهؤلاء يقيسون على قوله ويقولون: قال مالك.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم؛ لأن الله عز وجل قال لرسوله عليه الصلاة والسلام: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } (ص: 86)

وقال الإمام أحمد رحمه الله في رواية المروزي: ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه، وذكر حديث النبي ﷺ: «كان يسأل فيقول: لا أدري حتى أسأل جبريل.» وقال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى: سمعت أبي يقول: كان سفيان لا يكاد يفتي في الطلاق ويقول من يحسن ذا؟ ! من يحسن ذا؟ !

وقال في رواية أبي الحارث: وددت أنه لا يسألني أحد عن مسألة، أو ما شيء أشد علي من أن أسأل عن هذه المسائل. وقال سفيان رحمه الله: لقد كان الرجل يستفتي فيفتي وهو يرعد.

وقال أيضاً: من فتنة الرجل إذا كان فقيها أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت.

وقال المروزي رحمه الله لأبي عبد الله: إن العالم يظنونه عنده علم كل شيء، فقال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون. وكان الإمام أحمد رحمه الله ينكر على من يتهم في المسائل والجوابات ويقول: ليتق الله عبد، ولينظر ما يقول، وما يتكلم، فإنه مسؤول.

ونقل محمد بن أبي طاهر رحمه الله عن الإمام أحمد أنه : سئل عن مسألة في الطلاق ، فقال : سل غيري ، ليس لي أن أفتي في الطلاق بشيء.

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ينبغي لمن أفتى أن يكون عالمًا بقول من تقدم وإلا فلا يفتي.

وقال أيضا رحمه الله : من تكلم في شيء ليس له فيه إمام أخاف عليه الخطأ.

قال ابن أبي ليلى رحمه الله : أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتي عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتوى.

وقال مالك رحمه الله عن القاسم بن محمد : إن من إكرام المرء لنفسه ألا يقول إلا ما أحاط به علمه.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله : ويل لمن يقول لما لا يعلم إنني أعلم.

وقال ابن مهدي رحمه الله : سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة فطال ترداده إليه فيها ، وألح عليه ، فقال : ما شاء الله يا هذا ! إنني لم أتكلم إلا فيما أحسب فيه الخير ، ولست أحسن مسألتك هذه.

وقال ابن وهب رحمه الله : سمعت مالكا يقول : العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق ، وكان يقال : التائي من الله والعجلة من الشيطان.

وقال يحيى بن سعيد رحمه الله : كان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتيا ، ولا يقول شيئا إلا قال : اللهم سلمني وسلم مني. وقال : أعلم الناس بالفتيا أسكتهم عنها ، وأجهلهم بها أنطقهم فيها.

وبكى ربيعة رحمه الله ، فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : استفتي من لا علم له ، وظهر في الإسلام أمر عظيم. ⁽¹⁾

البصيرة في الدعوة إلى الله [ص 83]

¹ (عزيز بن فرحان الغنزي ، البصيرة في الدعوة إلى الله ، دار الإمام مالك - أبو ظبي ، 1426هـ - 2005م ، ص 83)

ألا يستحي مثلك يقول هذا؟! :

قال أبو بكر الهذلي لابن سيرين
الشعبي واستكثر من حديث ه **!فلقد رأيته يستفتي وأصحاب محمد**
ﷺ لأحياء - .وسئل عن شيء فقال : لا علم لي بهذا !فقال : ألا
يستحي مثلك يقول هذا؟ !فقال : إن الملائكة لم تستحي من
قولهم : " لا علم لنا " أستحيي أنا؟! (1)

وما رأيت أكف عن الفتيا منه

وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان،
وما رأيت أكف عن الفتيا منه.

وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين . قال سفيان
المذكور : كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت
مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء
الصبيان، ثم ينشد:

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردني
بالسوود(2)

العجب منك كل العجب!

قال سفيان بن عيينة : كنت في حلقة رجل من ولد عبد الله بن
عمر فسئل عن شيء فقال : لا أدري. فقال له يحيى بن سعيد :
العجب منك كل العجب ! تقول لا أدري وأنت ابن إمام هدي؟
فقال : أولاً أخبرك بأعجب مني عند الله وعند من عقل عن الله:
من قال بغير علم، أو حدث عن غير ثقة(3).

لست أفتي في هذا بشيء

حلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار . فقيل له : سل عن
يمينك . فأتى أيوب السختياني فأخبره ، فقال : لست أفتي في
هذا بشيء ، يغفر الله لمن يشاء . فأتى عمرو بن عبيد فأخبره
، فقال : تمسك بأهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار
فليس يضرك أن تزني .(4)

¹ (المرزباني ، نور القبس ، 89/1

² (ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 177/9

³ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 324/1

⁴ (أبو سعد منصور بن الحسين الآبي ، نثر الدر ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ - 2004 م الطبعة : الأولى ، 128 / 2

ولا نصف كلمة

عن سلام ابن أبي المطيع أن رجلاً من أهل الأهواء قال لأيوب السخيتاني : يا أبا بكر أسألك عن كلمة، قال : فولى أيوب وجعل يشير بأصبعه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة.

من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض

قال الأوزاعي شكت النواويس إلى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال علي رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض ولصالح اللخمي شعر

تعلم إذا ما كنت لست بعالم ... فما العلم إلا عند أهل التعلم
تعلم فإن العلم أزين للفتى ... من الحلة الحسناء عند التكلم⁽¹⁾

أمكك الهرب فلم تهرب.

قال حدثنا محمد بن يحيى البصري قال : دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة : أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجان ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك فإني لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقاً في قلبي فلا أصلح له، وإن كنت كاذباً فلا يجوز لك أن تولي كاذباً دماء المسلمين وفروضهم . وأما سفيان فأدركه المشخص في طريق فذهب لحاجته فأنصرف المشخص ينتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح إن مكنتني من سفينتك وإلا ذبحت بغير سكين . تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين فأخفاه الملاح تحت السارية . وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له : هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك ؟ فقال : أخرجوه فإنه مجنون . وأما شريك فقال المنصور تقلد فقال أنا رجل خفيف الدماغ، فقال تقلد عليك

¹ (الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، 1 / 52)

بالمعصيد والنبيد الشديد حتى يرجح عقلك، فتقلد، فهجره الثوري، وقال أمكنك الهرب فلم تهرب.⁽¹⁾

قل لغريمك: إن المال عندي

ويقال : إن سبب وضع أبي حنيفة الفقه وتدوينه أنه كان في عصره اثنان حضرا إلى الحمام وأودعا صاحبه وداعة لها صورة، ودخلا الحمام . ثم إن أحدهما خرج وطلب الوداعة وأخذها وراح في سبيله . فلما خرج الآخر طلبها من الحمامي فقال له : إن صاحبك خرج وأخذها، فراح إلى الحكام في ذلك الزمان وشكاه إليهم فألزموه بالقيام بها للغريم الحاضر وقالوا له : أنت فرطت، وكان الواجب أن لا تدفع الوداعة إلا إليهما معا كما أودعاك معا ، فبقي ذلك الرجل في حيرة لا يدري ما يصنع . فلقيه أبو حنيفة فسأله عن حاله لما رآه من الفكرة والحيرة، فأخبره بقضيته، فقال له : قل لغريمك : إن المال عندي، فأحضر لي صاحبك لأدفع الوداعة إليكما، فإذا أتى به حصلت على غريمك . فكان ذلك سبب خلاص الحمامي من تلك الورطة.⁽²⁾

¹ (أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين ، 1 / 11

² (الصفدي، صرة الثائر على المثل السائر ، ص 70

۶۰
أَعْلَمُ يَا أَخِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَعَانَا إِلَى دُعَائِهِ وَسُؤَالِهِ
والتضرع له فقال جل شأنه : چ پ ن ت ن ت چ غافر:

عن الألتجاء والعوده إلى الله — جلت قدرته — أمر قد طلب من المسلم على الدوام فى الرخاء والبلاء فى اليسر والعسر .
فالأستعانه بالله فرار الى الله وتعلق القلب به وطلب العون منه أستعانه من عاجز فقير ضعيف بقوى قادر غنى ،
واستغاثة من ملهوف جائر برب رؤوف رحيم .
ودعاء الله توجه إلى مصرف الكون ومدير الأمر لزيل علة أرفع غمه أو كشف كربيه أو حقق أمنييه ورغبة.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ^{عَلَى} أُجِيبُ دَعْوَةَ
الْدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ^{عَلَى} فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

يُرْشَدُونَ ﴿البقرة: ١٨٦﴾

فأه رقه وأية انعطاف وأية شفافية وأى إناس فوق هذا ،
ألفاظ شفافة تنير ، إنها تسكب فى القلب المؤمن النداهه
الخلوه والود والموانس والرضا المطمئن والثقه واليقين
يعيش منها المؤمن فى جناب رضى وقربه نديه وملاذ
أمين وقرار مكين ، وهو يدعو سيد السادات الذى ليس له
مثل ولا نظير .

سبحانه من لطيف لم تخف عليه مضمرات القلوب ، فيصفح
له عنها بنطق بيان ولم تستتر دونه مضمّنات الغيوب ،
فيعبر له عنها بحركة لسان لكنه أنطق الألسن بذكره
لتستمر على وله العبودية وتظهر به شواهد الربوبية .

ولو لم يكن فى الدعاء إلا رقة لكفى

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ

بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ الأنعام: ٤٣

ولو لم يكن فى فضله إلا هذه الآية لكفى

﴿ قُلْ مَا يَعْبُودُوا

يَكُمُ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴿ الفرقان: ٧٧

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أفضل العبادة
الدعاء))^(١)

فالدعاء تذلل وخضوع وإخبات وانطراح على سده الكريم ،
قال ﷺ : ((الدعاء هو العبادة))^(٢)

قال الخاطبي : معناه : أن معظم العبادة أو أفضل العبادة
كقولهم : الناس بنو تميم ، والمال الإبل وكقول النبي صلى
الله عليه وسلم : ((الحج عرفه))^(٣)

وقال رسول الله ﷺ : ((إن أبخل الناس من بخل بالسلام
وأعجز الناس من عجز عن الدعاء))^(٤)
وقال رسول الله ﷺ : ((ليس شئ أكرم على الله من الدعاء
))^(٥)

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من سره أن ستجيب الله له
عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء))^(٥)
ولا بد من وجود عباد يدعون الله ويرفعون الأكف إليه تلك
سنة الله فى كونه وبين خلقه.

فعن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ((إن ربكم تبارك وتعالى حى كريم يستحي

(١) الحاكم .

(٢) البخارى واحمد .

(٣) ابن حبان .

(٤) البخارى واحمد .

(٥) الترمذى والحاكم .

من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرد هما صفراً))
رواية صفراً خائبتين .

يقول ابن القيم : والدعاء من أنفع الأدويه ، وهو عدو
البلاء يدافعه ويعالجه ومنع نزوله ويرفعه ، أو يخففه إذا
نزل وهو سلاح المؤمن .

كما روى الحاكم فى صحيحه من حديث على بن أبى طالب
رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((الدعاء سلاح
المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض)) (7) 0
وله من البلاء ثلاث مقامات :

أحدهما : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثانى : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء
فصاب بع العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

وقد روى الحاكم فى صحيحه من حديث عائشه رضى الله
عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ((لا غنى حذر من قدر
الدعاء ينفع مما نزل ومما لم نزل وإن البلاء لينزل فيلقاه
الدعاء فيعتلجان إلى وم القيامة)) 0

وفيه أيضاً من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : ((الدعاء نفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم
عباد الله بالدعاء)) 0

وفيه أيضاً من حديث ثوبان عن النبى ﷺ قال : ((لا يرد
القدر إلا بالدعاء ولا زد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم
الرزق بالذنوب يصيبه)) 0

وإذا أجمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على
المطلوب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهى :
الثلاث الأخير من الليل ، وعند الأذان وبين الأذان والإقامة
وأداء الصلوات المكتوبة وعند صعود الإمام يوم الجمعة
المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم ، وآخر ساعه بعد
العصر ، وصادف خشوعاً فى القلب وأنكساراً بين يدي

(6) الترمذى .

(7) (1 ، 4) الحاكم .

الرب وذلاً له وتضرعاً ورقه واستقبل الداعي القبله وكان على طعارة ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم تنى بالصلاه على محمد عبده ورسوله ﷺ ثم قدم بين يدي حاجته التوبه والاستغفار ، ثم دخل وعلى الله وألح عله فى المسأله وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل بأسمائه وصفاته وتوحيده ، وقدم بن يدي دعائه صدقه فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ولا سما إن صادف الأدعه التى أخبر النبى ﷺ أنها مظنه الإجابة أو أنها متضمنه للأسم الأعظم (1)

فمنها ما فى السنن وفى صحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريده عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : " اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا اله الا انت الأحد الصمد والذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " فقال : " لقد سأل الله بالأسم الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب " وفى لفظ : " لقد سألت الله بأسمه الأعظم " (2)

آداب الدعاء

وإتماماً للفائده نسوق هنا مجموعه من الآداب التى يجب أن تحلى بها الداعى وهى التى وردت بها الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه وأقوال السلف الصالح من الصحابه والتابعين ، وهى فى بعضها مستحبه والبعض الآخر من الواجبات .

أولاً : الجزم فى الدعاء والثقه بالله فى حصول الأجابه 0 لا بد للعبد المؤمن مهما كان الأمر الذى يدعو الله شأنه — عظماً أو ثقيلاً صعباً نبغى أن يكون فى قلبه الثقه بالله — عز وجل — فى وصول وحصول الأجابه .

— جل

(1) ابن القيم : الدعاء والدواء ، ص 9 .

(2) الترمذى .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له))⁽³⁾ 0 بل لابد أن نتأكد أن الدعاء إذا خلا من اليقين ولم تحلل بالجزم ربما بعد عن الأجابه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أدعوا الله وأنتم موقنون بالأجابه وأعلموا أن الله لا ستجيب دعاء من قلب غافل لاه))⁽¹⁾ 0 قال سفيان بن عيينه : لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس

لعنة الله : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ٣٦

ج من ﴿ الحجر : ٣٦ - ٣٧

0 ولذا قيل فى قوله : " وأنتم موقنون بالأجابه " أى والحال أنكم موقنون بها أى كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة من إتان المعروف وأجتنب المنكر ورعاية شروط الدعاء : كحضور القلب ، وترصد الأزمه الشرفه ن واغتنام الأحوال اللطفه كالسجود إلى غير ذلك ، حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الرد .

أو أراد وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم لسعه كرمه وكمال قدرته وإحاطة علمه لتحقيق صدقه الرجاء وخلوص الدعاء ؛ لأن الداعى مالم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه صادقا . " من قلب غافل " أى معرض عن الله أو عما سأل . " لاه " من اللهو أى : لاعب بما سأل أو مشتغل بغير الله تعالى وهذا عمدة آداب الدعاء ولذا خص بالذكر .

ثانياً : الإلحاح فى الدعاء 0

وأما الإلحاح فى الدعاء فممدوح ؛ لأنه لون من ألوان اتذلل إلى المولى ، ولون من الخضوع لعظمته ، ولون من حسن الظن برحمته .

(3) البخارى .

(1) الترمذى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بأثم أو قطعة رحم ما لم يستعجل ، قيل : يا رسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : دعوت فلم أر يستجيب في فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)) (2) قال ابن مسعود : " كان رسول الله ﷺ إذا دعا ، دعا ثلاثاً وإذا سأل ، سأل ثلاثاً " (3)

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ ما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . وهذا نبي الله يعقوب ﷺ ما زال يدعو ويدعو فذهب بصره واشتد روعه ، وألقى ولده في الجب ولا يدرى عنه شيئاً وأخرج الولد من الجب ودخل قصر العزيز ، إلى أن شب وترعرع ثم راودته المرأة عن نفسها ، فأبى وعصمه الله ، ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين ثم أخرج من السجن ، وكان على خزائن الأرض ومع طول هذا الوقت كله ويعقوب يقول لبنيه :

(يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (4) ثالثاً : خفض الصوت ولينه :

فإن خفض الصوت أعظم في الأدب والتعظيم ، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفه الأصوات والله المثل الأعلى . ولأنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده ، فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه ، وهذه الحالة لا يتأتي معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً . ولأنه أبلغ في الاخلاص وأبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء ، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض الصوت

(2) مسلم .

(3) مسلم .

كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

ولأنه دمل علي صاحبه من الله فيسأله مسألة القريب للقريب ، لا مسألة نداء البعيد للبعيد وهذه من النكت السريعة البديعة جدا ، ولهذا أثني الله علي عبده زكريا بقوله: (اذ نادي ربه نداء خفيا).

ولأن ذلك أدعي الى دوام الطلب والسؤال ، واخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشمشات والمضاعفات ، وأحفظ لهذه النعمة العظيمة التي ما مثلها نعمه من عين حاسد وهذا باب عظيم انفع وإنما يعرفه أهله وهذه فائده شريفه نافعه .

ولهذا قال تعالى : **﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمُ**

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف: ٥٥

ولهذا أمر الله بالدعاء وتعبد به ثم قرن عز وجل بالأمر صفات تحسن معه وهي : الخشوع والاستكانة والتضرع .
قال الحسن : لقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا همس بينهم وبين ربهم .

قال تعالى : **﴿ ادْعُوا رَبَّهُمْ خَفِيًّا ﴾** مريم: ٣

قال ابن القيم في فوائد إخفاء الدعاء العديد الكثير فيقول : أولها : أنه أعظم إيماناً لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاء الخفي .

ثانيها : أنه أعظم في الأدب والتعظيم ؛ ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الصوت ، وإنما تخفش عنهم الأصوات ويخفت عندهم الكلام بمقدار ما يسمعون ، ومن رفع صوته لديهم مقتوه والله المثل الأعلى .
فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت .

ثالثها : أنه — يعنى الأخفاء — أبلغ فى التضرع والخشوع الذى هو روح الدعاء ولبه ومقصوده ، فإن الخاشع الدليل الخاضع إنما يسأل مسأله مسكين ذليل قد أنكسر قلبه وذلت جوارحه فى الإخلاص .

رابعها : أنه أبلغ فى الأخلاص .

خامسها : أنه أبلغ فى جمعه القلب على الله فى الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض صوته كان أبلغ فى حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه .

سادسها : أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب ، بخلاف ما إذا رفع الصوت فإنه يكل لسانه وتضعف بعض قواه .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً))⁽¹⁾ 0

رابعاً : سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی :

قال تبارك وتعالى : **چَوَلِّهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴿

الأعراف: ١٨٠

وعن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إنى أسألك بأنى أشهد انك لا اله إلا انت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال : ((لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب)) 0⁽²⁾ وعن أنس رضى الله عنه انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلى ثم دعا : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ((لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى)) 0⁽³⁾

خامساً : الدعاء بصالح الأعمال :

(1) البخارى .

(2) احمد .

(3) احمد وابوداود .

وقد ورد هذا وصح في حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم صخر وانحطت على قم الغار الذي كانوا بداخله ، فتوسل إلى ربهم بأخلص أعمالهم وأصوبها فأستجاب ربهم لدعائهم .

سادساً : الصلاة على النبي ﷺ :

وهذا من الأمور التي غفل عنها الناس وهو من الأمور العظيمة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ " (4) . وفى رواية : " كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ وأل محمد " (5)

سابعاً : طيب المطعم ، رفع اليدين ، ستقبال القبله .
ثامناً : الإكثار من ذكر الله واستغفاره والتوبه إليه ، تطهير

النفس وتركية القلب 0

تاسعاً : تعظيم المسألة 0

قال رسول الله ﷺ : ((إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه)) 0 (6)

وقال رسول الله ﷺ : ((إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه)) 0 (7)

وقال المناوى : إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأمانى فإنما يسأل ربه الذى رباه وأنعم عليه وأحسن إليه ، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ويسأله حتى شسع النعل ، فإن خزائن الجود سماء الليل والنهار ولا يفنيها عطاء وإن جل وعظم فعطاؤه بين الكاف والنون وليس ذا بمناقض لقوله

سبحانه : **چَوْلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى**

بَعْضٍ ۝ النساء : ٣٢ فإن ذلك نهى تمنى ما لآخيه بغيا وحسداً

وهذا تمنى على الله خيراً فى دينه ودنياه وطلب من خزائنه فهو نظير : (واسألوا الله من فضله) 0

(4) البيهقى .

(5) الطبرانى .

(6) الطبرانى .

(7) ابن حبان .

وقد ذم الله من دعا ربه فقط فقال تعالى : **چ وَمِنْهُمْ مَّنْ**

يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ

حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا

كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ **البقرة: ٢٠١ - ٢٠٢**

وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : ((إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله

للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء
والأرض فإذا سألتهم الله فأسألوهم الفردوس فإنه أوسط الجنة أو

أعلى الجنة — أراه قال : وفوق عرش الرحمن — ومنه تفجر
أنهار الجنة))⁽¹⁾ 0

وكثيراً ما نجد ادعيه دعا بها قوم فاستجيب لهم ، ويكون قد
اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله ، أو حسنه
تقدمت منه جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنته أو
صادف وقت إجابة ونحو ذلك فأحببت دعوته ، فيظن الظان أن
السر فى لفظ ذلك الدعاء فيأخذ مجرداً عن تلك الأمور التى
قارنته من ذلك الذى ينبغى فانتفع به فظن غيره أن استعمال
هذا الدواء بمجرد كاف فى حصول المطلوب ، كان غالطاً
وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس .

ومن هذا أنه قد يتفق دعاءه بأضطرار عند قبر ، فيجاب ،
فيظن الجاهل أن السر للقبر ولم يعلم أن السر للأضطرار
وصدق اللجوء إلى الله ، فإذا حصل ذلك فى بيت من بيوت الله
كان أفضل وأحب إلى الله .

والأدعيه والتعوذات بمثابة السلاح ، والسلاح بضاربه لا
بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا أفه به ، والساعد
ساعد قوى والمانع مفقود حصلت النكايه فى العدو ، ومتى
تخلف التأثير ، فإذا كان الدعاء فى نفسه غير صالح أو

(1) البخارى .

الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه ف الدعاء أو كان ثم مانع الإجابة لم يحصل الأثر .

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وافقهم ف دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وأدابه من غيرهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان أعظم جنده وكان يقول :
إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإن الإجابة معه .

وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال :
لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه :::: من جود كفيك ما دعوتني
الطلب

الرب يغضب إن تركت سؤاله :::: وابن آدم حين يسأل يغضب
فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ اَدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾
البقرة: ١٨٦

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريره قال : قال رسول الله ﷺ : ((من يسأل الله يغضب عليه)) (2).

وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته وإذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما أن كل يلاء ومعصية في غضبه .

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد أثراً : ((أنا الله لا اله الا أنا إذا رضيت باركت باركت وليس لبركتي منتهى وإذا غضبت لعنت ، ولعنتي تبلغ السابع من الولد)) (0)

وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجاوب الأمم على اختلافه أجناسها ومللها أعظم الأسباب الجالبة لكل خير وأضدادها من

(2) ابن ماجه والترمذى .

أكبر الأسباب الجالبة لكل شر فما أستجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نعمته بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه .

ومن المواقف

تعالوا نستنشق رياض السلف الصالح ونري هذه الهمم السامقة " أعيانهم مفقوده وأمثالهم فى القلوب موجوده " .
يسير بجيش المسلمين على صفحة الماء بسبب الدعاء :
قال سهم بن منجاب : غزونا مع العلاء الحضرمى دارين قال : فدعا بثلاث دعوات فاستجاب الله له فيهن كلهن قال : سرنا معه قال : فنزلنا منزلاً وطلبنا الودوء فلم نقدر عليه فقال فصلى ركعتين ثم دعا الله فقال : " اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم أنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ من الأحداث ، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد يه نصيب غيرنا قال : فما جاوزنا غير بعيد فإذا نحن بنهر من ماء سماء يتدفق قال : فنزلنا فروينا وملاّت إداوتى وتركتها وقلت لآنظرن هل استجيب له ؟ قال : فسرنا ميلاً او نحوه فقلت لأصحابى : إنى نسيت إداوتى فذهبت الى ذلك المكان فكأنما لم يكن فيه ماء قط فأخذت إداوتى فجئت بها فلما أتينا دارين وبيننا وبينهم البحر ، فدعا الله أيضاً فقال : اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاجعل لنا سبيلاً الى عدوك ثم اقتحم بنا البحر فوالله ما ابتلت سروجنا حتى خرجنا اليهم ، فلما رجعنا اشتكى البطن فمات فلم نجد مما نغسله به فكفناه فى ثيابه فدفناه فلما سرنا غير بعيد إذا نحن بماء كثير فقال : بعضنا لبعض ارجعوا لنستخرجه فنغسله فرجعنا وطلبنا قبره فخفى علينا قبره فلم نقدر عليه فقال ، رجل من القوم : إنى سمعته يدعوا الله يقول : اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم أخف جثمانى ولا تطلع على عورتى أحداً فرجعنا وتركناه .

يدعو الله فيبعث له حماره :

عن الشعبى ان قوما من المهاجرين خرجوا متطوعين فى سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى

، فأنطلق اصحابه مرتجلين وتركوه فقام فتوضأ فصلى ثم رفع يديه فقال : اللهم إني خرجت مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي الموتى ، وتبعث من في القبور اللهم فأحيي لي حمارى . ثم قام الى الحمار فضربه فقام الحمار ينفذ أذنيه فأسرجه وأجمه ثم ركب فاجراه حتى لحق بأصحابه فقالوا له : ما شأنك ؟ قال : شأنى ان الله بعث لي حمارى ؟!

قال الشعبي : أنا رأيت الحمال بيع او يباع فى مكان بالكوفة (1) 0

أقسم على الله فأبره ! لبراء بن عازب :

لقى البراء المشركين وقد أوجع المشركون فى المسلمين فقالوا له : يا براء إن رسول الله ﷺ قال " إنك لو أقسمت على الله لأبرك " فأقسم على ربك قال : أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقنى بنبيك فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً (2) 0

يدعوا الله بعز الاسلام والشهادة فبينالهما معا!! النعمان بن

مقرن :

فى يوم نهاوند قال النعمان بن مقرن رضى الله عنه : " اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام ، وذل يذل به الكفار ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة . أمنوا رحمكم الهه " قال جبير : فأمننا وبكىنا .

وفى رواية معقل بن يسار : قال النعمان : إني أدعو اله عز وجل بدعوه فعزمت على كل أمرى منكم لما أمن عليها : اللهم أعط النعمان اليوم الشهادة فى نصر المسلمين وافتح عليهم ، ثم حمل فكان أول صريع (3) .

من جدع انفك وأذنك ؟! عبد الله بن جحش :

قال سعد بن أبى وقاص : أن عبد الله بن حش رضى الله عنه قال يوم أحد : ألا تدعوا الله ؟ فخلوا فى ناحية فدعا سعد فقال

(1) مجابوا الدعوه ، ص 85 .

(2) الحاكم .

(3) مجابو الدعوه ، ص 62 .

: يا رب إذا بقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده
أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه .
فامن عبد الله بن جحش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً
حرده شديداً بأسه أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنف
وأذني فإذا لقيتك غدا قلت : من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول :
فيك وفي رسولك ﷺ فتقول : صدقت . قل سعد : يا بني كانت
دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي لقد رأيته آخر النهار
وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط !! (4)

ياله من دعاء !!:

خرج البخاري عن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتى في بلد رسول
الله صلى الله عليه وسلم . قالت حفصة : سمعت عمر رضي
الله عنه يقول : اللهم قتلا في سبيلك ووفاة ببلد نبيك صلى الله
عليه وسلم . قالت : فقلت : وأنى يكون هذا ؟ قال : يأتي به الله
إذا شاء (5).

أغرب من الأساطير ، أبو معاوية الأسود :

كان أبو معاوية — رحمه الله — من كبار أولياء الله ، صاحب
سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وغيرهما ،
قيل : أنه ذهب بصره فكان إذا أراد التلاوة في المصحف أبصر
بأذن الله

قال أحمد بن فضل العكي : غزا أبو معاوية الأسود فحضر
المسلمون حصناً فيه علج لا يرمى بحجر ولا نشاب إلا أصاب
، فشكو إلى أبي معاوية فقراً : (وما رميت إذ رميت ولكن الله
رمى) فقال استروني منه ، فلما وقف قال : أين تردون بأذن
الله ؟

قالوا المذكير . فقال : أي رب ، قد سمعت ما سالوني فأعطني
ذلك . بسم الله . ثم رمى المذاكير فوقه !!! 0 (1)
يدعو ربه أن يحشر في حواصل الطيور ! عتيبه الغلام :

(4) الطبراني .

(5) البخاري .

(1) سير أعلام النبلاء ، ج 9 ، ص 78 .

قال رياح القيس : بات عندي عتبه الغلام فسمعتة يقول ي
سجوده : " اللهم أحشر عتبه في حواصل الطير وبطون
السباع فاستجاب الله دعاءه ولقى ربه شهيداً وأكلت الطيور
لحمه " (2)

دعاء الله بصالح الأعمال :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال :

((بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في
جبل فبينما هم فيه إذا نحطت صخره فأطبقت عليهم الغار فقال
بعضهم لبعض : أنظروا أفضل أعمال فعلتموها فأسألوها بها
لعله يفرج عنكم . فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان
كبيران واكت لى أمراه وأولاد صغار فكنت أرعى عليهم فإذا
أرحت غنمى بدأت بأبوي فسقيتهما فلم أت حتى نام أبواى
فطلبت الأناء ثم حلبت ث قمت بحلابى عند رأس أبواى
والصبية يتضاوان عند رجلى أكره أن أبدأ بهم قبل أبوى وأكره
أن أوقفهما من نومهما فلم أزل كذك قائماً حتى أضاءة
الفجر)) (3)

اللهم إن كت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا
فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة فرأوا منها
السماء .

وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنه عم فأحببتها حباً كانت أعز
الناسالى فسألتها نفسها فقالت : لا ، حتى تأتينبمئة دينار
فسعيت حتى جمعت مائة دينار فاتيتها بها فلما كنت بين
رجليها قالت : اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقامت عنها .
اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا
فرجة ففرج الله عنهم فرجه .

وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجيراً بفرق ذرة فلما قضى
عرضته عليه فأبى أن يأخذه ورغب عنه فلم ازل أعتمل فيه
حتى جمعت منه بقرأ ورعاءها فجاءنى فقال : أتق الله
وأعطنى حقى ولا تظلمنى فقلت له : أذهب إلى تلك البقره

ورعاتها فخذها فذهب فاستاقها، اللهم إن كنت تعلك أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما بقى منها ففرج عنهم فخرجوا يتماشون (3).

سمعت لآهل السماء ضجة فسألت الله يوليني قتله :

عن أنس رضى الله عنه قال : كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأَنْصار يكنى أبا معلق وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره يضرب بهى الأفاق وكان ناسكا ورعا ، فخرج مره فلقيه لص مقتنع فى السلاح فقال له : ضع ما معك فإنى قاتلك قال : ما تريد فخرج مره فلقيه لص مقتنع فى السلاح فقال له : ضع ما معك فإنى قاتلك قال : ما تريد من دمي ؟ شأنك والمل قال : اما المال فلى ولست أريد إلا دمك قال : أما إذا أبيت فذرني أصلى أربع ركعات ، فكأمن دعائه فى آخر سجده ان قال : يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد ، اسألك بعزل الذى لا يرام ، وملكك الذى لا يضام ، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص ، يا مغيث أغثنى ، يا مغيث أغثنى ثلاث مرات قال : دعا بها ثلاث مرات فإذا بفارس قد أقبل بيده حربيه واصعها بين أذنى فرسه فلما ابصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ثم أقبل إليه فقال : قم ، قال : من نت بأبى وأمى ؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم ، قال : أنا ملك من السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسنعت لآبواب السماء قعقه ، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لآهل السماء ضجه ثم دعوت بدعائك الثال فقيل لى : دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني قتله .

قال أنس : فأعلم أنه توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بها الدعاء أستجيب له مكروبا أو غير مكروب (1).

(3) البخارى ومسلم .

(1) مجابو الدعوة ، ص 63 .

دعا امرأة عثمان على قتلتها :

عن شداد الأعمى قال : كنت اطوف بالبيت فغذا رجل أعمى يطوف بالبيت يقول : اللهم أغفر لي وما أراك تفعل قال : فقلت : أما تتقى الله ؟ قال : إن لي شأنًا أليت أنا وصاحب لي لئن قتل عثمان لنلظمن حر وجهه ، فدخلنا عليه وإذا رأسه في حجر امرأته أبنة الفرافصة فقال بلها صاحبي : أكشفى عن وجهه قال : لم ؟ قال : ألطم وجهه قال : أما تذكر ما قال فيه رسول الله ﷺ ؟ قال فيه كذا وقال فيه كذا قال : فاستحا صاحبي فرجع فقلت لها : أكشفى عن وجهه ، قال : فذهبت تدعو على فلطمت وجهه فقالت : مالك ! يبس الله يدك ، وأعمى بصرك ، ولا غفر لك ذنبك قال : فوالله ما خرجت من الباب حتى بست يدي وعمى بصرى وما أرى الله يغفر لي ذنبي (2).

أصابتنى دعوه سعد :

عن جابر بن سمره قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضى الله عنه حتى قالوا : إنه لا يحس صلى فقال سعد : أما أنا فإني كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أحزم عنها اركد في الأوليين وأحذف الآخرين قال عمر : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق ، ثم بعث رجالاً يسألون عنه في مجالس الكوفة فكانوا لا يأتون مجلساً إلا أثنوا خيراً ، وقالوا معروفاً حتى أتوا مسجماً مساجدهم فقال رجل يقال به أبوسعده : فقال اللهم إذا سألتمونا فإنه كان لا يعمل في القضييه ولا يقسم بالسويه ولا يسير بالسريه فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً فأعم ببصره وأطل فقره وعرضه للفتن .

قال عبد الملك : فأنا رايتيه يتعرض للإماء في السكك فإذا قيل له : كيف أنت يا أبا سعده قال : كبير فقير مفتون أصابتنى دعوة سعد (3).

(2) مجابوا الدعوه ، ص 67 .

(3) مجابوا الدعوه ، ص 69 ، 70 .

دعاء سعد عل من نال من على بن ابي طالب :
قال مصعب بن سعد : ان رجلاً نال من على فنهاه سعد فلم
ينته سعد أدعو عللا يك فلم ينته فدعا عليه برح حتى جاء
بعير ناد أو ناقة ناده فخطبته حتى مات (4).

ألا دعوتم : ألا دعوتم لنا معكم ؟!!:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه : اخرجوا بنا الى أرض قومنا قال : فخرجنا ،
فكنت انا وأبى بن طعب فى مؤخر الناس فهاجت سحابة فقال
أب : اللهم اصر عنا اذاها فلحنتاهم وقد أبتلت رحالهم فقال
عمر : أما أصابنا ؟ قلت : إن أبا المنذر ددعا الله أن يصرف
عنا اذاها فقال عمر : أ دعوتم لنا معكم (5)!!

دعا أنجع من الأطباء !!:

عن عمر بن ثابت البصري قال : دخلت فى أذن رجل من أهل
البصرة حصة فعالجها الاطباء فلم يقدرى عليها حتى وصلت
صماخه فأسهرت ليلة ونغصته عيش نهاره ، فاتى رجلاً من
أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه فقال : ويحك إن كان شئ
ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمى التى دعا بها فى
البحر فى المفارزه قال : وما هيرحمك الله قال : يا على يا
عظيم يا حلیم يا عليم قال : دعا بها فوالله برحنا حتى خرجت
من أذنه ولها طنين صكت الحائط وبرأ (1).

اتاك الغوث ابا حفص :

قالخوات بن جبیر : اصاب الناس قحط شديد على عهد عمر
فخرج عمر بالناس فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفى
ردائه ، فجعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين ثم بسط
يده فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك ، فما برح مكانه
حتى مطروا ، فبيناهم كذلك إذا اعرب قد قدموا فاتوا فقالوا :
يا أمير المؤمنين : بينما نح فى بوادينا فى يوم كذا فى ساعه

(4) مجابو الدعوه ، ص 72 .

(5) سير أعلام النبلاء ، ج 1 ، ص 298 .

(1) مجابوا الدعوه ، ص 78 .

كذا إذ أظننا غمام فسمعنا به صوتا : أذاك الغوث أبا حفص أتا
ك الغوث أبا حفص (2).

والله لقد ولدته أمه وهى ميتة !!:

قال زيد بن اسلم : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يعرض للناس إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه فقال عمر
: ما رأيت غراب بغراب أشبه من هذا بهذا فقال الرجل : أما
والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهى ميتة قال : ويحك
كيف ذاك ؟ قال : خرجت فى بعث كذا وكذا وتركتها حاملاً
وقلت : أستودع الله ما فى بطنك ، فلما قدمت من سرى
أخبرت انها قد ماتت فينا أنا ذات ليلة قاعد فى البقيع مع بنى
عم لى إذ نظرت فإذا ضوء شبه السراج فى المقابر فقلنا لبنى
عمى : ما هذا ؟ قالوا ك لا ندري غير انا نرى هذا الضوء كل
ليلة عند قبر فلانه فأخذت معى فأساً ثم انطلقت نحو القبر فإذا
القبر مفتوح وإذا هذا فى حجر أمه فدنوت فنادانى مناد : أيها
المستودع ربه خذ وديعتك اما لو استودعتهم لوجدتهم
فأخذت الصبى وأنضم القبر .

جعلك الله حماراً : (3)

يحكى عن اهل البصره : مررنا ببعض المياه التى بيننا وبين
البصره فسمعنا نهيق حمار فقلنا : ما هذا النهيق ؟ قالوا : هذا
رجل كان عندنا فكانت أمه تكلمه بالشئ فيقول : انهقى نقيك
فكانت أمه تقول : جعلك الله حماراً فلما مات نسمع هذا النهيق
عند قبره كل ليلة (4).

أطلعت الله فيما أمرنى ونهائى فسألته فأعطانى :

حدث محمد بن سويد: ان أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل
صالح لازم لمسجد النبى ﷺ فبينما هم فى دعائهم إذا انا برجل
عليه طمران خلجان فصلى ركعتن أو جز فهما ثم بسط يديه
إلى الله فقال : يارب أقسمت عللايك إلا أمطرت علنا الساعة
فلم يرد يده ولم يقطع دعائه ، حتى تغطت السماء بالغيـم

(2) مجابوا الدعوه ، ص 79 .

(3) مجابو الدعوه ، ص 83 ، 84 .

(4) مجابو الدعوه ، ص 84 .

وأمطروا حتى صاح أهل المدينة مخافة الغرق فقال : يارب ،
إن كنت تعلم انهم قد أكتوا فارع عنهم ، وتبع الرجل صاحب
المطر حتى عرف موضعه ثم بكر عليه فنادى : يا اهل البيت
فخرج الرجل فقال : قد أنتك في حاجه قال : وما هي ؟ قال :
تخصني بدعوة قال : سبحان الله ! أنت أنت وتألني ان أخصك
بدعوة ؟! قال : ما الذي بلغك ما رأيت ؟ قال : أو رأيتني ؟
قلت ك نعم ، قل : أطلعت الله فيما امرني ونهاني فسألته
فاعطاني . (1)

خذ هذه فأدها عن أمانتك وأقصر في الخطبه فإنك لن تراني :
أستودع محمد بن المنكدر وديعه فاحتاج إليها فأنفقها فجاء
صاحبها يطلبها فقام فتوضأ وصلى ثم دعا فقال : ياساد
الهواء بالسماء ويا كابس الأرض على الماء ويا واحد قبل كل
أحد كان ، ويا واحداً بعد كل أحد يكون أد عني امانتي فسمع
قائ يقول : خذ هذه فأدها عن أمانتك وأقصر في الخطبه
فإنك لن تراني . (2)

إن كنت كاذبا سود الله وجهك :
قال عل بن زد بن جدعان : كنت جالسا إلى سعيد بن المسيب
فقال : يا ابا الحسن : مر قائدك يذهب بك فتنظر إلى وجه هذا
الرجل وإلى جسده فأنطلق قال : فإذا وجهه وجه زنجي
وجسده ابيض فقال سعيد : إني أتيت على هذا وهو يسب
طلحه والزبير وعليهما رحمه الله عل يهم فنهيته فاب فقلت : ن
كنت كاذبا فسود لله وجهك فخرجت في وجهه قرحه فاسود
وجهه . (3)

قد مسخت يداه يدي خنزير ؟! :
قال سويد بن سعيد : خرجت انا وعمي إلى مكران فكان معنا
رجل يسب ابا بكر وعمر رضى الله عنهما فنهيناه فلم ينته
فقلنا له : اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجنا هرب منا فقلنا :
لو حبنا حتى نرجع الى الكوفه ، فلقينا غلام له فقلنا له : قل

¹ (مجابو الدعوة ، ص 97

² (مجابو الدعوة ، ص 98

³ (الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 4 / 242

لمولاي يعود إلينا فقال : إن مولاي قد حدث به أمر عظيم لى وأخرج ذراعاه فإذا هما ذراعاً خنزير قال : فصحبنا حتى أنهينا إلى قرة من قرى الواد كثيرة الخنازير ، فلما رآها صاح صيحة ووب فمسح خنزير وخفي علينا فجئنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة . (1)

ارتحلوا فوالله لا اقتل قوما سقاها الله من السماء وانا أنظر :!؟

قال السرى بن يحيى : بلغنا أن مكا من موك الأعاجم أقبل فى جيش فلقى عصابة من المسلمين فلما رأوه اعتصموا بربوة فصعدوا فوقها فقال ذلك الملك : ما اجد لهؤلاء شيئاً أشد عليهم من أن نحيط بهم ثم نتركهم مكانهم حتى يموتوا من العطش فأحاطوا بهم فاصابهم حر شديد وعطش فاستسقوا الله فاقبلت سحابة فجعل الرج يحمل تره يتلقى به الماء حتى يمتلئ ثم يشرب حتى يروى فقال ذلك الملك : ارتحلوا فوالله لا اقتل قوما سقاها الله من السما وانا انظر . (2)

اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك :

قال بقيه بن مخلد : كنا فى البحر فهبت الرياح وهاجت الأمواج فبكى الناس وضجوا فقيل لابن معيوف : هذا إبراهيم بن ادهم لو سألته ان يدعو الله وإذا هو نائم فى ناحية السفينه ملفوف راسه فى كساء فدنا منه فقال : يا ابا إسحاق أما ترى ما الناس فيه ؟ فقال : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك قال : فهدأت السفينه . (3)

صنعت مثل الذى صنعت فرد الله على بصرى :

قال عبد العزيز بن رواد : أضاف ابن عمر رجلاً أعمى فأكرمه ابن عمر وناماه فى منزله الذى ينام فيه ، فلما كان فى جوف الليل قام ابن عمر فتوضأ أسبغ الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، ثم دعا بدعاء فهمه الأعمى ، فلما رجع ابن عمر إلى مضجعه قام

¹ (مجابو الدعوة ، ص 100

² (مجابو الدعوة ، ص 108

³ (حلية الأولياء ، 5/8

الأعمى إلى فض وضوء ابن عمر فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، ثم دعا بذلك الدعاء فرد الله عليه بصره فشهد الصبح مع ابن عمر بصيرا فلما فرغ التفت إلى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ! دعاء سمعتك البارحة تدعو به فهمته فقامت فصنعت مثل الذي صنعت فرد الله على بصرى قال : ذلك دعاء علمناه رسول الله ﷺ

وأمرنا ان لا نعلمه أحداً يدعو به فى أمر الدنيا قال : قل : اللهم رب الأرواح الفانيه : والأجساد الفانيه اسألك بطاعة الأرواح اراجعه إلى أجسادها وبطاعة الأجساد الملتئمة بعروقها وبكلماتك النافذه فيهم واخذك الحقبينهم والخلائق بين يديك ينتظرون فصل قضائك ويرجون رحمتك ويخافون عقبك أن تجعل النور فى بصرى واليقين فى قلبى وذكرك بالليل والنهار على لسانى وعملاً صالحاً فارزقني (1) 0

فحللته من وثاقه ومضيئنا

قال مالك بن دينار رضي الله عنه خرجت إلى الحج فرأيت طيراً في منقاره رغيف فتبعته فجاء إلى شيخ موثق وصار يلقيه لقمة لقمة ثم طار وجاء بماء في فمه فسكبه في فم الشيخ فقلت له من أنت قال من الحجاج أخذني اللصوص وربطوني هاهنا فصرت على الجوع خمسة أيام ثم قلت يا من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه فأنا مضطر فأرحم نبي فأرسل الله لي هذا الغراب قال مالك فحللته من وثاقه ومضيئنا (2) .

يا قسورة

قيل لإبراهيم بن أدهم : هذا السبع قد ظهر لنا قال : « أرنيه ، فلما رآه ، قال : يا قسورة ، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به ، وإلا فعودك على بدئك فولى السبع ذاهباً قال : أحسبه قال : يصوت بذنبه قال : فتعجبت كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم ، فقال : قولوا : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واكفنا بركنك الذي لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت رجاؤنا » قال خلف :

¹ (مجابو الدعوة ، ص 124)

² (الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 260/2)

فما زلت أقولها منذ سمعتها ، فما عرض لي لص ولا غيره
(¹)

في فم كل واحدة منهن دينار واحد

حدث صالح بن سليمان ، أو غيره قال : « احتاج إبراهيم بن أدهم إلى دينار ، وكان على شاطئ البحر ، فدعا الله عز وجل ، فتشرعت السمك في فم كل واحدة منهن دينار واحد ، فأخذ دينارا واحدا »(²)

قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك

ذكر سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: جاء إبراهيم بن أدهم إلى قوم قد ركبوا سفينة في البحر، فقال له صاحب السفينة: " هات دينارين، قال: ليس معي ولكن أعطيك من يدي، قال: فعجب منه، وقال: إنما نحن في بحر، فكيف تعطيني؟ قال: ثم أدخله فساروا حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر، فقال صاحب السفينة: والله لأنظرن من أين تعطيني؟ هل اختبأ ها هنا شيئا؟ قال: فقال له: يا صاحب الدينارين أعط حقي، قال: نعم، فخرج إبراهيم فمضى واتبعه الرجل وهو لا يدري، فأنتهى إلى الجزيرة فركع فلما أراد أن ينصرف قال: يا رب، إن هذا قد طلب مني حقه الذي له علي، فأعطه عني، قال وهو ساجد، قال: فرفع رأسه فإذا ما حوله دنائير، وإذا الرجل، فقال: جئت، خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا، قال: ومضوا فأصابتهم عجاجة وظلمة وأحسوا بالموت، فقال الملاح: أين صاحب الدينارين؟ أخرجوه، قال: فجاءوا إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، ادع الله معنا؟ قال: فرفع يديه وأرخى عينيه، وقال: يا رب، يا رب، قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك، قال: فسكنت العجاجة وساروا " (³)

¹ (ابن أبي الدنيا ، مجابو الدعوة - 1 / 140

² (ابن أبي الدنيا ، مجابو الدعوة - 1 / 142

³ (ابن أبي الدنيا ،الأولياء ،المحقق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1413 ، 1 / 35

هذا أجره عملك في يومين وإن زدت زدناك

كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منها يده فيها فأحرقته فذهب إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر فقال لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته اذهب إلى السوق واطلب عملاً نأكل منه فذهب إلى مكان وصلى فيه إلى الليل ثم رجع قالت امرأته هل عملت قال عملت شيئاً عند الملك وقال أعطيك كلاً فباتوا جوعاً فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عياله فلما رجع ليلاً وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك فقالت جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال قولي لزوجك هذا أجره عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانياً فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا بالطبق فسجد زوجها شكراً لله (1).

فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ماسأل:

وقال الشعبي: رأيت عجباً، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القوم: ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يعطى، قم، يا عبد الله بن الزبير! فإنك أول مولود ولد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهم إنك عظيمٌ تُرجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ ألا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة! وجاء فجلس، وقالوا: قم،

¹ (عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - 2001 / 2002، 27/1، 69، 2 / 260، 280)

يامصعب !فقام حتى إذا أخذ بالركن اليماني فقال :اللهم إنك رب كل شيء، وإليك يصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميتني حتى توليني العراقيين وتزوجني سكيئة بنت الحسين وجاء فجلس، وقالوا :قم، يا عبد الملك !فقام فأخذ

الركن وقال :اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم رب الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وأسألك بحق الطائفين حول بيتك ألا تميتني حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولا ينازعني أحدٌ ألا أُتيتُ برأسه !ثم جاء فجلس، ثم قالوا :قم، يا عبد الله بن عمر !فقام حتى أخذ بالركن ثم قال :اللهم إنك رحمان رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك إلا تميتني حتى تُوجب لي الجنة - !قال الشعبي :فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيتُ كل رجل منهم قد أعطي ماسأل وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة. (1)

ألسـت صاحبـى بالأمس ؟

- وعن عبد الله بن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه ، أنه قال :خرجت إلى الجهاد ومعى فرس فبينما أنا فى بعض الطريق إذ صرع الفرس ، فمر بى رجل حسن الوجه طيب الرائحة ، فقال :أتحب أن تركب فرسك .قلت :نعم .فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره ، وقال :أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبإله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبإلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت .قال :فانتفض الفرس وقام ، فأخذ الرجل بركابى وقال :اركب فركبت ولحقت بأصحابى ، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا ، فقلت :ألسـت صاحبـى بالأمس ؟ قال :بلى .فقلت :سألتك بالله من أنت ؟ فوثب قائماً فاهتزت الأرض تحته خضراء ، فإذا هو

الخضر عليه السلام قال ابن المبارك رضي الله تعالى عنه :
فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفي بإذن الله تعالى⁽¹⁾ .

اصبروا، فإنما هي الليلة

قال الفضيل بن عياض، قال إبراهيم التيمي :لما حبست
الحبسة المشهورة، أدخلت السجن، فأنزلت على أناس في قيد
واحد، ومكان ضيق، لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه، وفيه
يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون.

قال :فجيء برجل من أهل البحرين، فأدخل علينا، فلم نجد
مكاناً، فجعلوا يتبرمون به، فقال :اصبروا، فإنما هي الليلة.
فلما دخل الليل، قام يصلي، فقال :يا رب، مننت علي بدينك،
وعلمتني كتابك، ثم سلطت علي شر خلقك، يا رب، الليلة،
الليلة، لا أصبح فيه.

فما أصبحنا حتى ضربت أبواب السجن :أين البحراني، أين
البحراني ؟ فقال كل منا :ما دعي الساعة، إلا ليقتل، فخلي
سبيله.

فجاء، فقام على باب السجن، فسلم علينا، وقال :أطيعوا الله لا
يضيعكم⁽²⁾.

وإني قد استحييت من الله

قيل إنه في آخر سنة حج قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين
مرة وأقول كل مرة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان،
وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع
فتوفي في العام القابل⁽³⁾ .

اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك ، فأرحنا منه كيف شئت

عن عبد الواحد بن زيد : كنا عند مالك بن دينار ومعا محمد بن
واسع ، وحبیب أبو محمد فجاء رجل ، فکلم مالکا ، فأغلظ له في
قسمة قسمها ، قال : وضعتها في غير حقها ، وتتبع بها أهل
مجلسك ، ومن يغشاك لتكثر غاشيتك ، وتصرف وجوه الناس
إليك ، قال : فبكى مالك ، وقال : والله ما أردت هذا ، قال : بلى

¹ (كمال الدين الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، 298/2

² (القاضي التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، 42/1

³ (ابن خلکان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 393/2

، والله لقد أردته فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له ، فلما أكثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك ، فأرحنا منه كيف شئت ، قال : فسقط والله الرجل على وجهه ميتا ، فحمل إلى أهله على سرير ، وكان يقول : إن أبا محمد مستجاب الدعوة.(1)

اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء

روى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وألبسي نعلين من ذهب وقال يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعوني بها في الدنيا فقلت اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء فقال يا أحمد قم فادخل الجنة . . (2)

ان كنت تعلم اني على صواب فلا تهتك ستري

قال بعضهم رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام فسألته عن أحمد فقال اسأل عنه موسى فسألته فقال هو من الصديقين وقال بعضهم رأيت زبيدة في المنام وكنيتها أم العزيز وشعرها أبيض فسألته عن ذلك فقالت لما جردوا الإمام أحمد للضرب زفرت جهنم زفرة فلم يبق أحد في القبور إلا أبيض شعره ولما ضربه الجلاذ أول ضربة بالسوط شق خاصرته فقال اللهم اعم بصره ثم رآه بعد ذلك وهو أعمى فسأله عن ذلك فقال حتى تخرج الروح قبل أن تقول القرآن مخلوق فقال الإمام أحمد اللهم إن كان صادقا فرد عليه بصره فرد الله بصره وفي السوط الأول قال بسم الله وفي الثاني قال لا حول ولا قوة إلا بالله وفي الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق وفي الرابع لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ثم انقطعت حاشية سراويله فقال اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به

¹ (يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [654 - 742]، تهذيب الكمال مع حواشيه ، المحقق : د. بشار عواد معروف ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1400 - 1980 ، 392 / 5

(2) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 107/1

العرش ان كنت تعلم اني على صواب فلا تهتك ستري فرفعت سراويله .

وما يدريك أنه يحبك ؟!

عن مالك بن دينار قال احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقي فلم نر أثرا لإجابة فخرجت أنا وعطاء السليمي وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرين حتى صرنا الى المصلى بالبصرة فاستسقيناه فلم نر أثرا لإجابة وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصلى فلما اظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء الى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء فقال سيدي الى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفد ما عندك أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعة الساعة .

فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب فما خرجنا حتى خضنا الماء فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت أما تستحي مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنت أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته أتراه بدائي بذلك إلا لمحبهته لي ثم بادر يسعى فقلت ارفق بنا قال أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير فدخل دار نحاس فلما أصبحنا أتيت النحاس فقلت له عندك غلام تبيعنيه للخدمة قال نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج إلى واحدا بعد واحد وأنا أقول غير هذا الى أن قال ما بقي عندي أحد فلما خرجنا اذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت بعني هذا قال هذا غلام مشوم لا همة له إلا بالبكاء فقلت ولذلك اريده فدعاه وقال لي خذه بما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه فاشتريته بعشرين دينارا فلما خرجنا قال يا مولاي لماذا اشتريتي قلت لنخدمك نحن قال ولم ذاك قلت أليس انت صاحبنا البارحة في المصلى قال وقد اطلعت على ذلك فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال

إلهي وسيدي سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين أقسمت عليك إلا قبضت روعي الساعة فإذا هو ميت (1).

بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك

قال رباح القيسي : سمعت مالك بن دينار، يقول : أصاب الناس بالبصرة قحط شديد، فخرجنا نستسقي فإذا أنا بسعدون في بعض الخرابات فقلت له بالذي خلقك استسق لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال " يا فاطر الأشباح والأرواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الأصباح بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك ولا تهلك بلادك بذنوب عبادك " قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء غرابيلها وجادت بوابلها فخرج يخوض الماء وهو يقول:

قل لدنياي أبعدى وتولي ... ان تريني فإنني لا أراك
وصلني واملكي وداد سوائي ... انني مغرم بحب سواك
إن تكوني أسرت بالذنب قوما ... فاذهي أنت لست من أسراك
(2)

يا أيها الراقد كم ترقد!

قال مالك بن دينار كنت حاجاً فغلبتني عياني فرقدت عند الكعبة فوقف سعدون على رأسي، فقال:

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ... فازدد إذا ما سجد السجد (3)

لئن لم ترك العين ... فقد أبصرك القلب

قال مالك بن دينار : مررت ببعض سكك البصرة، فإذا الصبيان يرمون رجلاً بالحجارة ويقولون : هو يزعم إنه يرى ربه على الدوام . قال فزجرت عنه الصبيان، وقلت له : ما الذي يزعم هؤلاء ؟ قال وما يزعمون ؟ قلت يزعمون أنك تزعم ترى ربك على الدوام، فبكى، وقال والله ! ما فقدته لما أطعته . ثم أنشأ يقول:

على بعدك لا يصبر ... من عادته القرب

¹ (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 17/4

² (أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ، عقلاء المجانين ، 1 / 20

³ (النيسابوري ، عقلاء المجانين ، 1 / 22

ولا يقوى على هجرك ... من تيمه الحب
لئن لم ترك العين ... فقد أبصرك القلب (1)

أخبرت أهل النار بحبي إياك

وقال ذو النون: " تسمعوا يوماً على أبي سليمان، فسمعه يقول:
يا رب!، أن طالبتي بسريرتي طالبت بتوحيديك!، وإن طالبت
بذنوبي طالبت بكرمك!، وإن جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار
بحبي إياك " .

قد وضعنا في هذه ما أصابها

وقال: " كنت ليلة باردة في المحراب، فاتفني البرد، فخبأت إحدى
يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبت عيناى فنمت، فهتف
بي هاتف: يا أبا سليمان!، قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت
الأخرى لوضعنا فيها. فأليت على نفسي أن لا ادعوا إلا ويدي
خارجتان، حراً أو برداً " .

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم

وعن محمد بن منصور الطوسي ، قال : قعدت مرة إلى معروف
، فلعله قال : واغوثاه يا الله ، عشرة آلاف مرة ، وتلا : إذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم .

يا ابت كنت الساعة بالأنبار

قال خليل الصياد غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعا
شديدا فأتيت معروفا فقلت أبا محفوظ قال ما تشاء قلت ابني
محمد غاب وجزعت أمه عليه جزعا شديدا فادع الله أن يرده
عليها فقال اللهم ان السماء سماؤك والأرض أرضك وما
بينهما لك فأت به قال خليل فأتيت باب الشام فاذا ابني محمد قائم
منبهر قلت محمد قال يا ابت كنت الساعة بالأنبار .

إيش الخبر

قال ابو محمد الضرير جار مردوية الصائغ أرسل الى مردوية
فأتيته فقال إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على
النساء لما يبكين فاغد بنا الى معروف قال فغدوت أنا وهو الى
معروف فسلم عليه وهو في المسجد فقال معروف ما الذي
جاء بك يا ابا بكر قال إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد

ضيقوا على النساء لما يبكين قال فقال معروف يا عالما بكل شئ ويا من لا يخفى عليه شئ ويا من علمه محيط بكل شئ أوضح لنا أمر ذا الغلام ثلاث مرار قال ثم انصرفنا من عنده قال فلما ان أصبحت قبل صلاة الفجر إذا رسول مردوية قد جاءني يدعوني فقلت إيش الخبر فقال قد جاء الغلام فجئت فاذا الغلام قاعد بين يدي مردويه فقال لي اسمع العجب قال فقال الغلام كنت أمشي بالكوفة فأتاني نفسان فأخذا بيدي فأخرجاني من الكوفة وقالوا امض الى بيتكم فلم اقعد ولم آكل ولم أشرب ومررت ببئر تسع أو قال تسعين ثم رايتهما فلم يتحركا حتى أتيتكم فأطعموني فاني ما أكلت شيئا حتى جئكم .
(¹)

تربية الأبناء

الأولاد أمانة عند آبائهم وفي صحائفهم يكتب ما يفعلون، وهم عند الله مسئولون عن تربيتهم وتوجيههم . وصلاح الأبناء والبنات أمنية الآباء والأمهات، يا لها من نعمة عظيمة، ويا لها من منة جليلة كريمة، يوم يمسى الأب ويصبح، وقد أقر الله عينه بالذرية الصالحة، ذرية تخاف الله، ذرية تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتتحلى بجميل الخصال وكريم الفعال.

الذرية الصالحة بهجة الحياة وسرورها، وأنسها وفرحتها وزينتها، حين يرزقك الله الولد الصالح الذي تحبه ويحبك، توده ويودك، تأمره فيطيعك ويبرك فكيف يا ترى نحصل على الذرية الصالحة المؤمنة البارة . إذا أردت الولد الصالح فإن أول ما تحتاجه وتفتقر إليه دعوة صالحة تهديه إلى الله، يحتاج أول ما يحتاج إلى صالح الدعوات إلى الله فاطر الأرض والسموات ، صلح الأبناء والبنات، قال تعالى عن نبيه وخيله إبراهيم عليه الصلاة والسلام : " رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ " [إبراهيم:40].

وقال سبحانه عن نبيه زكريا : " رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ " [آل عمران:38].

عليك أن تقول كما قال الأخيار، وصفوة عباد الله الأبرار : " رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " [الفرقان:74].

علم المؤمنون الأخيار أنه لا صلاح للأبناء والبنات إلا بالله، وأنه لا يهدي قلوبهم أحد سواه، فجأروا إلى ربهم بالدعوات، ما أحوج بناتك وأبنائك إلى دعواتك الصالحة، سلوا الله لأبنائكم وبناتكم الصلاح، سلوا لهم الخير والسداد والفلاح.

صلاح الأبناء والبنات يكون أول ما يكون منك، من حركاتك وسكناتك، يكون من أقوالك وأفعالك، يوم ينشأ الابن وتنشأ البنت في أحضان أب يخاف الله ، وفي أحضان أم تخشى من الله، تكون الذرية صالحة بإذن الله.

ولقد اهتم الأنبياء بتربية أبنائهم فقد قال يعظه : " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ؟[لقمان :13] لقد أخذ بمجاميع ذلك القلب البريء إلى الله وعلمه توحيد الله والعبودية له، فخذوا أيها المؤمنون بمجاميع قلوب أبنائكم إلى الله ، خذوهم بنصيحة مؤثرة وموعظة بليغة تأخذهم إلى محبة الله ومرضاة الله. كم من نصيحة صادقة من أب ناصح، وأم مشفقة ناصحة نفعت الأبناء والبنات ما عاشوا أبداً.

إن صلاح الأبناء تقر به العيون في الحياة والممات، تقر به عينك في الدنيا ، حين تراه خيراً صالحاً ناصحاً، إن أمرته أطاعك وإن طلبته برّك، وكان لك بعد الله نعم المعين، وكان لك الناصح الأمين.

صلاح الأبناء تقر به العيون في اللحد والظلمات يوم تغشاك منه صالح الدعوات، وأنت في القبور وحيداً ، وأنت في مضاجعها فريداً، يذكرك بدعوة صالحة، ينعمك بها الرحمن الرحيم، ويغشاك منه الروح والريحان. قال ﷺ في الحديث الصحيح: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"

صلاح الأبناء تقر به العيون في الموقف بين يدي الديان إذ يكونوا حجاباً لك من النار كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من ابتلي بشيء من هذه البنات فأدبهن فأحسن تأديبهن ورباهن فأحسن تربيتهن كن له حجاباً من النار".

هكذا يكون الأولاد الصالحون امتداداً لعمرك القصير وتجديداً لوجودك الفاني، وخلف لسلف راحل يذكر به، ويحفظ عنه ويدعو له. علاقة البنوة الصالحة بالأبوة علاقة حب وإيمان مستمر متواصل في الحياة وبعد الممات ثم يجمع الله الآباء المؤمنين بأبنائهم الصالحين في دار كرامته ومستقر رحمته في جنات النعيم كما قال تعالى: ؟ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

ذَرِيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ [الطور: 21].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب من أين لي هذا فيقول: باستغفار ولدك لك".

لا بد أن يكون لدي المسلم الشعور بعظيم المسؤولية ، فالأبناء والبنات ما هم إلا أمانة وضعت في عنقك إما أن تنتهي بك إلى جنة أو إلى نار. أبناؤك وبناتك مسئولية سوف تسأل عنهم أمام الله كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" وسوف يحاجك ابنك وابنتك أمام الله إن أنت فرطت في تربيته وتوجيههم فإما أن يكونوا سبيلاً لك إلى الرحمة أو إلى العذاب.

وإن كان المولي تعالى امتن علي البشرية بنعمة الذرية ، فقد حذرنا من الافتتان بها فقال : (إن من أموالكم و أولادكم فتنة) ، و انتدبنا لناخذ بحُجَزِ أهلينا عن النار فقال : (قوا أنفسكم و أهليكم ناراً) ، و ذلك من حقّ أهلينا علينا ، و تمام رعايتنا لهم ، و كلنا راع و مسؤول عن رعيته كما في الحديث . و لأداء أمانة الرعاية لا بدّ للأبوين من الحرص و العمل على تعليم الأبناء و تربيتهم ، و لا يفوتنهما أنهما محاسبان على التهاون و التقصير في ذلك .

و التربية السليمة تبدأ منذ نعومة الأظفار ، قال الإمام الغزالي رحمه الله في (الإحياء) : (ممّا يحتاج إليه الطفل أشدّ الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه ، فإنّه ينشأ على ما عوّده المربي في صغره من حرَدٍ و غضبٍ و لجاجٍ و عَجَلَةٍ و خَفَّةٍ و هوىٍّ و طيشٍ و حدّةٍ و جشعٍ ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك و تصير هذه الأخلاق صفات و هيئات راسخة له ، فإن لم يتحرّز منها غاية التحرّز فضحته لا بدّ يوماً ما ، و لذلك نجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم ، و ذلك من قبل التربية التي نشأ عليها) .

و قال الشاعر :

و ينشأ ناشئ الفتیان فینا علی ما کان عودہ أبوه
و قد قیل : العلم فی الصغر كالنقش فی الحجر ، و العلم فی

الکبر کالغرز بالإبر

ومن أحسن ما قیل :

ينشأ الصغير علی ما کان والده إنَّ الأصولَ علیها ینبت
الشجر

عود بنیک علی الآداب فی الصغر

فإنما مثل الآداب تجمعها

هی الكنوز التي تنمو ذخائرها کيما تقرّ بهم عیناک فی
الکبر

فی عنفوان الصبا كالنقش فی الحجر

ولا یخاف علیها حادث العبر

وإنَّ من أدبته فی الصبا

حتى تراه مورقاً ناضراً كالعود یسقى الماء فی غرسه

بعد الذي أبصرت من یبسه

قد ینفع الأدبُ الأحداث من صغر

إنَّ الغصون إذا قومَتها اعتدلت وليس ینفع بعد الشیبة
الأدبُ

ولن تلین إذا قومَتها الخُشبُ

ومن المواقف :

ابعث إليّ بأجمع رجلٍ عندك ! :

قال قتادة : کتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إليّ بأجمع

رجلٍ عندك ! فبعث إليه بالشعبيّ . فلما قدم علیه قال له عبد

الملك : علم بني ستّ خصال، ثمّ شأنک بعد تأديبهم ! علمهم

صدق الحديث كما تعلمهم القرآن، و علمهم الشعر ینجدوا

ویمجدوا -یعني أنهم یكونوا أسخياء وفرساناً -وَجُرّ

شعورهم تشد رقابهم، وأطعمهم اللحم تصح قلوبهم، وجنبهم

الحشم فإنه مفسدة لهم، وجالس بهم علیه الرجال یناقضونهم

الكلام فإنه خيار الناس ! وقال عبد الملك للشعبي

قمیئة حیث یقول:

:لله در ابن

كأني وقد خلفتُ تسعين حجةً ... خلعتُ بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لأرى ... فكيف بمن يُرمى وليس

برامي

فلو أنها نبِلٌ إذا لاتقيتها ... ولكنني أرمي بغير سهام⁽¹⁾

يا هذا ، ليس للقرآن عندك قدر ؟

أسلم أبو حنيفة ابنه حماداً إلى المعلم فعلمه الحمد فوصله
بخمسمائة درهم ، فقال المعلم : إن هذا عظيم ، فقال أبو
حنيفة : يا هذا ، ليس للقرآن عندك قدر ؟⁽²⁾

إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة

- قال أبو بكر الشبلي: جئت يوماً إلى باب الطاق فرأيت والدة
تضرب ولدها، فقلت لها: لهذا حرمة، فقال الصبي: معارضتك
بيني وبين والدي أشد علي من ضربها، رأيت أحداً يضرب
ولده إلا من محبته إياه إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة
وفرط محبة.

قال الشبلي: فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة، فانصرفت
عنهما وأنا أقول:

لبيك تصديقاً أيا سيدي ... من الذي يآلم من عثرتك.

أولادنا ثمار قلوبنا

عن أبي عبيدة قال دخل الأحنف بن قيس على معاوية ويزيد
بين يديه وهو ينظر إليه إعجاباً به فقال يا أبا بحر ما تقول في
الولد فعلم ما أراد فقال يا أمير المؤمنين هم عماد ظهورنا
وثمر قلوبنا وقرة أعيننا بهم نصول على أعدائنا وهم الخلف
منا لمن بعدنا فكن لهم أرضاً ذليلاً وسماء ظليلاً أن سألوك
فأعطهم وان استعتبوك فأعتبهم لاتمنعهم رفدك فيملوا قربك
ويكرهوا حياتك ويستبطؤوا وفاتك فقال لله درك يا أبا بحر هم
كما وصفت⁽³⁾.

⁽¹⁾ (المرزباني ، نور القبس، 92/1

⁽²⁾ (أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 9 / 212- 215

⁽³⁾ (أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، الأماشي في لغة العرب ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، 1398هـ - 1978م ، 44-43/2

القضاء بين الناس

والقضاء هو أحد أركان الدولة الإسلامية أو الخلافة أو الإمامة العظمى، ومحور نظام الحكم، والمظهر العملي الحازم لإلزام الناس باحترام أحكام الشريعة وإعلان هيبتها ونفوذها وتطبيقها في العلاقات الاجتماعية لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإبراز العدل والإنصاف بين الناس، المؤمنين منهم وغير المؤمنين.

لذا كان أحد وظائف الأنبياء، وكان الخلفاء والولاة والقضاة يتولونه بالنيابة عن الأمة التي يمثلها الخليفة أو الإمام الأعظم. ولاشك بأن العدل في التصور الإسلامي هو أساس الملك، والظلم مؤذن بخراب المدنيات وتدمير كيان الأمم والشعوب، والقضاء على مصالح الأفراد والجماعة، لأنه يؤدي إلى التدمير ويعجل بالفوضى ويدفع إلى الانتقام والتخريب.

فالقضاء في غاية الأهمية والحساسية، ومادام هو بخير فالأمة بخير، وإذا فسد القضاء فسدت الأمة والبلاد.

القضاء في الإسلام منصب خطير، وذو مكانة كبيرة في الشريعة الإلهية، لذا وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة الشريفة تشيد بالقضاء وتكلف به الأنبياء والمرسلين، وتوجب القضاء بالحق والعدل كما تقدم لدينا. وكما كرمت الشريعة القاضي العادل حذرت من القاضي الجائر الذي يتبع هواه (1).

وقد قال الله تعالى: {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله} [ص:38/26] وقول الله تعالى: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله} [المائدة: 5/49] وقوله تعالى: {فاحكم بينهم بالقسط} [المائدة: 5/42] وقوله عز وجل: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله} [النساء: 4/105] ونحوها من الآيات.

¹ (محمود الشربيني ، القضاء في الإسلام ، ص13.

وقال الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم : (القضاة ثلاثة :
واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل
عرف الحق ف قضى به . ورجل عرف الحق و جار في
فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار)
[¹] وَمَنْ أَجْدَرُ بِالنَّارِ مِمَّنْ يَقْضِي بِغَيْرِ الْحَقِّ ، فيضيع على
الناس حقوقهم بجهله أو بهواه ؟ والحق هو ما كان عليه
الأمر في نفسه ، فالمبطل من الخصمين من يخفيه ، والمحق
من يطلب إظهاره . وإصابته في الحكم هي العدل ، فالحق
والعدل لا يعرفان من كلام المصنفين والمؤلفين ؛ وإنما كلام
العلماء يبصر القاضي ويهديه إلى طريق الحق ،
وهو يصل إليه باجتهاده وتحريه وتوفيق الله تعالى ، واستدلوا
بالحديث على أن القاضي لا يكون إلا رجلاً .
وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال قلت : يا رسول الله ألا
تستعملني ،
قال ف ضرب بيده على منكبي ثم قال : (يا أبا ذر إنك ضعيف
وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها
بحقها وأدى الذي عليه فيها) [²] وفي حديث آخر أنه قال له
: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب إليك ما أحب لنفسي
لا تأمرن على اثنين ولا تولين علي يتيم) [³] في الحديث
دليل على أن الضعيف لا يؤلى القضاء . والضعف على إطلاقه
، فيشمل ضعف الرأي وضعف العزيمة والإرادة وضعف
النفس بأن يكون ممن يغلب عليه الخجل والحياء من الصدع
بالحق أو يكون سريع التأثر والانفعال قريب الانخداع ، ومن
الضعف أن يكون مهيناً عند الناس غير محترم ولا موقر لحال
فيه تقتضي ذلك كالإفراط في الدعابة والإلمام
بالخسائس والمحقرات .

¹ (رواه أبو داود و ابن ماجه وغيرهما عن بريدة ، وله ألفاظ أخرى .

² (رواه أحمد و مسلم .

³ (رواه أحمد و مسلم .

وقال ﷺ : (من جُعِلَ قاضيًا بين الناس فقد ذُبِحَ بغير سكين)
[¹]

الحديث تمثيل لخطر المنصب وحرص الموقف ؛ فإن القاضي إذا جار وظلم كان له الخزي وسوء الأحداث في الدنيا ، وسخط الله وعقوبته في الآخرة ، وإن عدل المتقاضين كما قيل :

إن نصف الناس أعداء لمن ... وَلِيَّ الأحكام هذا إن عدل هكذا حمل أكثر العلماء الحديث على التنفير من القضاء وبيان الخطر فيه ،

وقالوا : إن قوله (بغير سكين) تهويل للذبح وبيان لشدتها ؛ لأن أهون الذبح ما كان بسكين ، فإن كان بمحدد آخر كالظّرّان كان أشبه بالخنق وسخروا من قاضٍ قال إن إشارة إلى الرفق وإراحة المذبوح ، ولهذا الحديث وأمثاله كان أهل الدين والورع من السلف يتحامون القضاء ويفرون منه ، فكان ذلك سببًا في جعل هذا المنصب العظيم في أهل الطمع والدهان للأمراء والسلاطين ، وكانت هذه السنة من أقتل أمراض المسلمين ، وأفتك أدوائهم في الدنيا والدين . وحمل أبو العباس أحمد بن القاص الحديث على جهاد النفس وترك الهوى ، وقال : إنه لا يفيد كراهية القضاء وذمه ، واستشهد لذلك بأحاديث ذكر فيها الذبح وأطال في بيان ذلك ، وأيده بما ورد في تعظيم شأن الحكم بين الناس في الكتاب والسنة ، وأنه وظيفة الأنبياء عليهم السلام وذكر من وَلِيَّ القضاء من الصحابة عليهم الرضوان ، ولا حاجة إلى هذا كله في تأويل الحديث ؛ فإن الترهيب له أهل وقد علم قاضي الجنة من قاضي النار .

وقال ﷺ : (من ابتغى القضاء وسأل فيه الشفعاء وكل إلى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكًا يسدده) [²] وفي

¹ (رواه أحمد وأصحاب السنن - إلا النسائي - عن أبي هريرة ورواه غيرهم أيضًا .
² (رواه أبو داود و الترمذي عن أنس ، وقال حسن غريب وفي رواية (واستعان عليه) بدل (وسأل فيه الشفعاء) ، وبديل كلمة (الإكراه) (ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه) ويشهد لها حديث الصحيحين .

حديث الصحيحين الوارد في مطلق الإمارة لم يشترط الإكراه عليها ، وهو قوله ﷺ (يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل عن الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها) وهذا الإطلاق هو الظاهر ، وتأييده الرواية الأخرى ؛ لأن الذين يتهافتون على القضاء والإمارة هم الذين يبتغون بالمناصب المال والجاه ، لا إقامة العدل وتعزيز الحق ؛ ولذلك يطلبونها بالشفعاء ، وقلما يسأل المستعد للشيء الطالب للحق شفيعاً يوصله إليه ؛ لأنه يعتمد في الغالب على استعداده ، إلا إذا كان في أمة وحكومة ضاع الحق بينهم ، وحينئذ يفضل البعد والهرب من المناصب غالباً .

وقال ﷺ : (إن الله مع القاضي ما لم يحف عمداً) [1] وقال ﷺ (إن الله مع القاضي ما لم يجر ، فإذا جار تبرأ الله منه ولزمه الشيطان) [2]

والحقيقة أن مقام القضاء مقام رفيع ، وعلى قدر الارتفاع يكون خطر السقوط.

وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بين الناس [3] ، وبعث علياً كرم الله وجهه وأبا موسى الأشعري إلى اليمن للقضاء في المنازعات، وبعث أيضاً إليها معاذاً [4]، وكان عتّاب بن أسيد أول قاض لرسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة، ولأن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حكموا بين الناس، وبعث عمر رضي الله عنه أبا موسى الأشعري إلى البصرة قاضياً، وأرسل عبد الله بن مسعود إلى الكوفة قاضياً . وتولى القضاء عمر وعلي ومعاذ وأبو موسى وشريح وأبو يوسف رضي الله عنهم.

¹ (أحمد عن معقل بن يسار و الطبراني عن ابن مسعود .

² (الترمذي وابن ماجه و ابن حبان وغيرهم عن عبد الله بن أبي أوفى .

³ (أخرجه أبو داود عن علي، ورواه أحمد وإسحاق بن راهويه، وأبو داود الطيالسي في مسانيدهم، ورواه الحاكم في المستدرک (راجع نصب الراية، المرجع السابق، ص 60 ومابعدھا).

⁴ (أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ (نصب الراية: ص 63، تلخيص الحبير، الطبعة المصرية: 4 ص 182).

وأجمع المسلمون على مشروعية تعيين القضاة، والحكم بين الناس، لما في القضاء من إحقاق الحق، ولأن الظلم متأصل في الطباع البشرية، فلا بد من حاكم ينصف المظلوم من الظالم.

وإذا كان هناك أحد من الفقهاء أو العلماء قد رفض تولي القضاء كالإمام أحمد حينما رفضه كسُلم إلى الدنيا، أما أن يكون القضاء سببا إلى إصلاح بين الناس وإلى إقامة القسط والعدل وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى قضاء حوائج المسلمين فلا شك أن هذا من أعظم القربات وأجل الطاعات، ولا بد للناس من القضاء ومن القضاة وقد يتعين هذا المنصب على من يكون أهلا له وجديرا به.

والنصوص التي تتحدث عن فرار أئمة السلف من تولي القضاء والتحريض على تركه محمولة على أمرين :

أ - علمهم بوجود من يقوم به

ب - تركه ورعاً وحيطة لدينهم أما إذا ترتب على ذلك خلو القضاء ممن يقوم به أو تسلط الكفرة أو الفجرة عليه فتفسد مصالح الناس وتعطل أحكام الشريعة فلا، ولا يفهم من ذلك أنهم يحرصون على اعتزال المجتمع والحياة كما يفعل دراويش الصوفية وخوارج هذا العصر.

ومن المواقف :

رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء : ينبغي على كل قاض أن يحفظ الرسالة العمرية في القضاء؛ لأنها تضع له منهاج التقاضي، وتحدد نظرة الإسلام إلى القضاء، وأوضاع المتقاضين أمام القاضي وآداب القاضي، وقواعد سير الدعوى، وضوابط الشهادة في سبيل الوصول إلى إصدار الحكم وتنفيذه، وهذا نص الرسالة [1]:

¹ (انظر أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية: 1/85 ومابعدھا، وانظر الشرح النفيس لها في هذا الكتاب، تبصرة الحكام: 1/19.

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس [1].

- سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو
أما بعد:

- 1 - فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة.
- 2 - فافهم إذا أدلي إليك.
- 3 - فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له.
- 4 - آس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.
- 5 - البينة على المدعي، واليمين على من أنكر.
- 6 - والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراماً ، أو حرّم حلالاً.
- 7 - ومن ادعى حقاً غائباً أو بيّنة، فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن بيّنه أعطيته بحق، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فإن ذلك هو أبلغ للعدر، وأجلى للعماء.
- 8 - ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك، أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم، لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التماس في الباطل.
- 9 - والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنياً في ولاء أو قرابة.
- 10 - فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود، إلا بالبيّنات والأيمان.
- 11 - ثم الفهم الفهم، فيما أدلي إليك، مما ورد عليك، مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق.
- 12 - وإياك والغضب، والقلق، والضجر، والتأذي بالناس، والتكر عند الخصومة أو الخصوم.

¹ (هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

13 - فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذِّكر.

14 - فمن خلصت نيته في الحق، ولو على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن بما ليس في نفسه شأنه الله ، فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً . والسلام عليكم ورحمة الله .

فضحتني! :

عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه:
خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم وإن لم يكن لي
الحق لم أخاصمهم فقص قصته عليه فقال:
فانطلق إليهم فخاصمهم إليه ففضى على ابنه فقال له لما رجع
إلى أهله :والله لو لم أتقدم إليك لم ألك، فضحتني
يا بني لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله هو أعز
على منك أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب
ببعض حقهم⁽¹⁾.

إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يكون :

قال الشعبي :شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً
فأرسلت عينيها وبكت، فقلت :
يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة؛
فقال :يا شعبي إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يكون⁽²⁾.

يا لك أمة هلكت ضياعاً

عن مالك بن دينار أنه قال لما ولي بلال القضاء : يا لك أمة
هلكت ضياعاً وروى المبرد : أن أول من أظهر الجور من
القضاة في الحكم بلال وكان يقول : إن الرجلين ليختصمان إليّ
فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضي له⁽³⁾.

¹ (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، الطبقات الكبرى، **المحقق** إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، **الطبعة** : 1 - 1968 م ، 134/6

² (أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 313/4

³ (عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية ، 1998 م ، 36/3

فلم أدر من أيهم أعجب

- قال عبد الله بن المبارك :لما أفضت الخلافة إلى هارون، وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فأرادها على نفسها، فقالت : لا أصلح لك؛ إن أباك قد أطاف بي، فأغري بها . قال : فبعث إلى أبي يوسف فقال :جارية من جواري المهدي أردتها فتحصنت مني وذكرت أن أبي قد وقع بها، فعندك في هذا شيء؟ قال :نعم يا أمير المؤمنين، لا تصدقها، ليست بمأمونة على نفسها.

قال عبد الله بن المبارك :فلم أدر من أيهم أعجب، من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتخرج من وطء جارية لأبيه رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أم من هذا فقيه الأرض وقاضيه، قال :تهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيره في رقبتى⁽¹⁾.

¹ (ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 3/129

الخوف من الله :

الخوف من الله تعالى:

الخوف يعني: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف .
يقول ابن رجب : القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات كان ذلك فضلاً محموداً .
ويقول الحافظ ابن حجر : الخوف من المقامات العلية، هو من لوازم الإيمان، قال تعالى : " وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آل عمران: 175) .

وقد قال المولى عز وجل : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (المائدة: 27-28) "

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصِّدْقِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (المائدة: 94) "

" وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ (النحل: 49-51) "

" قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الأنعام: 14-15) "

" وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (يونس: 15) "

"الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (هود : 1-3)

"أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (الإسراء: 57-58)

"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (الرحمن : 46-47)

"إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (الإنسان : 5-8)

"إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (الإنسان : 5-10)

"وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (النازعات : 40-41)

وعن عائشة- رضي الله عنها- زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ «المؤمنون/ 60» قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال «لا يا بنت الصديق. ولكنهم الذين يصومون، ويصلون،

ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات (1)

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل. وشاب نشأ في عبادة الله. ورجل قلبه معلق في المساجد. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال. فقال: إني أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه (2)

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة (3)

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «آل عمران : 102». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه (4) وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- لما طعن: «لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه. وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسيا.

وقال ابن عمر- رضي الله عنهما- كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي. قال: فوضعتة على الأرض. فقال: ويلى ويلى أمي إن لم يرحمني ربي.

¹ (الترمذي (3175) واللفظ له، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (2537). وابن ماجه (4198).

² (البخاري- الفتح 3 (1423) واللفظ له. ومسلم (1031)

³ (الترمذي (2450) وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الحاكم 4 (307، 308) ووافقه الذهبي.

⁴ (سنن الترمذي (2585) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (4325)، وأحمد (300 /1)

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وأدوا فرائضه الجنة.

وبكى أبو هريرة- رضي الله عنه- في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي.

وقال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه جالس في أصل جبل يخشى أن ينقلب عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

وعن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال. قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت، كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟. قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله. وكان علي بن الحسين إذا توضعاً اصفرّ وتغير، فيقال: مالك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟.

وقال ذو النون: «الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا عن الطريق».

وقال الحسن البصري- رحمه الله -: إن المؤمنين قوم ذلت والله

منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: وقالوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ (فاط : 34) والله لقد كابدوا

في الدنيا حزناً شديداً وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم».

وعن الحسن- رحمه الله- قال: لقد مضى بين يديكم أقوام لو أنّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم».

وعن الحسن- رحمه الله- في قوله تعالى: وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (الأنبياء : 90) قال: الخوف الدائم في القلب».

وعن الحسن- رحمه الله- قال: أبصر أبو بكر طائرا على شجرة. فقال: طوبى لك يا طائر تأكل الثمر، وتقع على الشجر، لوددت أني ثمرة ينقرها الطير».

وقال الحسن البصري- رحمه الله -:إن الرجل يذنب الذنب فما ينساه، وما يزال متخوفا منه حتى يدخل الجنة».

وقال الحسن البصري- رحمه الله «:-والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق، وما أمنه إلا منافق.

وقال الحسن البصري- رحمه الله :-الرجاء والخوف مطيئا المؤمن».

وقال الحسن البصري- رحمه الله- في قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (المؤمنون : 60). قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله :-من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر ابن عبد العزيز للمغيرة بن حكيم: «يا مغيرة، إنه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياما من عمر، وما رأيت أحدا قط كان أشد خوفا من ربه من عمر. كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده ثم رفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه. ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه.

وإبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن، ف قيل: ما يبكيك؟ قال: «أخاف أن يطرحني خدا في النار ولا يبالي.

وقال هرم بن حيّان: وددت والله أني شجرة أكلتني ناقة، ثم قذفتني بعرا، ولم أكابد الحساب يوم القيامة. إنني أخاف الداهية الكبرى.

وقال أبو سليمان الداراني: أصل كل خير في الدنيا والآخرة
الخوف من الله- عز وجل- وكل قلب ليس فيه خوف فهو قلب
خرب.

وعنه قال: من حسن ظنه بالله- عز وجل- ثم لا يخاف الله فهو
مخدوع.

وقال الغزالي- رحمه الله-: إن الرجاء والخوف جناحان بهما
يطير المقرَّبون إلى كلِّ مقام محمود. ومطيتان بهما يقطع من
طرق الآخرة كل عقبة كنود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: الخوف المحمود: ما
حجزك عن محارم الله.

و الخوف المحمود يقترن بالرجاء كما في قوله تعالى: أُولَئِكَ
الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا

(الإسراء)

(57:) ، وعن أنس- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه
وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟». قال
قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في
مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف»
«(1)». وقد وعد الله الخائفين بالجنة فقال: وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ
(النازعات : 40-41)

من فوائد الخوف

- الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- الأمن من الفرع الأكبر يوم القيامة.
- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- يثمر محبة الله وطاعته.
- سبب لسعادة العبد في الدارين.

¹ (الترمذي (983) واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (4261) وقال النووي:
إسناده حسن. وحسنه الألباني، صحيح ابن ماجه (3436) وهو في الصحيحة (1051)

- دليل على صفاء القلب وطهارة النفس.
- سبب لهداية القلب.
- يبعد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والسيئات.
- يجعل الإنسان يخلص عمله لله تعالى. وأن لا يضيعه بالتّرك أو المعصية.
- يورث المسلم الشّفقة على الخلق.
- يحمل الإنسان المسلم على التّخلّق بالأخلاق الحسنة وتجنّب الكبر والعجب.

ومن المواقف :

أجر النعمان عبدك من النار

كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الآخرة سورة {إذا زلزلت} وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة، وخرج الناس، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل، ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر، وهو قائم، وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول : يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك، قال : فأذنت، وإذا بالقنديل يزهر، وهو قائم فلما دخلت قال لي : تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت : قد أذنت لصلاة الغداة " - فقال : اكتم ما رأيت، وركع ركعتين، وجلس حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا .

فأنت في الأمنية فاعملي

وفي هذا يروي ابن أبي الدنيا أن إبراهيم التيمي قال : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبقارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي : أي نفس،

أي شيء تريدان؟ قالت : أريد أن أردد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: قلت: فأنت في الأمانة فاعلمي.

إن لي ربا كثير المعروف

وقال ثابت البناني : كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول : يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا قال : يا أماه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو اليوم أن لا يعدمني بعض معروفه فقال ثابت : فهذا يحسن ظنه بالله في حاله تلك .

القصص بعدك حرام

وقال عمر بن ذريوما في كلامه - وعنده ابن أبي داود و أبو حنيفة - أتعذبنا وفي أجوافنا التوحيد ؟ لا أراك تفعل اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم فإنهم قالوا : { آمنا برب العالمين } فقال أبو حنيفة : رحمك الله القصص بعدك حرام .

إن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي

وكان يحيى بن زكريا إذالقي عيسى بن مريم عليهما السلام : عبس و إذالقيه عيسى تبسم فقال له عيسى : تلقاني عابسا كأنك آيس ؟ فقال له يحيى : تلقائي ضاحكا كأنك آمن ؟ فأوحى الله تبارك و تعالى إليهما : إن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي .

الباب الذي بينك وبين الله تعالى

حدث إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا شيخ من عبد القيس ، قال : سمعتهم يقولون : أن رجلا أراد امرأة عن نفسها ، فقالت له : أنت قد سمعت الحديث وقرأت القرآن فأنت أعلم . فقال لها : فأغلقي أبواب القصر ، فأغلقتها . فدنا منها ، فقالت : هنا باب لم أغلقه . قال : أي باب ؟ قالت : الباب الذي بينك وبين الله تعالى . قال : فلم يعرض لها .

لخفت أن أكون أنا هو

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «لو نادى مناد من السماء : أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو.

من خاف الموت خشي الفوت

(خرج عمر - رضي الله عنه - يوما إلى السوق ومعه الجارود، فإذا امرأة عجوز فسلم عليها عمر، فردت عليه، وقالت هيه يا عمير : عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ، تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سمعت عمر، ثم قليل سمعت أمير المؤمنين : فاتق الله في الرعية . واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت . فبكى عمر . فقال الجارود : لقد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته. فأشار إليه عمر: أن دعها. فلما فرغ قال : أما تعرف هذه؟ قال : لا. قال : «هذه خولة ابنة حكيم التي سمع الله قولها، فعمر أخرى أن يسمع كلامها. أشار إلى قوله تعالى قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا المجادلة: 1 ". وهي خولة هذه.

يا كعب، خوّفنا

وعن كعب قال: قال لي عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يوما وأنا عنده: «يا كعب، خوّفنا». قال فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بلى. ولكن يا كعب، خوّفنا». قال قلت: يا أمير المؤمنين، اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك مما ترى.

كلما انتهيت اشتريت

وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: «رأى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في يدي لحما معلقا، قال: «ما هذا يا جابر؟». قلت:

اشتهيت لحما، فاشتريته. فقال عمر: «كلما انتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا » الأحقاف: 20 «.

أدفن كما يصنع بالعبد الآبق

قال عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال لولا أني أكره أن أصنع شيئا لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق .

وقال غير أحمد بن محمد فإذا سألتني ربي تعالى أي رب لم أرض
لك نفسي طرفة عين قط(1).

ولم لا أبكي؟

قال قيس بن الربيع :بلغني أن إبراهيم النخعي بكى عند الموت
فقليل له :ما يبكيك؟ فقال :ولم لا أبكي؟ وإنما أنتظر مبشراً
يبشرني بالجنة أو بالنار والله لوددت أنها تجلجل في صدري
إلى يوم البعث(2).

لكني سمعت قوله : يعرف المجرمون بسيماهم .

كان الفضيل يعظ ابنه كثيراً على الزهد ويقول :يا بني ، ارفق
بنفسك ؛ وكان يوماً خلف الإمام يصلي فسمع سورة الرحمن ،
فظلّ يتلوّى وأبوه ينادي :أما سمعت قوله : يا بني ، ارفق
مقصورات في الخيام " فقال :يا أبت ، لكني سمعت قوله :
يعرف المجرمون بسيماهم (3).

فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته

خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلاً
من السماء يمينا وشمالا فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع
الفجر ونسي حاجته . (4)

يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبه مالك على النار

قال المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن مالك بن دينار :قلت
لنفسى :يموت مالك وأنا معه في الدار ولا أعلم ما عمله ! قال :
فصليت معه عشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما
يكون من الليل؛ وجاء مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى
الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول :يا رب إذا جمعت
الأولين والآخرين فحرم شيبه مالك على النار؛ قال :فوالله ما
زال كذلك حتى غلبتني عيني؛ قال :ثم انتبهت فإذا هو على تلك
الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول :يا رب إذا جمعت الأولين
والآخرين فحرم شيبه مالك على النار؛ قال :فما زال كذلك حتى

¹ (صفة الصفوة ، 288/3

² (المبرد ، التعازي والمراثي ، 58/1

³ (أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 30/8

⁴ (الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 280/2

طلع الفجر ! قال : فقلت لنفسي : والله لئن خرج مالك فرآني لا تبلي عنده بالة أبداً؛ قال: فجئت إلى المنزل وتركته.

مالك غداً هكذا يصير

قال عبد الله بن مرزوق : بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول : مالك غداً هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول : غداً مالك هكذا يصير، حتى خر مغشياً عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشياً عليه.(1)

سبب موت مالك بن دينار

حصين بن القاسم قال قلت لعبد الواحد بن زيد ما كان سبب موت مالك بن دينار قال أنا كنت سببه سألته عن رؤيا رأى فيها مسلم بن يسار فقصها على فانتفضت فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى بيته فلم يزل مريضاً يعود إخوانه حتى مات منها فهذا كان سبب موته ، وتوفى قبل الطاعون ببسير وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائة (2)

فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته

كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته ، ولا يرجى غيره ، ولا يدرك الغنى إلا به ، فإنه من استغنى عز وشبع وروى ، وانتقل - عندما أبصر قلبه عما أبصرت عينيه - من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها ، فأضر بالحلال الصافي فيها ، إلا ما لا بد له منه ، من كسرة شربها صلبه ، وثوب يوارى به عورته ، أغلظ ما يجد وأخشنه .(3)

¹ (صفة الصفوة 279/3

² (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 288/ 3

³ (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، 1 /

الزم التقوى قلبك...

حدث علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: - إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعي من ذاك إلى أني أخاف أن أملك أو تملني. قال: فلما ودعته قلت له: - يا أبا عبد الله توصيني بشيء؟
قال: ألزم التقوى قلبك وانصب الآخرة أمامك⁽¹⁾.

فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى

وحكى عمي البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله، سبحانه، على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقلت له في ذلك، فقال: تذكّرت كلمة جرت على لساني في حال صباي، فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى.⁽²⁾

ليس هناك منزل ثالث

قال مالك بن دينار: دخلت مع الحسن السوق فمر بالعطارين فوجد تلك الرائحة، فبكى ثم بكى حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: يا مالك والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً: الجنة أو النار؛ ليس هناك منزل ثالث؛ من أخطأته والله الرحمة صار إلى عذاب الله.⁽³⁾

ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزي

عن جعفر بن سليمان قال جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك فقال ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزي⁽⁴⁾.

إذا زلزلت الأرض زلزالها

قال الحارث بن سعيد كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ إذا زلزلت الأرض زلزالها فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره قال فجعل

¹ (أبو الحسين ابن أبي يعلى ،طبقات الحنابلة ، المحقق محمد حامد الفقي ،دار المعرفة – بيروت 225/1 ،

² (الرسالة القشيرية ، ص 13

³ (تهذيب الكمال ، 125/6

⁴ (صفة الصفوة ، 279/3

مالك والله يبكي ويشهق حتى غشى عليه فحمل بين القوم صريعا (1)

أخرج حلاوة ذكرى من قلبه

قال مسمع بن عاصم قال مالك بن دينار ورأى إنسانا يضحك فقال ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعقد

عبدالله العبدى قال حدثنا جعفر عن مالك قال إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه (2).

فأي الدارين دار مالك؟

قال جعفر : رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال : بكساء، ثم يقول : إله مالك قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأى الدارين دار مالك؟ وأى الرجلين مالك؟ ثم يبكي (3).

هذا رجل مشغول بنفسه

قال عبد العزيز بن سلمان العابد : انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك بن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة فجلسنا ننتظره ليخرج أولسمع له حركة فنستأذن عليه فجعل يترنم بشيء لم نفهمه ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه ثم جعل يشهق ويتنفس حتى غشى عليه؛ قال : فقال لي عبد الواحد : انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه (4).

هذا والله الكرم هذا والله الكرم

قال محمد بن عبد العزيز : قال أبي : قال مالك بن دينار : المؤمن كريم في كل حالة لا يحب أن يؤذي جاره ولا يحتقر أحد من أقربائه، قال : ثم يبكي مالك ويقول : وهو والله مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شيئا إن أزلته عن دينه لم يزل وإن خدعته عن ماله انخدع لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً، ولا

¹ (صفة الصفوة ، 280/3)

² (صفة الصفوة ، 280/3)

³ (صفة الصفوة 286/3)

⁴ (صفة الصفوة ، 279/3)

يرى البخل من الجود حظاً منكسر القلب ذو هموم قد تفرد بها مكتئب محزون ليس له فرح الدنيا نصيب، إن أتاه منها شيء فرقه وإن زوي عنه كل شيء فيها لم يطلبه، قال : ثم يبكي ويقول: هذا والله الكرم هذا والله الكرم.

كم تحدث الناس بالرخص؟!

لقي مالك بن دينار أبان بن أبي عياش فقال مالك : إلى كم تحدث الناس بالرخص؟! فقال : يا أبا يحيى إني أرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح (1).

هذا عذر الخطائين الأشرار

قال جعفر بن سليمان : لقي مالك بن دينار ثابت البناني فقال له ثابت : يا أبا يحيى كيف بك؟ قال : كيف بمن هو ظاهر العيوب كثير الذنوب مستور على غير استحقاق؟! فكيف بك يا أبا محمد؟ قال : فكيف ثابت يده ومد عنقه وخفض رأسه وقال : هذا عذر الخطائين الأشرار، قال: وأقبلأ يبكيان حتى سقطا.

أتدري ما مثل ابن عمك؟!

دخل مالك بن دينار دار الخراج يوماً ينظر فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكبل في رجليه فبينما هو ينظر إذ أتى بطعامه فوضع بين يديه فجعل مالك ينظره ويتعجب من أكله ومما هو فيه، فقال له الرجل : تعال كل يا أبا يحيى، قال : أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا، فتقدم إليه ابن عم الرجل فقال : يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي وهو ينفق علي وعلى عيالي فادع الله أن ينجيته، فقال مالك : أتدري ما مثل ابن عمك؟! مثل شاة أكلت عجين قومٍ فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينه وصاحب الشاة يدعو الله على من قتل شاته، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة؟! (2)

¹ (محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، تحقيق د.عاصم إبراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1426 هـ - 2005 م ، 371/1

² (أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 374/2

يا مالك إن الركوة قد سُرقت!

قال الحارث بن نبهان : قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة، قال : فكانت عنده فجئت يوماً فجلست في مجلسه فلما قضاه قال لي : يا حارث تعال خذ تلك الركوة فقد شغلت علي قلبي ! فقلت : يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب، فقال : يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي : يا مالك إن الركوة قد سُرقت ! فقد شغلت علي قلبي(1).

هكذا أمر الآخرة

قال مالك بن دينار : قدمت من سفر لي فلما صرت بالجسر قام العشار (الذي يحصل الضرائب) قال : لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه فأخذت ثوبي فوضعتة على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض فقال لي : ما أخرجك؟ قلت : ليس معي شيء، قال: اذهب، فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة(2).

إني كنت في وسط الدار

خرج مالك بن دينار رحمه الله بالليل إلى قاعة الدار وترك أصحابه في البيت وأقام إلى الفجر قائماً في وسط الدار فقال لهم : إني كنت في وسط الدار خطر ببالي أهل النار فلم يزالوا يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح.

لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن

قال سعد بن زنبور : كنا على باب الفضيل ابن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال : فقلنا له : إنا نريد أن يسمع القرآن، قال : وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيئاً فقلنا له : اقرأ فقرأ : " ألهاكم التكاثر " ، ورفع بها صوته، قال : فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول: بلغت الثمانين أو جزتها ...فماذا أومل أو أنتظر؟ أتاني ثمانون من مولدي ...وبعد الثمانين ما ينتظر؟

¹ (أبو نعيم ، حلية الأولياء ، 364/2

² (صفة الصفوة ، 277/3

علتني السنون فأبليتنني.
قال : ثم خنقته العبرة، قال : وكان معنا علي بن خشرم فأتته له، فقال : فدقت عظامي وكل البصر⁽¹⁾ .

لو كانت الدنيا ذهب يفنى

وقال الفضيل رحمه الله تعالى : لو كانت الدنيا ذهب يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ تأمل بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام، حيث آتاه ملك جميع الدنيا والإنس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب 39. ص : فوالله ما عدها نعمة كما عدتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك : هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر . وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه في معرض المنة " : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . " ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم . هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا " : فورك لنسئلتهم أجمعين عما كانوا يعملون " الحجر 92 و 93 وقال " : وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين " الأنبياء 47 .⁽²⁾

لقد حالت النار بيننا وبينك

عن مالك بن دينار قال : استعمل هرم بن حيان، قال : فظن أن قومه سيأتونه فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه فسلموا عليه من بعيد فقال : مرحبا بقومي، ادنوا، فقالوا : والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا

⁽¹⁾ (ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 161/1

⁽²⁾ (الطرطوشي ، سراج الملوك ، 3/1

وبينك، قال : فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم، قال: فرجعوا.(1)

فما زال يقول ذلك حتى أبكاني

قال مالك بن دينار : سمعت الحجاج يخطب فيقول : امرؤ زود نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ نظر إلى ميزانه، امرؤ عقل عن الله أمره، امرؤ أفاق واستفاق، وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول ذلك حتى أبكاني.(2)

أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعرفك فأتلني معروفا من معروفا

قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعرفك فأتلني معروفا من معروفا تغيني به عن معروف من سواك يامعروفا بالمعروف فعرفت أيوب السختياني فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب قولي خيرا يرحمك الله قالت وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي قوما فإني أبادر طي صحيفتي قال أيوب فما حدثت نفسي بامرأة قبلها فقلت لها لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه قالت لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته فقلت أنا مالك ابن دينار وهذا أيوب السختياني فقالت أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا هذه مليكة بنت المنكدر (3)

تذهب عيناك

ع ن مالك بن دينار قال رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين قال فكان النساء يجئن فينظرن إليها فأخذت في البكاء فقيل لها تذهب عيناك فقالت إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله

¹ (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، الطبقات الكبرى ، المحقق إحسان عباس

، دار صادر - بيروت ، الطبعة : 1 - 1968 م ، 7 / 133

² (العصامي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، 2 / 140

³ (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 2 / 201

عينين أحسن من هاتين وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما
أشد من هذا فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها رحمها الله (1)

إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام

عن مالك بن دينار قال قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن
عبدالله مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال إن ذكر جهنم
لا يدعني أن أنام . (2)

لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا

مالك بن دينار قال رأيت أبا عبدالله مسلم بن يسار في منامي
بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد السلام فقلت ما يمنعك أن
ترد على السلام فقال أنا ميت فكيف أرد عليك السلام قال قلت
له فماذا لقيت بعد الموت قال قدمعت عينا مالك عند ذلك وقال
لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قال فقلت فما كان بعد
ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا
عن السيئات وضمن عنا التبعات

قال ثم شقق مالك شهقة خر مغشيا عليه قال فلبث بعد ذلك
أياما مريضا من غشيته ثم مات فيرون أنه انصدع قلبه فمات
رحمه الله . (3)

يا ايها الناس الرحيل الرحيل

عن عبدالواحد بن زيد قال شهدت حوشبا جاء إلى مالك بن
دينار فقال يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن مناديا يقول يا ايها
الناس الرحيل الرحيل فما رايت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسع
قال فصاح مالك صيحة وخر مغشيا عليه . قال مضر كان
الحسن يسمى محمد بن واسع زين القرآن (4)

اليوم أنتقم لها منك!

وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله
تعالى : من أحق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن
أغر ممن اغتر بي؟ يا راعي السوء دفعت لك غنماً سما ن

¹ (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 2 / 278)

² (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 3 / 207)

³ (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 3 / 241)

⁴ (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 3 / 267)

صحاحاً، فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف، وتركتها عظاماً تققع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم لها منك! (1)

وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني

وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت إلى مكة حاجاً فبينما أنا سائر إذ رأيت شاباً ساكتاً لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي مالا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذى الحليفة وقد لبس إحرامه والناس يلبن وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت له لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله أني لأخشي أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر إليك فقلت له لا تقول ذلك فإنه حلیم إذا غضب رضي وإذا رضي لم يغضب وإذا وعد وفي ومتى توعده عفا فقال يا شيخ أتشير على بالتلبية قلت نعم فبادر إلى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجراً فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته إلا بمني وهو يقول اللهم إن الناس ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتاً رحمة الله تعالى عليه. (2)

ولكن قل علي رقيب

قال أحمد بن يحيى ثعلب : دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً تهمة نفسه لا يحب أن يذكر عليه كأن النيران قد سعرت بين يديه، فما زلت أرفق به، وتوسلت بالشيبانية إليه فقلت : أنا من مواليك يا أبا عبد الله، وذكرت له عبد الله بن الفرج، قال أبو العباس : وعبد الله بن الفرج هذا من صالح أهل البلد فقرم إلى حديثي وانبسط إلي وقال : في أي شيء نظرت؟

¹ (الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1 / 37)

² (الإشبيلي ، المستطرف ، 1 / 334)

فقلت : في علم اللغة والشعر، فقال : مررت بالبصرة وجماعة يكتبون الشعر عن رجل، فقيل لي هذا أبو نواس، فتخللت الناس ورآني، فلما جلست أمل علينا:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تتابعن ... ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب
ثم أطرق، فعلمت أنه قد مل، فسلمت وانصرفت.

قال محمد بن العباس : فحدث أبي بهذا عبد الله بن المعتز وأنا حاضر أسمع فأنشده الأبيات، فقال لنا عبد الله: هذه الأبيات لأبي نواس من زهدياته.⁽¹⁾

¹ (المعافى بن زكريا ،الجليس الصالح والأنيس الناصح ، 359/1

العلم و العلماء

فالعلماء المقصود بهم: العالمون بشرع الله، والمتفقهون في الدين، والعاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، على سنة رسول الله - ﷺ - ، وسلف الأمة، الداعون إلى الله بالحكمة التي وهبهم الله إياها: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } (البقرة: من الآية 269).. والحكمة: العلم والفقه. والعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، إنما ورثوا هذا العلم.

والعلماء هم حجة الله في أرضه على الخلق، والحجة لا تقوم إلا على لسان داعية بفقها وبعلمه وبقدوته. والعلماء هم أهل الحل والعقد في الأمة، وهم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم، كما قال غير واحد من السلف في تفسير قوله تعالى: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء: 59، قال مجاهد : هم أولوا العلم والفقه. و العلماء هم المؤتمنون على مصالح الأمة العظمى، على دينها، وعلى دنياها وأمنها. والعلماء هم أهل الشورى الذين ترجع إليهم الأمة في جميع شئونها ومصالحها.

والعلماء هم أئمة الدين، والإمامة في الدين فضل عظيم، وشرف ومنزلة رفيعة، كما قال تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } (24).

والعلماء هم أهل الذكر، كما قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل: 43.

و العلماء أفضل الناس كما قال تعالى: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } (المجادلة:11) .

والعلماء هم أزكى الناس، وأخشاهم لله، كما قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (فاطر 28).

(السجدة:

والعلماء هم الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر بالعلم والحكمة.

والعلماء هم شهداء الله الذين أشهدهم الله على توحيدِهِ، وقرن شهادتهم بشهادته- سبحانه- وبشهادة ملائكته؟ وفي هذا تزكيتهم وتعديلهم، فقال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ }.

وَقَالَ تَعَالَى { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ : يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ.

وقد قال الحبيب محمد - ﷺ - : «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ». (1) = صحيح

(1) أبو داود [3641] باب الحث على طلب العلم ، الترمذي [2682] باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ابن ماجه [223] باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، حلية الأولياء [45 / 9] ، واللفظ له ، تعليق الألباني على كل منها "صحيح."

العمل الصالح [ص 2759]
وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ». (1)

وعن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فَضْلَ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرٌ دِينِكُمُ الْوَرَعُ» (2)

¹ (الترمذي [2685] باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة
² (الحاكم (93 / 1) واللفظ له وقال الذهبي: (93 / 1) على شرطهما. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، أو عالما أو متعلما⁽¹⁾»

وقال المسيح عليه السلام: من تعلّم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السمّاء.

وقال أيضا عليه السلام: لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيبا رفيقا يضع دواءه حيث يعلم أنّه ينفع.

(قال لقمان لابنه: يا بني لا تعلّم العلم لتباهي به العلماء أو لتماري به السفهاء، أو ترائي به في المجالس، ولا تترك العلم زهدا فيه ورغبة في الجهالة، يا بني، اختر المجالس على عينك، وإذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم، فإنّك إن تكن عالما ينفعك علمك، وإن تكن جاهلا يعلموك، ولعلّ الله أن يطّلع عليهم برحمة فيصيبك بها معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنّك إن تكن عالما لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلا زادوك غيا أو عيا، ولعلّ الله يطّلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم.

وقال عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه: تعلّموا العلم، وعلمّوه النّاس وتعلّموا له الوقار والسّكينة وتواضعوا لمن تعلّمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم.

قال عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - لرجل من أصحابه: يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

وقال- رضي الله عنه-: «لا يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهّال، لأنّ العلم كان قبل الجهل به.

¹ (الترمذي (2322) وقال: حسن غريب. وابن ماجّة (4112)

وقال أيضا- رضي الله عنه-: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم من الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه.

وقال سلمان- رضي الله عنه-: «علم لا يقال به، ككنز لا ينفق منه.

وقال معاذ بن جبل- رضي الله عنه -: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح. والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة. لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء. والزين عند الأخلاق، والقرب عند الغرباء. يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخلق تقتفى آثارهم. وينتهي إلى رأيهم. وترغب الملائكة في حبهم بأجنحتهم تمسحهم. حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر. حتى حيطان البحر وهوامه. وسباع البر وأنعامه. والسماء ونجومها. لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم. وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله- عز وجل- وبه يعبد الله- عز وجل- وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء.

إن

وقال معاذ بن جبل- رضي الله عنه- لما حضرته الوفاة: العلم والإيمان مكانهما، من التمسهما وجدهما. قال ذلك ثلاث مرّات، والتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة.

وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه -: إنما أخشى من ربّي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربّي، فيقول لي: ما عملت فيما علمت؟.

وقال- رضي الله عنه-: «العلم بالتَّعَلُّم، والحلم بالتَّحَلُّم، ومن يتحرَّر الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشرَّ يوقه».

وقال أيضا: «العالم والمتعلِّم في الأجر سواء، وسائر النَّاس همج لا خير فيهم».

قال أبو الدَّرْداء- رضي الله عنه -: مثل العلماء في النَّاس كمثَّل النُّجوم في السَّماء يهتدى بها.

وقال الحسن البصريّ- رحمه الله تعالى-: لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله ولا ما عنده. قال: فما زال بهم العلم حتَّى أرادوا به الله وما عنده.

وعنه- رحمه الله تعالى-، قال: قد كان الرَّجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشَّعه، وهديه، ولسانه، وبصره، ويديه.

وقال أيضا: «العامل على غير علم كالسَّالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر ممَّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا تضروا بالعلم، فإنَّ قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتَّى خرجوا بأسيا فهم على أمة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، ولو طلبوا العلم لم يدلَّهم على ما فعلوا».

وقال عون بن عبد الله: قلت لعمر بن عبد العزيز: «يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما، فإن لم تستطع فكن متعلِّما، فإن لم تكن متعلِّما فأحبِّهم، فإن لم تحبِّهم فلا تبغضهم».

فقال عمر: «سبحان الله لقد جعل الله- عزَّ وجلَّ- له مخرجا».

وقال الإمام أحمد- رحمه الله تعالى -:النَّاس إلى العلم أحوج منهم إلى الطَّعام والشراب. لأنَّ الرَّجل يحتاج إلى الطَّعام والشراب في اليوم مرَّة أو مرَّتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

ومن المواقف :

هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا

الشَّعْبِيُّ قَالَ : رَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِرُكَابِهِ ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ بَابِنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : هَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا . قَالَ زَيْدٌ : أَرْنِي يَدَكَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ يَدَهُ قَبَّلَهَا ، وَقَالَ : هَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بَابِنَ عَمِّ نَبِيِّنَا . وَقَالُوا : خِدْمَةُ الْعَالَمِ عِبَادَةٌ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : مَنْ حَقَّ الْعَالَمُ عَلَيْكَ إِذَا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ خَاصَّةً ، وَعَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً ، وَتَجْلِسَ قُدَّامَهُ ، وَلَا تَشِرْ بِيَدِكَ ، وَلَا تَغْمِزَ بِعَيْنَيْكَ ، وَلَا تَقُلْ : قَالَ فَلَانٌ خِلَافَ قَوْلِكَ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلَحَّ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ الْمَرْطُبَةِ ، الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ . وَقَالُوا : إِذَا جَلَسْتَ إِلَى الْعَالَمِ فَسَلْ تَفَقُّهًا وَلَا تَسَلْ تَعَنُّتًا .

نَسأل عنها أَخَاكَ إِبْلِيسَ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْأَغْلُوطَاتِ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : يَعْنِي صِعَابَ الْمَسَائِلِ . وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِيهَا أَغْلُوطَةٌ ، قَالَ لِلْمَسَائِلِ : أُمْسِكْهَا حَتَّى نَسْأَلَ عَنْهَا أَخَاكَ إِبْلِيسَ .

فمن أين تصيح؟

وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ الْحَصَاةِ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ فِي ثَوْبِهِ أَوْ فِي خُفِّهِ أَوْ فِي جَبْهَتِهِ مِنْ حَصَى الْمَسْجِدِ ؛ فَقَالَ : أَرْمِ بِهَا قَالَ الرَّجُلُ : زَعَمُوا أَنَّهَا تَصِيحُ حَتَّى تَرُدَّ إِلَى الْمَسْجِدِ ؛ فَقَالَ : دَعَهَا تَصِيحُ حَتَّى يَنْشَقَّ حَلْقُهَا ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَلَهَا حَلْقٌ ؟ قَالَ : فَمِنْ أَيْنَ تَصِيحُ ؟

ولا أظنك إلا رجل سوء.

وَسَأَلَ رَجُلٌ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " كَيْفَ هَذَا الْاسْتَوَاءُ ؟ قَالَ : الْاسْتَوَاءُ مَعْقُولٌ وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ ، وَلَا أَظُنُّكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ .

فكيف نَصنع في المِهْرَاس أبا عبد الله؟

وروى مالكُ بن أنسُ الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يُدخل يده في الإناء حتى يَغسلها، فإنَّ أحدكم لا يَدري أين باتت يده . فقال له رجل : فكيف نَصنع في المِهْرَاس أبا عبد الله؟ - والمِهْرَاس : حَوْض مكة الذي يتَوَضَّأُ الناس فيه - فقال : من الله العِلمُ، وعلى الرسول البلاغ، ومِنَّا التَّسليم، أمروا الحديث.

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما : ما تقول في رجل طَلَّق امرأته عددَ نُجوم السماء؟ قال: يَكْفِيه منها كوكب الجوزاء. وسئل عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه : أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُق السماء والأرض؟ فقال : أين : تُوجب المَكان، وكان الله عزَّ وجلَّ ولا مكان.

ليس من يعلم كمن لا يعلم

قال معروف الكرخي : إن في جهنم لواديا تتعوذ جهنم منه كل يوم سبع مرات ، وإن في الوادي لجبا يتعوذ الوادي وجهنم منه كل يوم سبع مرات ، وإن فيه لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم منها كل يوم سبع مرات ، يبدأ بفسقة حملة القرآن ، فيقولون : أي رب ، بدئ بنا قبل عبدة الأوثان ؟ ! قيل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم .

يا علماء السوء

وعن أبي عبد الله الخواص، قال: دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم إلى الري، ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريدون الحج، وعليهم الصوف والرزمانقات، وليس فيهم من معه طعام ولا جراب، فنزلنا على رجل من التجار متنسك يحب الصالحين، فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد، قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن، ألك حاجة، فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا وهو مريض؟ فقال حاتم: إن كان لكم فقيهٌ عليل، فعيادة الفقيه فيها فضل كثير، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضاً أجئ معك.

وكان المريض محمد بن مقاتل، قاضي الري، فقال: مر بنا يا أبا عبد الرحمن. فجاءوا إلى باب داره، فإذا البواب كأنه أمير

مسلط، فبقي حاتم متفكراً يقول: باب دار عالم على هذه الحال!! ثم أذن لهم فدخلوا، وإذا بدارٍ قوراء، وآله حسنة، وبزة وفرش وستور، فبقي حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطئ ممهد، وهو راقد عليه، وعند رأسه خدمه، والناس وقوف. فقعد الرازي وسأل عن حاله، وبقي حاتم قائماً، وأوماً إليه محمد بن مقاتل بيده: اجلس.

فقال حاتم: لا أجلس.

فقال له محمد بن مقاتل: فلك حاجة؟ فقال: نعم.

فقال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها.

قال: سلني.

قال حاتم: قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها.

فأمر غلمانه فأسندوه.

فقال له حاتم: علمك هذا من أين جئت به؟ فقال: حدثني به

الثقات.

قال: عن من؟ قال: عن الثقات من الأئمة.

قال: عن من أخذوه؟ فقال: عن التابعين.

قال: والتابعون عن من أخذوه؟ فقال: عن أصحاب رسول الله

ﷺ.

قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عن من أخذوه؟ قال: عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم □.

قال: ورسول الله ﷺ عن من أخذه؟ قال: عن جبريل عليه

الصلاة والسلام، عن الله عز وجل.

فقال له حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله تعالى إلى النبي صلى

الله عليه وسلم، وأداه النبي ﷺ إلى أصحابه رضي الله عنهم،

وأداه أصحابه إلى تابعيهم، وأداه التابعون إلى الأئمة، وأداه

الأئمة إلى الثقات، وأداه الثقات إليك، هل سمعت أن من كانت

داره في الدنيا أحسن، وفراشه أجمل، وزينته أكثر، كانت له

المنزلة عند الله تعالى أعظم؟ فقال: لا.

قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت من زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة، وأحب المساكين، وقدم لآخرته، كان عند الله تعالى له منزلة أكثر، وإليه أقرب.

قال حاتم: فأنت بمن اقتديت، بالنبي ﷺ، أو بأصحابه، أو بالتابعين من بعدهم، والصالحين على أثرهم، أو بفرعون ونمرود، أول من بنى بالجص والآجر؟ يا علماء السوء مثلكم إذا رآه الجاهل المتكالب على الدنيا، الراغب فيها يقول: إذا كان هذا العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شراً منه. قال: ثم خرج من عنده، وازداد محمد بن مقاتل مرضاً على مرضه من كلامه.

وبلغ أهل الري ما جري بين حاتم وبين أبي مقاتل، فقالوا لحاتم: يا أبا عبد الرحمن، إن محمد بن عبيد الطنافسي بقزوين، أكبر سناً من هذا، وهو غريق في الدنيا.

قال: فصار حاتم إليه متعمداً، ودخل عليه، وعنده الخلق مجتمعون يحدثهم، فقال له حاتم: رحمك الله، أنا رجل عجمي، جئتكم لتعلمني مبتدأ ديني، ومفتاح صلاتي، كيف أتوضأ للصلاة؟ فقال: نعم وكرامة، يا غلام، إناءً فيه ماء. فجاءه بالإناء، وقعد محمد بن عبيد يتوضأ ثلاثاً، ثم قال له: هكذا فاصنع.

قال حاتم: مكانك، رحمك الله، حتى أتوضأ بين يديك، ليكون أكد لما أريد.

فقام الطنافسي، وقعد حاتم مكانه فتوضأ، وغسل وجهه ثلاثاً، حتى إذا بلغ الذراع غسله أربعاً. فقال له الطنافسي: يا هذا، أسرفت.

فقال له حاتم: فيما أسرفت؟ قال: غسلت ذراعك أربعاً. فقال له حاتم: سبحان الله تعالى، أنا أسرفت في كف من الماء، وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تسرف!! فعلم الطنافسي أنه قصد منه ذلك، ولم يرد أن يتعلم منه شيئاً، فدخل إلى البيت، ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً.

وكتب تجار الري إلى بغداد بما جرى بين حاتم وبين محمد بن مقاتل، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ثم رحل حاتم إلى العراق، ودخل بغداد، واجتمع بعلمائها كما تقدم في أوائل الترجمة. ثم خرج إلى الحجاز، فلما صار إلى المدينة الشريفة، أحب أن ينظر علماءها، فقال لهم: يا قوم، أي مدينة هذه؟ قالوا: مدينة الرسول ﷺ.

قال: فأين قصر رسول الله ﷺ لأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطي. قال: قصور أهله وأزواجه وأصحابه بعده؟ قالوا: ما لهم إلا بيوت لاطية.

فقال حاتم: يا قوم، هذه مدينة فرعون. قال: فلببوه وذهبوا به إلى الوالي، فقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون.

فقال له الوالي: لم قلت ذلك؟ فقال له حاتم: لا تعجل علي أيها الأمير، أنا رجل غريب، دخلت هذه المدينة، فسألت: أي مدينة هذه؟ فقالوا: مدينة الرسول ﷺ. فقلت: وأين قصر الرسول ﷺ لأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطي. قلت: فقصور أهله وأزواجه وأصحابه بعده؟ قالوا: ما لهم إلا بيوت لاطية. وسمعت الله تعالى يقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)، فأنتم بمن تأسيتم؛ برسول الله ﷺ، أو بأصحابه، أو بفرعون أول من بنى بالجص والآجر؟ فخلوا عنه، وعرفوا أنه حاتم الأصم، وعلوموا قصده.

وكان كلما دخل المدينة يكون له مجلس عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، يحدث ويدعو، فاجتمع إليه مرة علماء المدينة، وقالوا: تعالوا نخجله في مجلسه، كما فعل بنا عند الوالي.

فحضروا عنده وقد اجتمع إليه خلق كثير، فقال له واحد: يا أبا عبد الرحمن مسألة. قال: سل. قال: ما تقول في رجل يقول: اللهم ارزقني.

قال حاتم: متى طلب هذا العبد الرزق من ربه عز وجل، في الوقت، أو قبل الوقت، أو بعد الوقت؟ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ليس نفهم عنك هذا. فقال حاتم: أنا أضرب لكم مثلاً حتى تفهموه، مثل العبد طلب الرزق من ربه تعالى قبل الوقت كمثّل رجل كان له رجل دين، فطالبه به، وقعد يلازمه، فاجتمع جيرانه وقالوا له: هذا رجل معدم، لا شيء له، فأجله في هذا الحق حتى يحتال ويعطيك. فقال لهم: كم تريدون أوّجّله؟ قالوا: شهراً. فتركه وانصرف، فلما كان بعد عشرة أيام جاء واقتضاه، فقام جيرانه فقالوا: سبحان الله، أجلته بين أيدينا شهراً، ثم جئت تقتضيه بعد عشرة أيام. فتركه وانصرف، فلما كان محل الشهر جاء فاقتضاه، فقال الجيران: إنما حل لك اليوم، دعه إلى بعد المحل ثلاثاً. فهذا مثل العبد الذي يطلب الرزق من ربه عز وجل.

ثم قال: عندكم أثاث، ودرهم في أكياسكم، وطعامكم في بيوتكم، وأنتم تقولون: اللهم ارزقنا. فقد رزقكم. كلوا وأطعموا إخوانكم المؤمنين، حتى إذا فنى أقيموا بعده ثلاثاً، ثم سلوا ربكم عز وجل، عسى أن يموت أحدكم غداً وعنده ما يخلف على الأعداء، وهو يسأل الله أن يزيده في رزقه، ما هذه الغفلة؟ فقالوا: نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا بالمسألة إلا إعناتك. ثم انصرفوا عنه.⁽¹⁾

لو قيل لي شيء من هذا

يروى البخاري فيقول كنت بنيسابور أجلس في الجامع فذهب عمرو بن زرارة وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبد الله والي نيسابور فأخبروه بمكاني فاعتذر إليهم وقال مذهبنا إذا رفع إلينا غريب لم نعرفه حبسناه حتى يظهر لنا أمره فقال له بعضهم: بلغني أنه قال لك لا تحسن تصلي فكيف تجلس فقال لو قيل لي شيء من هذا ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة.

¹ (الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ص 213- 214)

أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث

قال أبو جعفر سمعت أبا عمر سليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيهقي فقال لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث قال فخرجت في طلبه حتى لحقته قال أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتكم مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال محمد بن يعقوب بن الأخرم : سمعت أصحابنا يقولون لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبانا على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا وسوى الرجال.

انت تذب عنه الكذب

وروي عن البخاري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وكاني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه فسألت بعض المعبرين فقال انت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الصحيح .

اقرئه مني السلام

وعن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفريزي رواية صحيح البخاري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال أين تريد قلت أريد محمد بن إسماعيل البخاري فقال اقرئه مني السلام .

وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع

وعن الفريزي قال رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في النوم خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي كلما رفع قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع .⁽¹⁾

ما أشكل عليك فاسأله عن مالك بن أنس

وكان من عباد وقته وأصحاب عبدالله بن المبارك أنه قال
رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقلت يا رسول الله قد مضى
عصرك وانقضى فإن وقع لي شك وشبهة في خاطر في أمر
من أمور الدين فممن أتحققه قال ما أشكل عليك فاسأله عن
مالك بن أنس.

ورأيت مالكا قائما بين يديه

وروي أيضا عن مطرف أن أبا عبدالله من موالي الليثيين قال
تشرفت بزيارة رسول الله ﷺ أي في النوم فرأيته جالسا في
المسجد وحوله رجال كالحلقة ورأيت مالكا قائما بين يديه
وعنده ﷺ مسك يعطيه مالكا قبضة قبضة ومالك ينثره على
الناس فعبرت هذه الرؤيا بظهور العلم النبوي أولا في مالك ثم
بواسطته في الآخرين .

مالك وارث سريري

وروي أيضا عن محمد بن رمح التجيبي المصري أستاذ مسلم
بن الحجاج صاحب الصحيح أنه قال رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في النوم وقلت نحن مختلفون في مالك وليث أيهما
أعلم فقال رسول الله ﷺ مالك وارث سريري ففهمت حينئذ
المراد به أنه وارث علمي. (1)

اقتلوا هذا الزنديق

وروي عن يحيى بن خلف بن الربيع الطرطوسي وكان من
صلحاء عصره وعباد دهره أنه قال حضرت يوما عند مالك
فأتى رجل وقال ما نقول في القرآن أهو مخلوق أم لا فقال
الإمام اقتلوا هذا الزنديق فإنه سيتولد في كلامه فتن كثيرة وقد
عمت البلوى بعد مالك في هذه المسألة وقتلت جماعات كثيرة
من أهل السنة على عدم القول بها .

وكذا روي عن جعفر بن عبدالله أنه قال كنا عند مالك فسأله
رجل عن تفسير قوله تعالى { الرحمن على العرش استوى }
كيف هذا الاستواء فأظهر مالك الملل الكثير من هذا السؤال

وأطرق ملياً وتفكر كثيراً حتى عرق جبينه ثم قال الكيف منه معقول والاستواء منه مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بإخراجه.

ما ظننت أن أهل العلم يتكلمون بمثل هذا

واجتمع القاضي أبو يوسف بالإمام مالك عند الرشيد، فقال له القاضي أبو يوسف : ما تقول فيمن سها بزيادة في الصلاة؟ فقال الإمام مالك : يسجد للسهو بعد السلام، فقال : فإن سها بهما، فقال : يسجد قبل السلام، فقال أبو يوسف ملتفتاً إلى الرشيد : الشيخ تارة يخطئ وتارة لا يصيب، فظن الإمام مالك أنه يقول : تارة يخطئ، وتارة يصيب، فقال : على هذا أدركنا مشايخنا من السلف الصالح، ثم نبه الإمام مالك لقول أبي يوسف ومراده، فقال : ما ظننت أن أهل العلم يتكلمون بمثل هذا، قلت : رحم الله الإمام مالكا، ورضي عنه، فما أغفله عن مظان السوء، وما أسلم فطرته، وأخلص نيته، وأصدق طويته حيث لم يخطر بباله ذلك، ولا خطر بباله أن يخطر ببال أهل العلم.⁽¹⁾

خذ بيد سيدك إليك

قال الشافعي رضي الله عنه فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي إلى القبر كإشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثاً حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك إليك وسألني النهوض معه.

قال الشافعي رحمه الله فقلت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلني الغلام إلى خلوة في الدار وقال لي القبلة في البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء . قال الشافعي رضي الله عنه فما لبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملاً طبقاً فوضعه من يده وسلم الإمام علياً ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الإناء وأراد أن يغسل

¹ (العصامي ،سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، 205-204/2

عليّ أولاً فصاح عليه مالك قال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي آخر الطعام للضيف.

قال الشافعي رضي الله عنه فاستحسن ذلك من الإمام مالك رضي الله عنه وسأله عن شرحه فقال أنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدىء بالغسل وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه.

قال الشافعي رضي الله عنه فكشف الإمام رضي الله عنه الطبق فكان فيه صفحتان في إحداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن إنما العذر على من أساء.

قال الشافعي رضي الله عنه فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عني وقال حكم المسافر أن يقل تعبهُ بالاضطجاع فنمت ليلتي فلما كان في الثلث الأخير من الليل قرع عليّ مالك الباب فقال لي الصلاة يرحمك الله فرأيتُه حاملاً إناء فيه ماء فتبشع عليّ ذلك فقال لي لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض.

قال الشافعي رضي الله عنه فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الإمام مالك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضاً من شدة الغلس وجلس كل واحد منا في مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رؤوس الجبال فجلس مالك في مجلسه بالأمس وناولني الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه.

قال الشافعي رضي الله عنه فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الأنس الذي كان بيننا أننا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ. قال الشافعي فأمليت عليهم حفظاً منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وأبن القاسم قال الربيع وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الشافعي رضي الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيراً فسألته عن اسمه فأخبرني وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أي العراق فقال لي الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم في نص الكتاب والمفتي بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحباً أبي حنيفة رضي الله عنه.

وقال الشافعي رضي الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لي في غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له خرجت من مكة في طلب العلم بغير استئذان العجوز أفأعود إليها أو أرحل في طلب العلم فقال لي : العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلبه.⁽¹⁾

قال الشافعي رضي الله عنه فلما أزمعت على السفر زودني الإمام مالك رضي الله عنه فلما كان في السحر سار معي مشيعاً إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكري راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكتري وليس معك ولا معي شيء فقال لي انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة إذ قرع عليّ قارع الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع لي صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالي فاكتري لي بأربعة دنائير ودفع إليّ باقي الدنانير وودعني وانصرف وسرت في جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت فبينما أنا كذلك إذ رأيت غلاماً قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقامت إليه ناصحاً فقلت له أحسن صلاتك لنلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلي هذه

الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا عليّ صلاتي قط وخرج معجبا ينفذ رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما في صلاتي من عيب فقالا اللهم لا قال ففي مسجدنا هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب إليه فقل له بم تخل في الصلاة.

قال الشافعي رضي الله عنه فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد إليهما وأعلمهما بالجواب فعلمتا أنه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب إليه فقل له ما الفرضان وما السنة فأتى إليّ فقال ما الفرضان وما السنة فقلت له أما الفرض الأول فالنية والثاني تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد إليهما فأعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فلما نظرا إليّ أظنهما ازدريانى فجلسا ناحية وقالوا اذهب إليه وقل له أجب الشيخين.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى فلما أتاني علمت إني مسؤول عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى إليه وما علمت لي إليهما حاجة قال الشافعي رضي الله عنه فقاما من مجلسهما إليّ فلما سلما عليّ قمت عليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين أيديهما فأقبل عليّ محمد بن الحسن وقال أحرمني أنت فقلت نعم فقال أعربي أم مولى فقلت عربي فقال من أي العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من قلت من ولد شافع قال رأيت مالكا قلت من عنده أتيت قال لي نظرت في الموطأ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بداوة وبياض وكتب مسألة في الطهارة ومسألة في الزكاة ومسألة في البيوع والفرائض والرهان والحج والإيلاء ومن كل باب في الفقه مسألة وجعل بين كل مسألتين بياضا ودفع إليّ الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ.

قال الشافعي رضي الله عنه فأجبت بنص كتاب الله وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت إليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبدك خذ سيدك إليك. قال الشافعي رضي الله تعالى عنه ثم سألتني النهوض مع العبد

فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال لي العبد إن سيدي أمرني أن لا تسير إلى المنزل إلا راكباً. قال الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت له قدم فقدم إلي بغلة بسرج محلي فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثة فطاف بي أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل عليّ محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا يروحك يا عبد الله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض وإنني أخرج زكاتها في كل عام فأسرّ بها الصديق وأكبت بها العدو.⁽¹⁾

أطع أباك ولا تعص أمك

قال للإمام الليثي بن سعد أن أبي ببلاد السودان وقد كتب إلي أن أذهب إليه فمنعني أمي قال أطع أباك ولا تعص أمك فسأل الإمام مالك عن ذلك فقال أطع أباك ولا تعص أمك قال مؤلفه رحمه الله تعالى الذي فهمته من قول الإمام عنه أن طاعة الأم أمر لازم وأولى لأن قوله أطع أباك مصلحة ، وقوله لا تعص أمك أمر بترك المفسدة وترك المفسد أولى من جلب المصالح إلا في مسألة : جلب المصلحة أولى من دفع المفسدة وذلك فيما لو ماتت في جوفها ولد يرجى حياته فشق جوفها مفسدة وإخراج الولد مصلحة فأخرج الولد هنا واجب قال في الروضة في باب الهبة يسن للولد أن يعدل في هبته لأبويه كما يسن للوالد أن يعمل في هبته لأولاده أي البارين فإن أراد الولد أن يزيد أحد أبويه على الآخر فالأم أولى.

حضر أبو حنيفة درس الإمام مالك ولم يعرفه فألقى الإمام مالك سؤالاً على أصحابه فأجابوه أبو حنيفة فقال من أين الرجل قال من أهل العراق قال من أهل بلد النفاق والشقاق فقال تأذن لي أن أقول شيئاً من القرآن قال نعم فقرأ وممن

¹ (ابن حجة الحموي ، ثمرات الأوراق ، 1 / 87)

حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق فقال الإمام مالك ما قال الله هكذا فقال أبو حنيفة كيف قال الله قال ومن أهل المدينة فقال الحمد لله الذي حكمت على نفسك ووُثب من مجلسه فلما عرفه أكرمه.(1)

يا غلام من أين لك هذا ؟

كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه جالسا بين يدي الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ، فجاء رجل فقال لمالك : إني رجل أبيع القماري (2) ، وإني بعت في يومي هذا قمرياً فردّه علي المشتري ، وقال : قمريك لا يصيح ، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح ، فقال له الإمام مالك : طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها وكان الإمام الشافعي يومئذ ابن أربع عشرة سنة ، فقال لذلك الرجل : أيما أكثر : صياح قمريك أم سكوته ؟ فقال : لا بل صياحه ، فقال : لا طلاق عليك . فعلم بذلك الإمام مالك ، فقال : يا غلام من أين لك هذا ؟ فقال : لأنك حدثتني عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت : يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطباني ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه " . وقد علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح ، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : " لا يضع عصاه " على المجاز ، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداوّمته ، ولما كان صياح قمري هذا أكثر من سكوته ، جعلته كصياحه دائماً . فتعجب الإمام رضي الله تعالى عنه من احتجاجه ، وقال له : أفت فقد أن لك أن تفتي فأفتي من ذلك السن .(3)

(1) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 1 / 221 ، 2 / 315
(2) والقُمريّ: ضرب من الطير، الذكر قُمريّ والأنثى قُمريّة، والجمع القُماريّ.

(3) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى ، 2 / 352

ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الأرض في الفقه لرجحهم إن شاء الله

قال ابن المبارك سألت أبا حنيفة عن درهم لرجل ودرهمين لآخر اختلطت ثم ضاع درهمان من الثلاثة لا يعلم من أيهما فقال أبو حنيفة الدرهم الباقي بينهما على ثلاثة قال فلقيت ابن شبرمة فسألتها عنها فقال سألت عنها أحدا فقلت نعم سألت أبا حنيفة قال قال لك الدرهم الباقي بينهما أثلاثا قلت نعم قال أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين الضائعين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر هو منهما جميعا فالدرهم الذي بقي هو بينهما نصفين قال فاستحسن ذلك جدا فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الأرض في الفقه لرجحهم إن شاء الله فقال لي لقيت ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم أن أحد الدرهمين الضائعين من الدرهمين وبقي الدرهم الباقي فهو بينهما نصفان قلت نعم قال إن الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا من كل درهم فأى درهم ذهب ذهب بحصتهما .

تحسن كل شيء

قال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوى لهم فصيل سمين فاشتھوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا له تحسن كل شيء قال عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم .

إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحق القتل

حدث أبو حنيفة عن حماد أنه كان يقول إذا سئلت عن معضلة فأقلبها سؤالا على سائلك عنها حتى تخلص من مسألتها لك فدرس إلى رجل فقعد لي على الباب وأنا عند ابن هبيرة وقد أمر بي إلى السجن فسعى الرجل إلى السجن فقال يا أبا حنيفة يحل للرجل إذا أمره السلطان الأعظم أن يقتل رجلا أن يقتله قال قلت له وكان الرجل ممن وجب عليه القتل قال نعم قلت

فاقتله قال فإن لم يكن ممن وجب عليه القتل قال قلت إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحق القتل .

الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئاً

قال بشر بن الوليد كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس أبي حنيفة ويكثر عنده فقال يوماً لأبي حنيفة إني أريد التزويج إلى آل فلان من أهل الكوفة وقد خطبت إليهم وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي وقد تعلقت نفسي بالتزويج فقال أبو حنيفة فاستخر الله وأعطهم ما يطلبونه منك ففعل زوجتك ان تسمح لك إذا دخلت بها بما يبقى من الصداق عليك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة فقال له إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل وقد أبوا أن يحملوها إلي إلا بعد وفاء المهر كله فماذا ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه فلما دخل بأهله وحملت إليه قال له أبو حنيفة ما عليك ان تظهر انك تريد الخروج من هذا البلد إلى موضع بعيد وأنت تريد ان تسافر بأهلك معك فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر انه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش وأنه يريد حمله أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاءوا إلى أبي حنيفة يشكونه ويستفتونه في ذلك فقال لهم أبو حنيفة فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه فأجابوا إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى أن القوم قد سمحوا أجابوا ان يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه فقال له الفتى فأنا أريد منهم شيئاً آخر فوق ذلك فقال له أبو حنيفة أيما أحب إليك ان ترضى بهذا الذي بذلوه لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين فلا

يمكنك ان تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئاً فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر .

فأعطوني منها دينارا واحدا

عن وكيع قال كنا عند أبي حنيفة وأتته امرأة فقالت مات أخي وخلف ستمائة دينار فأعطوني منها دينارا واحدا قال ومن قسم فريضتكم قالت داود الطائي قال هو حقك أليس خلف أخوك بنتين قالت بلى قال وأما قالت بلى قال وزوجة قالت بلى قال واثنى عشر أخا وأختا واحدة قالت بلى قال فإن للبنات الثلاثين أربعمائة وللأم السدس مائة وللمرأة خمسة وسبعون ويبقى خمس وعشرون للإخوة أربعة وعشرون لكل أخ ديناران فلك دينار .

فتوى أبي حنيفة

ومن المنقول من كتاب الأذكياء أن بعض اللصوص دخل بيتا ومعه جماعة تحت أمره ونهيه في القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم في إبقاء مهجته وأخذ ما في البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنه لا يعلم بهم أحدا فاصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا يقدر أن يتكلم لأجل اليمين فجاء إلى أبي حنيفة وأعلمه بحاله فقال له احضر أكابر حيك وأدين جيرانك وإمام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا داعريكم فادخلوهم الجامع ثم أخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فإن كان ليس بلصه قال لا وإن كان لصه فليسكت فإذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ما سرق له.⁽¹⁾

قال لا وانصرف من وقته

قال الحسن بن أبي مالك دخل أبو حنيفة إلى ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضي حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه إذن لمن حضر من الخصوم في التقديم كأنه أراد أن يرى أبا حنيفة إمضاءه في القضاء والحكم فدخل الخصوم وتقدم إليه جماعة فحكم بينهم ثم تقدم إليه رجلان فقال أحدهما أعزك الله إن هذا الرجل قذف أمي بالزنا وشتمني

¹ (ابن حجة الحموي ،ثمرات الأوراق ، ص50

وقال يا ابن الزانية وأنا أسأل القاضي ان يأخذ لي بحقي فقال ابن أبي ليلى للمدعى عليه ما تقول فقال له أبو حنيفة رضي الله عنه لم تسأله عن دعواه وليس هو له بخصم إنه إنما يذكر أنه رمى بالزنا أمه فهل ثبتت وكالته عن أمه عندك قال لا قال فأقبل على صاحبك فاسأله أحية أم ميتة فإن كانت حية فلا وجه لدعواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كان قولاً آخر.

قال فرجع ابن أبي ليلى على المدعى فقال له أمك أحية أم ميتة قال بل ميتة قال له أقم عندي البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك قال فأقام عنده البينة بوفاتها فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عما يقول المدعى فقال له أبو حنيفة أقبل على صاحبك فسله هل لأمه وارث غيره فإن كان له إخوة كانت المطالبة له ولهم وأن كان هو الوارث وحده كان قولاً آخر فقال ابن أبي ليلى للمدعى هل لأمك وارث غيرك قال لا قال فأقم عندي البينة بذلك فأقام البينة أنه وارث أمه لا وارث لها غيره قال فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعى فقال أبو حنيفة رضي الله عنه أقبل على صاحبك واسأله عن أمه أحرّة هي أم أمة فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرّة أو أمة قال بل حرّة قال فأقم عندي بذلك بينة فأقام البينة بذلك فذهب ليسأل المدعى عليه فقال أبو حنيفة رضي الله عنه ارجع أيضاً إلى صاحبك واسأله أمسلة هي أم معاهدة قال حرّة مسلمة من بنات آل فلان قوم سراة بالكوفة قال فأقم البينة عندي بأنها مسلمة فأقام البينة عنده بأنها مسلمة فقال أبو حنيفة رضي الله عنه شأنك الآن فاسأل الرجل عما ادعاه المدعى فسله فأكرر فقال للمدعى ألك بينة قال نعم جماعة من وجوه أهل الكوفة قال فأحضرهم مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه قال فأحضرهم ونهض أبو حنيفة فقال له ابن أبي ليلى تجلس حتى تحضر البينة قال لا وانصرف من وقته .

رجل فما فوقه يا أبا حنيفة

قال أسد بن عمرو دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة فخرج فقال لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته فقال له أبو حنيفة يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواما ونعى إليها وظنت أمراته أنه ميت فتزوجت ثم قدم زوجها الأول وقد ولدت ولدا فنفاه الأول وادعاه الثاني أكل واحد منهما قذفا أم الذي أنكر الولد ما الجواب فيها فقال أبو حنيفة إن قال فيها برأيه ليخطئن وإن قال فيها حدثنا ليكذب قال قتادة أوقعت هذه المسألة قالوا لا قال فلم تسألوني عما لم يكن فقال له أبو حنيفة إن العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه قبل نزوله فإذا نزل عرفوه وعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا وسلوني عن التفسير فقال أبو حنيفة ما نقول في قول الله { قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك } قال نعم كان هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف اسم الله الأعظم قال فهل كان سليمان عليه السلام يعرف هذا الاسم قال لا قال أفيجوز أن يكون في زمن بني من هو أعلم من النبي قال لا والله لا أحدثكم بشيء من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى { والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين } قال أبو حنيفة فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه السلام لما قال له { أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي } قال فقام قتادة فدخل الدار مغضبا وحلف أن لا يحدثهم قال أبو حنيفة ثم قدم الكوفة بعد سنين وكان ضريرا فناديته يا أبا الخطاب ما تقول في قوله { وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين } قال رجل فما فوقه يا أبا حنيفة وعرفني بالنعمة وكان يسمع الناس يكنوني .

هذا حسن

عن إبراهيم الصائغ قال كنت عند عطاء بن ابي رباح وعنده أبو حنيفة فسئل عن قول الله {وآتيناہ أهله ومثلهم معهم} فقال عطاء رد الله على أيوب عليه السلام أهله ومثل أهله وولده فقال

أبو حنيفة او يرد الله على نبي ولدا ليسوا له من صلبه يا أبا محمد فقال ما سمعت فيها عافاك الله فقال رد الله على أيوب أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا حسن .

كلنا عنه غافل

قال أبو يوسف قال رجل لأبي حنيفة إني حلفت أن لا اكلم امرأتي او تكلمني وحلفت بصدقة ما تملك ان لا تكلمني او اكلمها قال سألت عنها أحدا قال نعم سفيان الثوري فقال من كلم صاحبه حنث فقال كلمها ولا حنث عليكما فذهب الى سفيان وكان قرابة له فأخبره قال فجاءني سفيان مغضبا وقال تبيح الفروج قال وما ذاك ثم قال أعيذوا على أبي عبد الله السؤال فأعادوه فأعاد أبو حنيفة بمثل ما أفتى فقال له من أين قلت قال لما شافهته باليمين بعدما حلف كانت مكلمة له وسقطت يمينه فإن كلمها فلا حنث عليه ولا عليها لأنها قد كلمته بعد اليمين فسقطت اليمين عنهما فقال سفيان إنه ليكشف لك من العلم عن شيء كلنا عنه غافل .

هذا رزين

عن علي بن مسهر قال كنا عند أبي حنيفة رضي الله عنه فأتاه عبد الله بن المبارك فقال له ما تقول في رجل كان يطبخ قدرا له فوق فيها طائر فمات فقال أبو حنيفة لأصحابه ما ترون فيها فرووا له عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يهراق المرق ويغسل اللحم ويؤكل فقال أبو حنيفة هكذا نقول إلا ان في ذلك شريطة إن كان وقع في حال غليانها ألقى اللحم وأهريق المرق وإن كان وقع

فيها في حال سكونها غسل اللحم وأهريق المرق قال له ابن المبارك من أين قلت هذا فقال لأنه إذا وقع فيها في حال غليانها فقد وصل من اللحم إلى حيث يصل منه الخل والتوابل

وإذا وقع فيها في حال سكونها فإنما لطخ اللحم ولم يداخله فقال ابن المبارك هذا رزين يعني المذهب بالفارسية وعقد بيده ثلاثين .

هو والله من أولياء الله حقا

قال زائدة قال رجل لأبي حنيفة ما تقول في رجل قال لا أرجو الجنة ولا أخاف النار وأكل الميتة وأشهد بما لم أرو ولا أخاف الله وأصلي بلا ركوع ولا سجود وأبغض الحق وأحب الفتنة فقال له أبو حنيفة وكان يعرفه شديد البغض له يا أبا فلان سألتني عن هذه ولك بها علم فقال له الرجل لا ولكن لم أجد شيئا هو أشنع من هذا فسألتك عنه فقال أبو حنيفة لأصحابه ما تقولون في هذا الرجل قالوا شر رجل متهم هذه صفة كافر فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه هو والله من أولياء الله حقا ثم قال للرجل إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تكف عني شر لسانك ولا تملي علي الحفظة ما يضرك قال نعم فقال أبو حنيفة أما قولك لا يرجو الجنة ولا يخاف النار فإن يرجو رب الجنة ويخاف رب النار وقولك لا يخاف الله فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره فقال الله تعالى { وما ربك بظلام للعبيد } وقولك يأكل الميتة فهو أكل السمك وقوله يصلي بلا ركوع ولا سجود فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي عليه السلام وقد لزم موضع الجنائز فهو يصلي عليها وقولك يشهد بما لم ير فهذه شهادة الحق يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وقولك يبغض الحق فهو يحب البقاء حتى يطيع الله أبدا ويبغض الموت وهو الحق قال تعالى { وجاءت سكرة الموت بالحق } وأما الفتنة فالقلوب مجبولة على حب المال والولد وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين .

اشكر الله الذي رده عليك

قال أبو يوسف قال رجل لأبي حنيفة إني قد دفنت شيئا ولا أدري أين دفنته من البيت قال وأنا أخرى أن لا أدري به قال فبكى الرجل فقال أبو حنيفة قوموا بنا فقام ومعه نفر من أصحابه فأتى بهم الرجل إلى منزله فقال أين يكون من الدار وأين موضع قماشك فأدخلهم إلى بيت في الدار فقال لأصحابه

لو كان هذا البيت لكم ومعكم شيء تريدون ان تدفنوه كيف كنتم تصنعون فقال هذا كنت أدفنه ها هنا وقال الآخر موضعا آخر حتى قالوا خمسة أقاويل فحفر منها موضعين ووجده في الثالث وقال له اشكر الله الذي رده عليك .

فهلأ أتممت ليلتك شكرا لله تعالى

عن الحسن بن زياد قال دفن رجل ماله في موضع ثم نسي أي موضع دفنه فطلبه فلم يقع عليه فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة ليس هذا بفقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغد فإنك ستذكر أي موضع دفنته فيه ففعل الرجل فلم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر أي موضع فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال قد علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك حتى يذكرك ويحك فهلأ أتممت ليلتك شكرا لله تعالى .

حتى يحضر ما هو أجل من هذا

قال علي بن أبي علي كنت عند الحسن بن علي قاضي مرو فذكر أبا حنيفة وفطنته فقال استودع رجل من الحاج رجلا بالكوفة وديعة وحج ثم رجع فطلب وديعته فأنكر المستودع الوديعة وجعل يحلف له فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة وشاوره فقال لا تعلم بجحوده أحدا وكان المستودع يجالس أبا حنيفة فخلا به فقال إن هؤلاء قد بعثوا يستشيرون في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع الرجل قليلا وأقبل أبو حنيفة يرغبه وهو يمتنع ثم جاء صاحب الوديعة فقال له أبو حنيفة اذهب فقل له أحسبك نسيت أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا قال فذهب الرجل فقال له ذلك فذفع إليه الوديعة فلما رجع المستودع قال له أبو حنيفة إني نظرت في أمرك فرأيت ان ارفع من قدرك ولا اسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا .

قال فأجمعوا كل داعر وكل متهم

عن محمد بن الحسن قال دخل اللصوص على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم أحدا وأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة

أحضرنى أمام حيك والمؤذن والمستورين منهم فأحضرهم إياه فقال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه قالوا نعم قال فأجمعوا كل داعر وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد ثم أخرجوهم واحدا واحدا فقولوا له هذا لصك فإن كان ليس بلصه قال لا وإن كان لصه فليست فإذا سكت فافتصوا عليه ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة فرد الله عليه جميع ما سرق منه ؟

ما تقول في عبد بين اثنين ؟

قال يوسف بن خالد سمعت أبا حنيفة قال قدم علينا ربيعة الرأي ويحيى بن سعيد قاضي الكوفة فقال يحيى لربيعة ألا تعجب من أهل هذا المصر أجمعوا على رأي رجل واحد قال أبو حنيفة فبلغني ذلك فأرسلت إليه يعقوب وزفر وعدة من أصحابنا فقلت قايصوه وناظروه فقال له يعقوب ما تقول في عبد بين اثنين اعتقه أحدهما قال لا يجوز عتقه قال لم قال لأن هذا ضرر وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار قال فإن أعتقه الآخر قال جاز عتقه قال تركت قولك إن كان الكلام الأول لم يعمل شيئا ولم يقع به عتق فقد أعتقه الثاني وهو عبد فسكت ⁽¹⁾.

بخمسة دراهم

ومنه أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت إلى الماء فجاءني أعرابي ومعه قرية ملانة فأبى أن يبيعه إلا بخمسة دراهم فدفعته لها ثم أخذت القرية فقلت ما رأيك يا أعرابي في السوق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى أمتلأ ثم عطش فقال علي بشربة فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقي الماء.

ومنه أنه كان بجوار أبي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الأيام يا إمام أريد التزويج إلى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر فوق وسعي وطاقتي فقال أبو حنيفة : فاستخر الله تعالى وأعظم ما طلبوه

¹ (القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري ، أخبار أبي حنيفة وأصحابه ، عالم الكتب ، 1405 هـ - 1985 م ، ص 41-18)

فلما عقدوا النكاح جاء إلى أبي حنيفة فقال إني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت إليه دخل بها قال له أبو حنيفة ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد إلى موضع بعيد فاكتري الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج إليه وأظهر أنه يريد الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه فأشتد ذلك على أهل المرأة وجاءوا إلى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها إلى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال أرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى إن القوم قد سمعوا وأجابوا إلى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبروك فقال الفتى لا بد من زيادة أخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب إليك أن ترضى بما بذلوا لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضى ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا إمام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر. (1)

تلذذ العلماء بعلمهم:

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا أخذته هزة المسائل يقول : أين الملوك من لذة ما نحن فيه؟ لو فطنوا لقاتلونا عليه. (2)

أفيسرك أن أمك مغنية؟

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة : أيحل النبيذ وبيعه وشرأؤه؟ قال : نعم . قال : أفيسرك أن أمك نبأذة؟ فقال أبو حنيفة : أيحل الغناء وسماعه. قال : نعم. قال : أفيسرك أن أمك مغنية؟

بتحليل أبي حنيفة؟

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه وجعل ينادي : من يشتري رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة؟ فقال له أبو حنيفة : يا رجل إنك فعلت قبيحاً ! فقال : أأست حلالته؟ قال :

¹ (ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق ، ص 51

² (الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ، 1 / 9

صدقت ومن الحلال أنك تجامع امرأتك، ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك. (1)

قص الشعرات البيض:

قال أبو حنيفة رضي الله عنه للحجام : التقط هذه الشعرات البيض، فقال الحجام : لا تلتقطها فإنها تكثر . فقال : فإذا التقط السود فلعلها تطثر. (2)

ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة

مات رجلٌ وأوصى إلى أبي حنيفة وهو غائب، فقدم أبو حنيفة وارتفع إلى ابن شبرمة، وادعى الوصية وأقام البينة، فقال له ابن شبرمة : يا أبا حنيفة، احلف أن شهودك شهدوا بحق، قال : ليس علي يمين، كنت غائباً، قال : ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة، قال : ضلت مقاليدي؟ ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان أن فلاناً شجه، أعلى الأعمى يمين أن شهوده شهدوا بحق وهو لا يرى؟

قال أعرابي لعبد الملك : الناقة إذا كانت تمنع الحلب قومتها العصا، قال: إذن تكفأ الإناء وتكسر أنف الحالب. (3)

الآن يمد أبو حنيفة رجله!

وزعموا إنَّ الأمام أبا حنيفة، رحمه الله، كان به ذات مرة ألم في رجله، فكان يمدّها في المجلس بين يدي أصحابه . ثم إنّه يوماً حضر مجلسه رجل ذو هيئة كث اللحية لا يعرفه، فتوهمه فقيها وقبض رجله استحياء وصبر على ذلك مدة، والرجل لا يتكلم بشيء فبان له منه خلاف الظن، فمد رجله وقال ذلك. (4)

أخبار أبي حنيفة مع سفیان الثوري

إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة

قال بشار بن قيراط وكان شريك أبي حنيفة قال حجبت مع أبي حنيفة وسفيان فكانا إذا نزلا منزلا أو بلدة اجتمع عليهما الناس وقالوا فقيها العراق فكان سفیان يقدم أبا حنيفة ويمشي

¹ (الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ، 1 / 304

² (الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ، 1 / 461

³ (ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 2 / 361

⁴ (اليوسي ، زهر الأكم في الأمثال و الحكم ، ص 59

خلفه وإذا سئل عن مسألة وأبو حنيفة حاضر لم يجب حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب فسئل أبو حنيفة عن النبيذ فأراد أن يرخص فيه فوضع سفيان يده على فم أبي حنيفة ثم قال له إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة .

فلم يرجع سفيان بعد ذلك

قال يحيى بن عبد الحميد بلغ أبا حنيفة أن سفيان يتدثر بثوبه وينام خلف أسطوانته فيسمع مسأله فقال أبو حنيفة إذا جاء فأذنوني فقبل له قد جاء سفيان فقال حدثني سعيد بن مسروق أبو هذا المسجي عن عباية بن رفاعه عن رافع بن خديج أن بعيرا من أبل الصدقة ند فرماه رجل بسهم فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال كلوه فإن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فما ند عليكم فاصنعوا به هكذا قال فلم يرجع سفيان بعد ذلك .

قال ابن سماعة سمعت أبا يوسف قال كان أبو حنيفة يجلس فكان سفيان يأتي متتكررا يسمع مايقول من حيث لا يعلم به فأنصرف فإذا رجل نائم ملتف بكسائه فقال أبو حنيفة حدثني أبو هذا النائم سعيد بن مسروق والذي يعلم ما أقول لوددت أن كل شيء أحسنه في صدره أو صدر صبيان الكتاب .

وددت انها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها

قال زائدة رأيت تحت رأس سفيان كتابا ينظر فيه فاستأذنته في النظر فيه فدفعه إلي فإذا هو كتاب الرهن لأبي حنيفة فقلت له تنتظر في كتبه فقال وددت انها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها ما بقي في شرح العلم غاية ولكننا ما ننصفه .

حتى نسخه

قال سجادة دخلت أنا وأبو مسلم المستملي على يزيد بن هارون وهو نازل ببغداد على منصور بن مهدي فصعدنا إلى غرفة هو فيها فقال له أبو مسلم ما تقول يا أبا خالد في أبي حنيفة والنظر في كتبه فقال أنظروا فيها إن كنتم تريدون أن تفقهوا فإني ما رأيت أحدا من الفقهاء يكره النظر في قوله ولقد احتال الثوري في كتاب الرهن حتى نسخه .

قال نصر بن علي سمعت أبا عاصم النبيل سئل أيما أفقه سفيان أو أبو حنيفة فقال إنما يقاس الشيء على شكله أبو حنيفة فقيه تام الفقه وسفيان رجل متفقه .

قال علي ابن مسهر كنت آتي سفيان فأزفه علم أبي حنيفة فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال ويحك لم تحمل علمك إلى من لا يحمذك عليه .

أرجو ان يغفر الله تعالى لك ذلك

قال ابن المبارك قلت لأبي عبد الله سفيان الثوري ما تقول في الدعوة قبل الحرب قال إن القوم اليوم قد علموا ما يقاتلون عليه فقلت إن أبا حنيفة يقول فيها ما قد بلغك فنكس رأسه ثم رفعه فأبصر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً قال إن كان أبو حنيفة يركب في العلم أحد من سنان الرمح كان والله شديد الأخذ للعلم ذاباً عن المحارم متبعاً لأهل بلده لا يستحل أن يأخذ إلا بما يصح عنده من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والآخر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وما أدرك عليه عامة العلماء من أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه قد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه بل قد كانت منا اللفظة بعد اللفظة قال قلت أرجو ان يغفر الله تعالى لك ذلك .

المسكين قد شيخ بعدي

قال أبا سليمان الجوزجاني سمعت سلم بن سالم يقول كنت قاعداً عند مسعر وسفيان معنا إذ أقبل أبو حنيفة فأوسع له مسعر عن صدر المجلس فسلم عليهم فقال له مسعر ألا تسلم على أبي عبد الله قال ومن أبو عبد الله قال سفيان قال المسكين قد شيخ بعدي قال سفيان من لا يشق ثيابه من هذا النبطي قال أبو سليمان وكان الذي كان بين أبي حنيفة وسفيان من الشر بهذا السبب .

يرحم الله أباك

قال أبا يوسف كنا عند مسعر وسفيان جالس إليه يذاكره إذ أقبل أبو حنيفة فأوسع له مسعر وقمت أنا من مجلسي له فقال له مسعر ألا تسلم على أبي عبد الله فأقبل على سفيان فقال يرحم الله أباك فلقد كان بعيدا من حب الرئاسة منصفا لكل من رآه متبعا للعلم ولقد أسرع إليك الشيب فقال سفيان من لا يشق ثيابه من هذا النبطي وقام وخرج.

هو حديث السن والأحداث لهم حدة

عن أبي يوسف قال كان أبو حنيفة إذا بلغه عن سفيان ما يقول فيه مبلغ منه يقول هو حديث السن والأحداث لهم حدة فكان إذا أقبل قال هو حديث السن قال سفيان بكم هو النبطي أكبر سنا مني حتى يصغرني ولا يستحل أبو حنيفة أن يقول فيه شيئا غير إنه حدث السن .

أخبار أبي حنيفة مع الشعبي ومحارب بن دثار والأعمش

قال أبو حنيفة كنت عند الشعبي فأتاه رجل فسبه فقال الشعبي (هنيئا مريئا غير داء مخامر **لعزة من أعراضنا ما استحلّت

نصراني تزوج نصرانية فأسلمت

عن أبي حنيفة قال سألت الشعبي عن نصراني تزوج نصرانية فأسلمت فقال ما قال فيها بنو استها يعني الحكم وحمادا قلت لا أدري فقال الشعبي إن أسلمت هي عرض عليه الإسلام فإن قبل تركت معه وإلا فلها نصف الصداق إن أسلم هو عرض عليها الإسلام فإن أسلمت وإلا فرق بينهما ولا صداق لها .

أقياس أنت

عن أبي حنيفة عن الشعبي عن مسروق قال من نذر نذرا في معصية فلا كفارة فيه قال أبو حنيفة فقلت للشعبي قد جعل الله تعالى الظهار الكفارة وقد جعله معصية لأنه قال { وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا } فقال أقياس أنت .

من هول ما يرى

قال أبو حنيفة كنت عند محارب بن دثار فتقدم إليه خصمان فادعى أحدهما على الآخر ثم حضر شاهدان فشهدا فالتفت الخصم إلى محارب فقال في أحد الشاهدين والله إنه لرجل صالح وإنه والله فقال له محارب اتثني عليه وقد شهد عليك قال إنه والله ما كانت منه هنة قبل هذه فقال محارب بن دثار حدثني ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الطير لترخي مناقيرها وتخفق بأجنحتها يوم القيامة من هول ما يرى وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يتبوا مقعده من النار قال فرجع الشاهدان عن شهادتهما.

والله لا أفيت بذلك أبدا

قال أب ومعاوية قيل للأعمش في علقته لولا أن أبا حنيفة يأتيك لأتيناك مرتين في اليوم الذي يعودك فيه فلما جاء أبو حنيفة قال له إن الناس يستثقلوني بما أصنع بهم في الحديث وقد زدني أنت عندهم ثقلا قالوا لي كيت وكيت فقال له لولا العلم الذي يجريه الله تعالى على لسانك ما رأيتني ولا أحدا من أصحابي ببابك وذلك أن فيك خصالا أنا لها كاره تتسحر عند طلوع الفجر وتقول هو الفجر الأول وقد صح عندي أنه الثاني وترى الماء من الماء وتفتي به وتجامع أهلك فإذا لم تنزل لم تغتسل أنت ولا هي ولولا أنك تتأول من الحديث ما غاب عنك معانيه ما استحلت أن أكلمك ولكنك تتأول شيئا غيره والله أولى بك فما تسحر بالأعمش بعد ذلك إلا بالليل ولا قرب أهله إلا اغتسل وأمرها بالغسل وقال صلاة وصيام تكون باختلاف والله لا أفيت بذلك أبدا .

لا تعد إلى مثلها

مر أبو حنيفة على بغلته يتبع جنازة فقال الأعمش اسمع صوت حافر دابة فقيل له أبو حنيفة فعض على شفته وقال يا نعمان نمر في سكتنا بغير خفير فتبسم أبو حنيفة وقال يا أبا محمد رأيت أن المرء لا يمر في سكته بغير خفير فقال لا تعد إلى مثلها.⁽¹⁾

فنور الله قلبك كما نورت قلبي

وروى أن أبا حنيفة كان يتكلم في مسألة من المسائل القياسية، وشخص من أهل المدينة يتسمع، فقال : ما هذه المُقايِسة، دعوها فإن أول من قاس إبليس. فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال : يا هذا، وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس رد على الله تعالى أمره، قال الله تعالى : (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)، وقال تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)، وقال : (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)، وقال : (أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) فاستكبر ورد على الله أمره، وكل من رد على الله تعالى أمره فهو كافر، وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى؛ لأننا نرده إلى أصل أمر الله تعالى في الكتاب، أو السنة، أو إجماع الصحابة والتابعين، فلا نخرج من أمر الله تعالى، ويكون العمل على الكتاب والسنة والإجماع، فاتبعنا في أمرنا إليها أمر الله تعالى، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). إلى قوله : (وَالْيَوْمَ الْآخِرِ)، فنحن ندور حول اتباع، فنعمل بأمر الله تعالى، وإبليس خالف أمر الله تعالى، وردّه عليه، فكيف يستويان؟ فقال الرجل : غلطت يا أبا حنيفة، وثبت إلى الله تعالى، فنور الله قلبك كما نورت قلبي.

¹ (القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري ، أخبار أبي حنيفة وأصحابه , عالم الكتب , بيروت , 1405هـ - 1985م , 68-79

بعض المسائل التي أجاب أبو حنيفة عنها .

مسألة، رجل رد عبداً أبقاً من مسيرة ثلاثة أيام.
قال أبو حنيفة : له الجعل أربعون درهماً . وكان القياس أن لا يجب، فترك الناس وأخذ من ذلك بالخبر الذي روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، في خبر طويل، أن رجلاً قدم بآبق من الفيوم، فقال القوم: لقد أصاب أجراً.
فقال ابن مسعود: وأصاب جعلاً.

وقال من خالفه: لا يجب الجعل. فترك الخبر وأخذ بالقياس.

*مسألة، ولو أن رجلاً حلق لحية رجل، أو حاجبيه، فلم تنبت ثانياً.

قال أبو حنيفة: يجب على الحالق دية كاملة.

وقال من خالفه: لا يجب الدية على الكمال.

وكان القياس أن لا يجب الدية على الكمال، فترك القياس، وأخذ بالخبر المروي في حديث سعيد بن المسيب، رحمه الله تعالى.

*مسألة، ولو أن رجلاً أوجب على نفسه أن ينحر ولده.

قال أبو حنيفة: يلزمه أن يذبح شاة.⁽¹⁾

حبب إلي من دنياكم ثلاث

عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقال أبو بكر الصديق وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث الجلوس بين يديك والصلاة عليك وإنفاق مالي عليك وقال في الرياض النضرة قالت عائشة رضي الله عنها أنفق أبو بكر على النبي (صلى الله عليه وسلم) أربعين ألفاً وقال عمر رضي الله عنه وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود وقال علي رضي الله عنه وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل

¹ (التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ص40

والناس نيام وقال علي رضي الله عنه وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث الضرب بالسيف والصوم في الصيف وإقراء الضيف فنزل جبريل وقال يا نبي الله وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث النزول على النبيين وتبليغ الرسالة للمرسلين والحمد لله رب العالمين ثم قال إن الله تعالى يقول وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث لسان ذاكِر وقلب شاكر وجسد على البلاء صابر فالعمل بهذا كله من علامات المحبة لمن أراد الدخول في قوله (صلى الله عليه وسلم) من أحبني كان معي في الجنة وفي أول الحديث إشارة تأتي في أول باب الزهد إن شاء الله تعالى ولما وصل هذا الحديث إلى الأئمة الأربعة قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث تحصيلي العلم في طول الليل وترك الترفع والتعالي وقلب من حب الدنيا خالي وقال الإمام مالك رضي الله عنه وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث مجاورة روضته (صلى الله عليه وسلم) وملازمة تربته وتعظيم أهل بيته وقال الإمام الشافعي رحمه الله وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث معاملة الخلق بالتلطف وترك ما يؤدي إلى التكلف والافتداء بطريق التصوف وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأنا حبيب إلي من دنياكم ثلاث متابعة النبي (صلى الله عليه وسلم) في أخباره والتبرك بأنواره وسلوك طريق آثاره (1).

مجنون أنت ؟

اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة - رحمه الله - فقالوا : ما الدلالة على وجود الصانع ؟ فقال : دعوني ، فخاطري مشغول بأمر غريب . قالوا ما هو ؟ قال : بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة ، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها ، فقالوا له : مجنون أنت ؟ قال : وما ذاك ؟ قالوا : إن هذا لا يصدقه عاقل . فقال لهم : فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه

(1) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق : عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - 2001 /

من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة ، وهذا الفلك الدوار
السيار يجري ، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث ،
وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك ؟ فرجعوا على أنفسهم
بالملام (1)

أخطأت في خمسة

قال وكيع ، قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت : أخطأت في
خمس أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام ، وذاك أني
جئت أريد أن أحلق رأسي فقال لي : أعراقي أنت ؟ قلت : نعم
، وقد كنت قلت له : بكم تحلق رأسي ؟ فقال : النسك لا يشارط
فيه ، اجلس ، فجلست منحرفاً عن القبلة ، فأوماً إلي باستقبال
القبلة ، وأدرت رأسي من الجانب الأيسر فقال : أدر شقك
الأمين من رأسك فأدرته ، فجعل يحلق رأسي وأنا ساكت ،
فقال لي : كبر ، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال : أين تريد
؟ قلت : رحلي ، فقال : صل ركعتين ثم امض ، فقلت : ما
ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام إلا ومعه علم ؛
فقلت له : من أين لك ما رأيته أمرتني به ؟ فقال : رأيت
عطاء بن أبي رباح بفعل هذا (2)

أمؤمن أنت ؟

قال أسد بن عمرو : دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة ،
فخرج عليهم وقال : لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال
والحرام إلا أجبته ، فقام أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، ما
تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً فظنت امرأته أنه قد مات
فتزوجت ، ثم رجع زوجها الأول وقد ولدت ولداً ، فنفاه الأول
وادعاه الثاني ، فكل واحد منهما قذفها أو قذفها الذي أنكرها ،
ما جوابها ؟ ونظر أبو حنيفة إلى أصحاب قتادة وقال : إن قال
فيها برأيه ليخطئن ، وإن روى فيها حديثاً ليكذبن ، فقال قتادة
: ويحك ، أوقعت هذه المسألة ؟ قال : لا ، قال : ولم تسأل
عنها ؟ قال أبو حنيفة : إنا نستعد للبلاء قبل نزوله ، فإذا وقع

(1) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 3 / 127 ، والرياض الناضرة للسعدي ص
258 .

(2) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 5 / 131

عرفنا الدخول فيه والخروج منه ، فقال قتادة : والله لا حدثتكم بشيء من الحلال والحرام ، فسلوني عن التفسير ؛ فقام أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، ما تقول في قول الله تعالى : ' قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ' النمل : 40 قال : نعم هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان ، وكان يعلم اسم الله الأعظم ، قال : وهل كان يعرف الاسم سليمان ؟ قال : لا ، قال : أفيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي ؟ قال قتادة : والله لا حدثتكم بشيء من التفسير ، سلوني عما اختلف فيه العلماء ؛ فقام أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو ، قال : ولم ؟ قال : لقول الله تعالى : ' والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ' الشعراء : 82 قال أبو حنيفة : فهلا قلت كما قال إبراهيم حين قال الله تعالى : ' أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ' البقرة : 260 فقام قتادة مغضباً ، وحلف أن لا يحدثهم بشيء البتة . وأنشد :

وبيت خلا من كل خير فناؤه ... فضاق علينا وهو رحب
الأماكن كأننا مع الجدران في جنباته ... دمي في انقطاع
الرزق لا في المحاسن (1)

أترغب حتى أسميك ؟

قال الحسن بن علي قاضي مرو : كان أبو حنيفة من أفطن الناس ، وذلك أن رجلاً كان يتجمل بالستر الظاهر والسمت البين ، وكان يلبس على ذلك ، فقدم رجل فأودعه مالا خطيراً وخرج حاجاً ، فلما قضى نسكه عاد إلى صاحبه وطلب وديعته فجده ، فألح عليه فتمادى ، وكاد يهيم الرجل ، واستشار ثقة فقال له : كف عنه وصر إلى أبي حنيفة فدواؤك عنده ، فانطلق الرجل إليه وخلا به وأعمله شأنه وشرح له قصته ، فقال له أبو حنيفة : لا تعلم بها أحداً ، وامض راشداً وعد إلي غداً ، فلما أمسى أبو حنيفة جلس كعادته واختلف الناس إليه ، فجعل يتنفس الصعداء كلما سئل عن شيء ، فقليل له في ذلك

قال : إن هؤلاء - يعني السلطان - قد احتاجوا إلى رجل يعرفون ه قاضياً إلى مكان ، فقال الناس : اختر من أحببت فما يحضرك إلا نجم ، ثم أسبل كفه وخلا بصاحب الوديعة وقال له : أترغب حتى أسميك ؟ فذهب يتمنع عليه ، فقال له أبو حنيفة : اسكت فإني أبلغ لك ما تريد ، فاتصرف الرجل مسروراً يظن الظنون بالجاه العريض والحال الحسنة ، وصار رب المال إلي أب وحنيفة فقال له : امض إلى صاحبك ولا تخبره بما بيننا ولوح بذكرى ، وكفاك ، فمضى صاحب الوديعة إلى الرجل ذلك فوفاه ماله ، فصار الرجل إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه ، فقال : استر عليه ، ولما غدا الرجل إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء ، نظر إليه أبو حنيفة وقال : إنه قد نظرت في أمرك فرفعت قدرك عن القضاء .⁽¹⁾

لو ناظر الشيطان قطعه

قال أعرابي : سمعت خيراً استكت منه مسامعي ، واستهلت له مدامعي . قال أبو عبد الرحمن المقرئ : كنا عند المقام وفيما مالك بن أنس ، فطلع علينا أبو حنيفة فقال مالك : لقد جاءكم رجل لو ناظر الشيطان قطعه .⁽²⁾

قال أبو حنيفة : إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله شيء أخذناه ، وإذا جاء عن الصحابة تخيرنا ، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم .

لأي شيء استحللت دخول هذه البلدة وترويع النساء والصبيان ؟

قال أبو معاذ : أهل الكوفة صاروا موالى لأبي حنيفة لأن الضحاك الحروري دخل الكوفة عنوة فجلس في الجامع فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري ، فخرج أبو حنيفة إليه بقميص ورداء فقال : أريد أن أكلمك بكلمة ، قال : هات ، قال : لأي شيء استحللت دخول هذه البلدة وترويع النساء والصبيان ؟ قال : لأن القوم مرتدون ، فقال أبو حنيفة : لم يزل كان هذا دينهم ، أو كانوا على غير هذا ؟ فقال : كيف قلت ؟ أعد علي

¹ أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر ، 6 / 95

² (أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر ، 8 / 202

، فأعاد ، فقال الضحاك : أخطأنا ، أخطأنا ، أغمدوا سيوفكم وارجعوا .

الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها

قال : الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له : أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وإنه بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة. ثم أنشأ يقول:

اثنان مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السود

الشافعي الألمعي محمد ... إرث النبوة وابن عم محمد

أبشر أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقياً لنوبة أحمد

قال : فصاح القاضي وبكى وقال : إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسي. قال: فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة.

أحمد بن حنبل ومالك:

عن أبي زرعة الدمشقي قال : سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن سفيان ومالك إذا اختلفا في الرواية، فقال : مالك أكثر في قلبي . قال : قلت فمالك والأوزاعي إذا اختلفا؟ فقال : مالك أحب إليّ، وإن كان الأوزاعي من الأئمة، قيل له : وإبراهيم (أي النخعي) فكأنه كان يرى أن إبراهيم لا ينبغي أن يقرن بمالك لأنه ليس من أهل الحديث، فقال: ضعه مع أهل زمانه. (1).

وأظنك صاحب بدعة

من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها الإمام مالك موقفه مع

من سألته عن الاستواء . فقد جاء إليه رجل وقال : يا أبا عبد

الله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (طه) : (5) كيف استوى ؟

فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى

الأرض, وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرخضاء (¹) ،
ثم رفع رأسه ورمى بالعود ، وقال : " كيف منه غير معقول
، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال
عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة " وأمر به فأُخرجَ (²) .

وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر

ومن مواقف الإمام مالك الحكمة ما ردّ به على بعض العُباد
حينما كتب إليه يعظه ويحضه على الانفراد والعزلة عن
الناس ، ويحضه على العمل ، فكتب إليه مالك : " إن الله قسم
الأعمال كما قسم الأرزاق ، فربّ رجل فُتِحَ له في الصلاة ولم
يُفْتَحَ له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في
الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل
أعمال البر ، وقد رضيت بما فُتِحَ لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه
بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر " (³)

ما تصنعون بربيعة وهو نائم ؟

وروى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يضرب الناس
بأكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم
المدينة قال وهذا حديث حسن قال عبد الرزاق وسفيان بن
عيينة أنه مالك بن أنس ولقد حدث يوما عن ربيعة الرأي بن
عبد الرحمن فاستزاد القوم من حديثه فقال ما تصنعون بربيعة
وهو نائم في تلك الطاق فأتى ربيعة فقليل له أنت ربيعة الذي
يحدث عنك مالك قال نعم فقليل له فكيف حظي بك مالك ولم
تحظ أنت بنفسك قال أما علمتم أن مثقالا من دولت خير من
حمل علم .

¹ (العرق إثر الحمى ، أو عرق يغسل الجلد كثرة . انظر : المعجم الوسيط ، مادة (رخص) 1 / 334 .

² (أبو نعيم في الحلية 325 / 6 ، وانظر : سير أعلام النبلاء 100 / 8 ، 101 ، 106 ،
ومجموع فتاوى ابن تيمية 5 / 26 ، 5 / 144 .

³ (انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي 8 / 114 .

وليتني لم أفت بالرأي

وحكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوه المقتبس قال حدث القعنبى قال دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيت يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني والله لو ددت أني ضربت بكل مسألة أفثيت فيها برأي بسوط سوط وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه وليتني لم أفت بالرأي أو كما قال.

وروي أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادقاً في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف .

فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

عن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال : يا بني : كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟ (1)

إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر

وعن صالح بن الإمام أحمد قال : لقيني يحيى بن معين فقال : أما يستحيي أبوك مما يفعل؟ فقلت : وما يفعل؟ قال : رأيت مع الشافعي والشافعي راكب، وهو راجل آخذ بزمام دابته . فقلت لأبي ذلك، فقال : إن لقيت فقل : يقول لك أبي : إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر (2).

¹ (ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 32/1

² (طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، 33/1

ففيه يقول الشافعي

وعن أبي حميد بن أحمد البصري قال : كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد : يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث . فقال : إن لم يصح فيه حديث ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت شيء فيه.

(ثم قال : أي أحمد) قلت للشافعي : ما تقول في مسألة كذا وكذا فأجاب فيها، فقلت : من أين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب؟ قال : بلى فنزع في ذلك حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث نص (1).

إمام عالم من قریش

وكان أحمد رحمه الله يقول : إذا سئلت في مسألة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها : يقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قریش (2).

رجلا لم تر عيناك مثله

وعن داود بن علي الأصبهاني قال : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال : تعالى حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله... فأراني الشافعي (3).

إذا كان صحيحا

كان ذلك رأي أحمد بن حنبل في الشافعي، ولا غرو فإن يكون التلميذ معجبا بأستاذه معترفا له بالفضل، ولكن الشافعي نفسه لم يمنع تتلمذ أحمد عليه من أن يعترف به بالفضل والعلم بالسنة فيقول له : أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحا فأعلموني إن يكن كوفيا أو بصريا أو شاميا، أذهب إليه إذا كان صحيحا.

وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تعظيما له بل يقول : «حدثنا الثقة من أصحابنا أو أنبأنا الثقة أو أخبرنا الثقة».

¹ طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، 33/1 ،

² طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، 33/1 ،

³ طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، 33/1 ،

ذلك يوضح لنا بعض ما كان عليه أسلافنا من أدب جم، وخل
عال لا ينال منه الاختلاف، ولا يؤثر فيه تباين الاجتهادات،
وتلك آداب الرجال الذين تخرجوا في المدرسة المحمدية، فما
عاد للهوى عليهم من سلطان؛ وكتب التراجم والطبقات
والمناقب والتاريخ حافلة بما لا يحصى من المواقف النبيلة،
والمناظرات الطريفة بين كبار الأئمة والتي كان الأدب سداها،
والخلق الإسلامي الرفيع لحياتها، وحري بنا ونحن نعيش
الشتات في كل أمورنا أن نعود إلى فيء تلك الدوحة المباركة،
ونلتقي على الآداب الكريمة التي خلفها لنا سلفنا الصالح إن
كنّا جادين في السعي لاستئناف الحياة الإسلامية الفاضلة.

ونحن لا ننكر أن هناك مواقف لم تلتزم فيها هذه الآداب، أو
خلت من تلك السمات الخيرة التي ذكرناها، ولكنها كانت
مواقف من أولئك المقلدين أو المتأخرين الذين أشربوا روح
التعصب، ومردوا على التقليد، ولم يدركوا حقيقة الروح
العلمية العالية الكامنة وراء أسباب اختلاف الفقهاء، ولم
يلهموا تلك الآداب الرفيعة التي كانت وليدة النية الصادقة في
تحري الحق، وإصابة الهدف الذي رمى إليه الشارع الحكيم،
ويبدو أنهم كانوا من أولئك الذين قال فيهم الإمام
الغزالي: فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد
أن كانوا أعزّة بالإعراض عن السلاطين أدلة بالإقبال عليهم.

والمطلوب سيد نفسه لا ينزع إلا عن الحق، الطالب باع نفسه
فلا يشدوا إلا بما يطيب لشاريه، فحولوا الاختلاف الذي كان
نعمة أثرت الفقه الإسلامي وأثبت واقعية هذا الدين ورعايته
لمصالح الناس إلى عذاب أليم، وصار عاملا من أخطر عوامل
الفرقة والتناحر بين المسلمين .. بل تحول إلى نقمة بددت
الكثير من طاقات الأمة فيما لا جدوى منه، وشغلها بما لا
ينبغي أن تشغل به.

والاختلاف الذي تعرضنا لبعض جوانبه في الصفحات السابقة
والمحنا إلى ما كان في رجاله من آداب رفيعة هو الاختلاف
الذي وضع فيه الكاتبون كتبهم في «أسباب اختلاف الفقهاء»

قديمًا وحديثًا، أما الخلاف الذي لا تلا تلك القرون الخيرة فهو خلاف من نوع آخر، كما أن له اسباباً أخرى مختلفة(1).

بين أحمد بن حنبل ومالك:

عن أبي زرعة الدمشقي قال : سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن سفيان ومالك إذا اختلفا في الرواية، فقال : مالك أكثر في قلبي . قال : قلت فمالك والأوزاعي إذا اختلفا؟ فقال : مالك أحب إليّ، وإن كان الأوزاعي من الأئمة، قيل له : وإبراهيم (أي النخعي) فكأنه كان يرى أن إبراهيم لا ينبغي أن يقرب بمالك لأنه ليس من أهل الحديث، فقال : ضعه مع أهل زمانه . وسئل عن رجل يريد أن يحفظ حديث رجل واحد بعينه قيل له : حديث من ترى له؟ قال: يحفظ حديث مالك(2).

كنا نهاب إبراهيم النخعي كما نهاب الأمير

وقال أشعث بن سوار : جلست إلى إبراهيم النخعي ما بين العصر إلى المغرب فلم يتكلم فلما مات سمعت الحكم وحماداً يقولان : قال إبراهيم، فأخبرتاهما بجلوسي إليه فلم يتكلم فقالا : أما إنه لا يتكلم حتى يُسأل. وقال مغيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي كما نهاب الأمير(3).

هذا والله الملك لا ملك هارون

- وقدم هارون الرشيد الرقة ، فأنحفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال ، وارتفعت الغيرة ، فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت : من هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان ، يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت : هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان(4) .

¹ طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، 33/1 ،

² طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، 32 / 1 ، 35-

³ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 80/2

⁴ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 400/15

العلماء ثلاثة

وقال إسحاق بن الطباع : قال لي سفيان بن عيينة : العلماء ثلاثة : عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالمٍ بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالمٍ بالله . قال ابن الطباع : الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثالث كأبي يوسف⁽¹⁾.

كنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة

قال محمد بن حسان التهتي، شهدت فضيل بن عياض في مجلس سفيان بن عيينة فتكلم الفضيل فقال : كنتم معشر العلماء سر اج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة، كنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة، لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء، وقد علمتم من أي هو يجيء، يسند ظهره فيقول : حدثني فلان عن فلان، فرفع سفيان رأسه فقال : هاه هاه، والله إن كنا لسنا بصالحين إنا لنحب الصالحين، فسكت فضيل، فطلب إليه سفيان، فحدثنا تلك الليلة ثلاثين حديثاً.⁽²⁾

سلام خاص وعام عليك

عن علي بن يونس المدني " قال : كنت جالسا عند مالك " بن أنس " فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب فقال مالك : رجل صالح صاحب سنة أدخلوه فدخل فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام فقال : سلام خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله فقال مالك : وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله فصافحه مالك وقال : يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقتك فقال سفيان : قد عانق من هو خير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك : جعفرأ قال : نعم فقال مالك : ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال سفيان : ما عم جعفرأ يعمنأ وما خصه يخصنأ إذا كنا صالحين أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك قال : نعم يا أبا محمد فقال : حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قدم جعفر

¹ (ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 444/1

² (ابن الشجري ، الأماي الشجرية ، 15/2

من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وقال : جعفر أشبه الناس بي خلق . (1)

والله لرفسته لي أحب إلي من سفرتي

قال أحمد بن منصور الرمادي : خرجت مع أحمد (يعني ابن حنبل) ويحيى (ابن معين) إلى عبد الرزاق (ابن همام الصنعاني) خادماً لهما، قال : فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين : أريد أن اختبر أبا نعيم، فقال أحمد : لا تُرد فالرجل ثقة، قال يحيى : لا بد لي، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم فخرج وجلس على دكان طين (مكان مرتفع) وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه ويحيى عن يساره وجلست أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم : ليس هذا من حديثي؛ اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم : ليس هذا من حديثي فاضرب عليه ثم قرأ العشر الثالث ثم قرأ الحديث الثالث فتغير أبو نعيم وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى فقال : أما هذا - وذراع أحمد بيده - فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا - يريدني - فأقل من أن يفعل ذلك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله فرفس يحيى فرمى به من الدكان وقام فدخل داره فقال أحمد بن حنبل ليحيى : ألم أمنعك وأقل لك إنه ثبت، قال : والله لرفسته لي أحب إلي من سفرتي.

ليس هذا من كيسكم

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال : كنا نحضر مجلس بشر المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد ابن حنبل فقلنا له : ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة، لنخوض معهم إذا خاضوا . فقال : اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة . قال : فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئاً من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي

وتخطيت إليه فلما رأي قال : ما جاء بك يا صاحب حديث؟
قال : قلت : ذرني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع
الشاهد؟، فناظرته فقطعته فقال : ليس هذا من كيسكم هذا من
كلام رجل رأيته بمكة، معه نصف عقل أهل الدنيا.

تزببت قبل أن تحصرم

- لما جلس أبو يوسف رحمه الله تعالى للتدريس من غير
إعلام أبي حنيفة رحمه الله فأرسل إليه أبو حنيفة رحمه الله
رجلا فسأله عن خمس مسائل : الأولى : قصار جحد الثوب و
جاء به مقصورا هل يستحق الأجرة أم لا؟ فأجاب أبو يوسف
رحمه الله : لا يستحق الأجر فقال له الرجل : أخطأت فقال : لا
يستحق فقال : أخطأت ثم قال له الرجل : إن كانت القصار قبل
الجحود استحق وإلا لا .

الثانية : هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة فقال :
بالفرض فقال :

أخطأت . فقال : بالسنة فقال : لا أخطأت . فتحير أبو يوسف
رحمه الله فقال الرجل : بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين
سنة .

الثالثة : طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق : هل
يأكلان ؟ أم لا ؟ فقال : يؤكل . فخطأه فقال : لا يؤكل فخطأه ثم
قال : إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا و
بؤكل و ترمى المرقعة وإلا يرمى الكل له .

الرابعة : مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في
أي المقابر فقال أبو يوسف رحمه الله : في مقابر المسلمين
فخطأه فقال : في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحي أبو يوسف .

فقال الرجل : تدفن في مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن
القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن
يكون وجهه إلى ظهر أمه .

الخامسة : أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاهما فمات
المولى هل تجب العدة من المولى فقال : تجب فخطأه ثم قال :
لا تجب فخطأه ثم قال الرجل : إن كان الزوج دخل بها : لا

تجب و إلا : وجبت فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة رحمه الله فقال : تزيبت قبل أن تحصرم .

من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه

وفي مناقب الكردي : أن سبب انفراده أنه مرض مرضا شديدا فعاده الإمام وقال : لقد كنت أملك بعدي للمسلمين ولئن أصبت ليموتن علم كثير فلما برأ أعجب بنفسه وعقد له مجلس الأمالي وقال له حين جاء : ما جاء بك إلا مسألة القصار سبحان الله من رجل يتكلم في دين الله ويعقد مجلسا لا يحسن مسألة في الإجارة : ثم قال : من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه انتهى .

خدعتني امرأة و فقهنتني امرأة و زهدتني امرأة

- وفي مناقب الكردي : قال الإمام الأعظم رحمه الله :

خدعتني امرأة و فقهنتني امرأة و زهدتني امرأة
أما الأولى : قال : كنت مجتازا فأشارت إلي امرأة إلى شيء مطروح في الطريق فتوهمت أنها خرساء وأن الشيء لها فلما رفعته إليها قالت : احفظه حتى تسلمه لصاحبه .
الثانية : سألتني امرأة عن مسألة في الحيض فلم أعرفها فقالت قولا تعلمت الفقه من أجله .

الثالثة : مررت ببعض الطرقات فقالت امرأة : هذا الذي يصل الفجر بوضوء العشاء فتعمدت ذلك حتى صار دأبي .

لا أرجو الجنة ولا أخاف النار

- وسئل الإمام رحمه الله تعالى عن قال : أرجو الجنة و لا أخاف النار و لا أخاف الله تعالى و أكل الميتة و أصلي بلا قراءة و بلا ركوع و سجود و أشهد بما لم أره و أبغض الحق و أحب الفتنة فقال أصحابه : أمر هذا الرجل مشكل .
فقال الإمام : هذا الرجل يرجو الله لا الجنة و يخاف الله لا النار و لا يخاف الظلم من الله تعالى في عذابه و يأكل السمك و الجراد و يصلي على الجنابة و يشهد بالتوحيد و يبغض الموت و هو حق و يحب المال و الولد و هما فتنة له .
فقام السائل وقبل رأسه و قال : أشهد أنك للعلم وعاء .
حكاية الإمام مع قتادة : في امرأة المفقود

لا أجيبكم بشيء

قدم قتادة الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال : سلوني عن الفقه فقال الإمام : ما تقول في امرأة المفقود فقال : قول عمر رضي الله تعالى عنه تتربص أربع سنين ثم تعتد عدة الوفاة و تتزوج بما شئت له قال : فإن جاء زوجها الأول وقال : تزوجت و أنا حي وقال الثاني : تزوجتني ولك زوج أيهما يلاعن ؟ فغضب قتادة وقال : لا أجيبكم بشيء .

أول مسألة خالف فيها أستاذه

قال الإمام : خرجنا مع حماد نشتيع لأعمش و أعوز الماء لصلاة المغرب فأفتى حماد بالتيمة لأول الوقت فقلت : يؤخر إلى آخر الوقت فإن وجد الماء و إلا يتيمة ففعلت فوجد في آخر الوقت و هذه أول مسألة خالف فيها أستاذه .

جارية لها غلام

وكان للإمام جارية لها غلام أصاب منها دون الفرج فحبلت فقال أهلها له : كيف تلد و هي بكر فقال : هل لها أحد تثق به قالوا : عمتها فقال : تهب الغلام منها ثم تزوجها منه فإذا أزال عذرتها ردت الغلام إليها فيبطل النكاح .

حكاية النسوة يغنين

- وخرج الإمام إلى بستان فلما رجع مع أصحابه إذ هو بابن أبي ليلى راكبا على بغلته فتسايرا فمرا على نسوة يغنين فسكتن فقال الإمام : أحسنتن فنظر ابن أبي ليلى في قمطره فوجد قضية فيها شهادته فدعاه ليشهد في تلك القضية فلما شهد أسقط شهادته و قال : قلت للمغنيات : أحسنتن فقال : متى قلت ذلك حين سكتن أم حين كن يغنين قال : حين سكتن قال : أردت بذلك : أحسنتن بالسكوت فأمضى شهادته.

حكاية الأختين والأخوين وإفتاء الإمام

وكان أبو حنيفة رحمه الله تعالى في وليمة في الكوفة و فيها العلماء و الأشراف و قد زوج صاحبها ابنيه من أختين فغلطت النساء فزفت كل بنت إلى غير زوجها و دخل بها فأفتى سفيان بقضاء علي رضي الله عنه : على كل منهما المهر و ترجع كل إلى زوجها فسئل الإمام فقال : علي

بالغلامين فأتي بهما فقال : أوجب كل منكما أن يكون المصاب عنده قالاً : نعم فقال لكل منهما : طلق التي عند أخيك ففعل ثم أمر بتجديد النكاح فقام سفيان فقبله بين عينيه

كلب الروم والمسائل الثلاث

وحكى الخطيب الخوارزمي أن كلب الروم أرسل إلى الخليفة مالا جزيلا على يد رسوله و أمره أن يسأل العلماء عن ثلاث مسائل فإن هم أجابوك : أبذل لهم المال و إن لم يجيبوك فاطلب من المسلمين الخراج فسأل العلماء فلم يأت أحد بما فيه مقتع وكان الإمام إذ ذاك صبيا حاضرا مع أبيه فاستأذنه في جواب الرومي فلم يأذن له فقام و استأذن من الخليفة فأذن له وكان الرومي على المنبر فقال له : أسائل أنت ؟ قال : نعم

قال : أنزل مكانك الأرض و مكاني المنبر فنزل الرومي وصعد أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقال : سل فقال : أي شيء كان قبل الله تعالى قال : هل تعرف العدد قال : نعم قال : ما قبل الواحد قال : هو الأول ليس قبله شيء قال : إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظ شيء فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي فقال الرومي : في أي جهة وجه الله تعالى ؟ قال : إذا أوقدت السراج فالى أي وجه نوره قال : ذاك نور يستوي فيه الجهات الأربع فقال : إذا كان النور المجازي المستفاد الزائل لا وجه له إلى جهة فنور خالق السموات والأرض الباقي الدائم المفيض كيف يكون له جهة ؟ قال الرومي : بماذا يشتغل وجه الله تعالى قال : إذا كان على المنبر مشبه مثلك نزله و إذا كان على الأرض موحد مثلي رفعه كل يوم هو في شأن فترك المال وعاد إلى الروم .

أبو حنيفة ومالك :

أخرج القاضي عياض في «المدارك» قال : قال الليث بن سعد : لقيت مالكا في المدينة، فقلت له : إني أراح تمسح العرق عن جبينك . قال : عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري، قال الليث : ثم لقيت أبا حنيفة، وقلت له : ما أحسن قول هذا الرجل

فيك (يشير إلى مالك) فقال أبو حنيفة : ما رأيت أسرع منه
بجواب صادق، ونقد تام.

قال ابن سماعه قال ابا يوسف يقول حج ابو حنيفة فوقعت
بالكوفة مسألة الدور فسئل ابن شبرمة وابن أبي ليلى
والثوري والناس بالكوفة فلم يكن عندهم فيها شيء فسئل
أصحاب ابي حنيفة فلم يكن عندهم فيها جواب فقالوا ليس لها
إلا ابو حنيفة فاشترأبت نفوسنا إلى قدومه حتى خفنا عليه
وعلى أنفسنا وخفنا ان يعجز عن الجواب فيذهب قدره وقدرنا
معه حتى تمنى بعضنا موته فلما قرب أبو حنيفة من الكوفة
استقبلته وقلت اخبره بالمسألة لعله ان يعمل فكره فيها قبل ان
يسأل عنها فلما لقيته قال يعقوب فحملني معه ثم جاء الناس
وكثروا يستقبلونه فلم أقدر أن أقول له فيها شيئاً ثم دعا بدابة
فركب وحملني على دابة معه وحمل سائر الناس حولنا حتى
ضاقت الطرقات فلما قدم وأتى المسجد صلى فيه ركعتين
 واجتمع الناس فكان اول شيء سئل عنه المسألة التي القيت
من الدور قال فلما القيت عليه نكس رأسه قال فلما رأيته نكس
رأسه علمت انها ستخرج ثم رفع رأسه فقال الجواب فيها كذا
وكذا قال فسررنا وسر الناس قال فلما مات ابو حنيفة كنت
يوماً في دار الخيفة إذ مر بنا رجل جل فقالوا هذا الحاسب
وجعل أصحاب الخليفة يعظمونه فدعوته وقلت باب من الفقه
وكانت المسألة قد اضطرب علي منها شيء مما قاله أبو
حنيفة فقلت إنا قد احتجنا فيه إلى الحساب قال فأخبرته قال
اعمله من باب كذا وكذا فعملته فلم يخرج فقال باب كذا فعملته
فلم يخرج فلم يزل يلقي علي الأبواب فلم يخرج فقال لم يبق
إلا باب واحد فإن خرج وإلا فليس له باب يخرج منه أصلاً
فذكر قول ابي حنيفة فعملت به فخرج فقلت ليست يخرج
وخفت ان يذهب فيعمل عليه تلك المسألة قال فانصرف
فعملت الباب وعملت المسائل عليه وجعلت إذا لقيته فسألني
اعمي عليه الجواب مخافة ان يفطن له وكان مفتناً حاسباً.

قال بشر ابن الوليد سمعت أبا يوسف يقول سمعت داود الطائي يقول لما نزل ابو العباس الكوفة وجه إلى العلماء فجمعهم فقال إن هذا الأمر قد أفضى إلى أهل بيت نبيكم وجاءكم الله بالفضل وإقامة الحق وأنتم يا معشر العلماء احق من أعان عليه ولكم الحباء والكرامة والضيافة من مال الله ما أحببتم فبايعوا بيعة تكون لكم عند إمامكم حجة عليكم وأمانا في معادكم لا تلقون الله بلا إمام فتكونوا ممن لا حجة له ولا تقولوا أمير المؤمنين نهابة ان نقول الحق فنظر القوم إلى ابي حنيفة فقال إن أحببتم ان اتكلم عني وعنكم فأمسكوا قالوا قد أحببنا ذلك فقال الحمد لله الذي بلغ الحق من قرابة من نبيه صلى الله عليه وسلم وأماط عنا جور الظلمة وبسط السنننا بالحق وقد بايعناك على امر الله والوفاء لك بعهد الله إلى قيام الساعة فلا أخلى الله هذا الأمر ممن قربه من نبيه فأجابه أبو العباس بجواب جميل.

وقال مثلك من خطب عن العلماء لقد احسنوا اختيارك واحسنت في البلاغ فلما خرجوا قالوا له ما أردت بقولك إلى قيام الساعة وقد انقضت الساعة قال إن احتلتم علي احتلت لنفسي وأسلمتكم للبلاء فسكت القوم وعلموا أن الحق ما صنع .

والعلم يؤتى ولا يأتي

وروي عنه أنه قال دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم اعزتموه عز وإن أنتم أدللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس .

عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى

ومن كلامه لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه فإنه ذل وإهانة للعلم ولما صنف كتاب الموطأ في الحديث عمل علماء المدينة الموطآت على منواله فقل لمالك قد شاركك الناس في مثل هذا التصنيف فلم تكلف هذا القدر نفسك قال إئتوني بها أنظرها فلما نظر فيها قال عسى أن يعلموا أي عمل

وقع لوجه الله تعالى فكان كذلك ولم يبق لموطآت الآخرين اسم ولا رسم إلا ما يذكر من موطأ ابن أبي ذئب وأما موطأ مالك فهو مخدوم طوائف الأنام وبضاعة الاجتهاد لعلماء الإسلام والقبول بقدر النية .

عجزت النساء ان يلدن مثلك

قال شريك قال كنا في جنازة ومعنا سفيان الثوري وابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفة وأبو الأحوص ومنديل وحبان وكانت الجنازة لكهل سيد من كهول بني هاشم توفي ابن له فخرج في جنازته وجوه أهل الكوفة يمشون حتى وقفت الجنازة فسأل الناس عنها فقالوا خرجت امه ولهي وألقت ثوبها عليه وبرزت وكشفت رأسها وكانت هاشمية شريفة فصاح أبوه بها فأمرها ان ترجع فأبت فحلف بالطلاق لترجع وحلفت بعناق كل مملوك لها ان لا ترجع حتى يصلى عليه فمشى الناس بعضهم إلى بعض ووقفوا وسألوا فلم يتكلم فيها أحد وأجاب منهم أحد بجواب فهتف أبوه بأبي حنيفة وقال يا نعمان اغثنا ف جاء أبو حنيفة فقال كيف حلفت فأعادت عليه وقال للكهل كيف حلفت فأعاد عليه فقال ضعوا السرير فوضع فقال للاب تقدم فصل على ابنك فتقدم فصلى عليه والناس خلفه ونادوا فيمن تقدم حتى لحقوا بالناس ثم قال احملوه إلى قبره وارجعي إلى منزلك فقد بررت وقال لأبيه ارجع فقد بررت فقال ابن شبرمة يومئذ عجزت النساء ان يلدن مثلك سريعا ما عليك في العلم كلفة .

العلم خزائن يقسم الله لمن أحب

قال أحمد بن حنبل : العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يخص بالعلم أحداً لكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى؛ كان عطاء بن أبي رباح حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً أسود، وكان الحسن مولى للأتصار، وكان ابن سيرين مولى للأتصار.

كيف عاد الزهري إلى قول الحديث ؟

حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا الحسن بن عمار، قال : أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألقيته على بابيه، فقلت : إن رأيت أن تحدثني، قال : أما علمت أنني قد تركت الحديث؟ فقلت : أما أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال : حدثني، فقلت : حدثني الحكم بن عيينة، عن يحيى بن الجزار، قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول : " ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا " . قال: فحدثني أربعين حديثاً.⁽¹⁾

وإنه لجاري وما علمت أن هذا عنده!

قال الزهري لسليمان بن عبد الملك : ألا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء؟ قال : وما عسيث أن أقول في العلماء إلا خيراً ! إني أدركت العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ولم يستغن أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم؛ فلما رأوا ذلك قدموا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم يُنلهم أهل الدنيا من دنياهم شيئاً ! إن هذا وأصحابه ليسوا علماء، إنما هم رواة؛ فقال الزهري : وإنه لجاري وما علمت أن هذا عنده ! قال : صدقَ أما إني لو كنت غنياً عرفتني !! فقال له سليمان : ما المخرج مما نحن فيه؟ ! قال : أن تمضي ما في يديك لما أمرت به وتكفَّ عما نهيت عنه؛ فقال : سبحان الله! من يطيق هذا؟ ! قال : من طلب الجنة وفرَّ من النار، وما هذا فيما تطلب وتفر منه؟!

الشافعي ومحمد بن الحسن:

يقول الإمام الشافعي : ذكرت محمد بن الحسن يوماً، فدار بيني وبينه كلام واختلاف، حتى جعلت أنظر إلى أوداجه تدر، وتتقطع أزراره.

ويقول محمد بن الحسن : إن كان أحد يخالفنا فيثبت خلافه علينا فالشافعي، فقليل له : فلم؟ قال : لبيانه وتثبته في السؤال والجواب والاستماع.

¹ (المعافى بن زكريا ، المجلس الصالح والأنيس الناصح ، 1 / 151)

تلك هي بعض نماذج من آداب علماء الأمة، نستنبط منها : أن خلف الأمة في قرون الخير كان يسير حذو السلف، والكل يستقي من ادب النبوة، ولم يكن أدب السلف الصالح يقتصر على تجنب التجريح والتشنيع، بل كان من الآداب الشائعة في ذلك الجيل من العلماء التثبت في أخذ العلم واجتناب الخوض فيما لا علم لهم به، والحرص على تجنب الفتيا خوفا من الوقوع في الخطأ . قال صاحب القوت : وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : أدركت في هذا المسجد (مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم احد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ودان أخاه كفاه ذلك . وفي لفظ آخر : كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر حتى ترجع الى الذي سأل عنها أول مرة.

مالك والشافعي:

يقول الإمام الشافعي : مالك بن أنس معلمي، وعنه أخذت العلم، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد آمن علي من مالك بن أنس وكان يقول : إذا جاءك الحديث من مالك فشد به يديك، كان مالك بن أنس إذا شك في الحديث طرحه كله.

هذا أفضل فتيان زمانه.

كان ابن عينة هو من هو في مكانته إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت الى الشافعي وقال : سلوا هذا . وكثيرا ما كان يقول إذا رآه: هذا أفضل فتيان زمانه . وحين بلغه نبأ وفاة الشافعي قال : إن مات محمد بن إدريس فقد مات أفضل أهل زمانه.

أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي

وكان يحيى بن سعيد القطان يقول : أنا أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي . وكان عبد الله بن عبد الحم وولده علي مذهب الإمام مالك، ولكن هذا لم منع عبد الله بن الحكم من أن يوصي ولده محمدا بلزوم الإمام الشافعي حيث قال له : الزم هذا الشيخ (يعني الشافعي) فما رأيت أحدا أبصر بأصول العلم أو قال : أصول الفقه منه . ويبدو أن الولد قد أخذ بنصيحة أبيه حيث

يقول : لولا الشافعي ما عرفت كيف أرد على أحد، وبه عرفت ما عرفت، وهو الذي علمني القياس رحمه الله فقد ان صاحب سنة واثر، وفضل وخير، مع لسان فصيح، وعقل صحيح رصين.

كالشمس للدنيا

عن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال : يا بني : كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

أما يستحيي ابوك مما يفعل؟

وعن صالح بن الإمام أحمد قال : لقيني يحيى بن معين فقال : أما يستحيي ابوك مما يفعل؟ فقلت : وما يفعل؟ قال : رأيته مع الشافعي والشافعي راكب، وهو راجل آخذ بزمام دابته . فقلت لأبي ذلك، فقال : إن لقيته فقل : يقول لك أبي : إذا اردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر.

ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت

وعن أبي حميد بن أحمد البصري قال : كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد : يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث . فقال : إن لم يصح فيه حديث ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت شيء فيه . (ثم قال : أي أحمد) قلت للشافعي : ما تقول في مسألة كذا وكذا فأجاب فيها، فقلت : من اين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب؟ قال : بلى فنزع في ذلك حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث نص.

وكان أحمد رحمه الله يقول : إذا سئلت في مسألة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها : يقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قریش .

وعن داود بن علي الأصبهاني قال : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال : تعالى حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله... فأراني الشافعي.

كان ذلك رأي أحمد بن حنبل في الشافعي، ولا غرو فإن يكون التلميذ معجبا بأستاذه معترفا له بالفضل، ولكن الشافعي نفسه

لم يمنع تتلمذ أحمد عليه من أن يعترف به بالفضل والعلم بالسنة فيقول له : أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحا فأعلموني إن يكن كوفيا أو بصريا أو شاميا، أذهب إليه إذا كان صحيحا.

وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه (تعظيما له) بل يقول : «حدثنا الثقة من أصحابنا أو أنبأنا الثقة أو أخبرنا الثقة».(1)

نسيت شيئا فأذكره !

ويروى أن بلال بن أبي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة، فنظر إلى جماعة وقوفاً فقال : ما هذا؟ قالوا : مالك بن دينار يذكر الناس . فقال الوصيف معه : اذهب إلى مالك بن دينار فقل له يرتفع إلينا إلى القبر . فجاء الوصيف فأدى الرسالة إلى مالك فصاح به مالك : لا، ما لي إليه حاجة فأجيبه فيها، فإن تكن له حاجة فليجئ إلى حاجة نفسه . فلما دفنوا ميتهم قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك، فلما دنا منها نزل ونزل من معه، ثم جاء يمشي إلى الحلقة حتى جلس، فلما رآه مالك بن دينار سكت فأطال السكوت، فقال له بلال : يا أبا يحيى ذكرنا . قال : نسيت شيئا فأذكره . قال له : فحدثنا . قال : أما هذا فنعم(2).

بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه

الأوزاعي : قلت لمكحول : أين ترى لي أن أنزل؟ قال : أنزل حيث يصفو لك الخبز فإن الدين مع الخبز.

الأوزاعي : شكت النواويس ما تجد من نتن ريح الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه.

الطريق للشيخ

وفي تاريخ ابن خلكان أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي ، فخرج إلى ملتقاه فلقيه بذي طوى ، فحل سفيان خطام بغيره من القطار ووضعه على رقبته ، فكان إذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ .

¹ (طه جابر فياض العلواني ، أدب الاختلاف في الاسلام ، ص 32- 33

² (الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1 / 28

قلت من رهطك

قال الربيع سمعت الشافعي يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قبل حلمي فقال لي يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله قال ممن انت قلت من رهطك قال ادن مني فدنوت منه ففتح فمي فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال امض بارك الله فيك فما أذكر أني لحت في حديث بعد ذلك ولا شعر.

يا رسول الله بقول من آخذ

وعن أبي الحسن علي بن أحمد الدينوري الزاهد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بقول من آخذ فأشار الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال خذ بيد هذا فأت به ابن عمنا الشافعي ليعمل بمذهبه فيرشد ويبلغ باب الجنة ثم قال الشافعي بين العلماء كالبدري بين الكواكب وقال الشافعي ما ناظرت أحدا قط على الغلبة وفي رواية ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة وقال أبو عثمان محمد بن الشافعي ما سمعت أبي ناظر أحدا قط فرفع صوته.

فحمل كتبي فبثها في الهواء

وقال الربيع رأيت من الشافعي ما لا أحصى وكان إذا انصرف اتشح بردائه ووضعت له منارة قصيرة واتكأ على وسادة وتحت مضريتان ويأخذ القلم فلا يزال يكتب وقال الربيع سمعت الشافعي يقول رأيت في المنام كأن آتيا أتاني فحمل كتبي فبثها في الهواء فسألت بعض المعبرين فقال إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلاد الإسلام الا ودخل علمك فيه.

ما فعل الله بك؟

وقال الإمام الحافظ محمد بن مسلم بن داره بالراء لما مات أبو زرعة الرازي رأيت في المنام فقلت ما فعل الله بك قال قال لي الجبار سبحانه وتعالى الحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله الأول مالك والثاني الشافعي والثالث

احمد بن حنبل وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الهاشمي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال الشافعي في الجنة أو من اهل الجنة.

رحلة الشافعي في طلب العلم

عن زكريا بن يحيى البصري، ويحيى بن زكريا بن جبرية النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية. قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كنت - ويكتبون أئمتهم فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم - قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم : ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً. قال : ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل أكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث وأجئ إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً، ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي : يا أبا عبد الله: عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت : فمن بقي نقصد؟ فقال لي : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ. قال : فوق في قلبي فعدت إلى الموطن فاستعرتة من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً قال : ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى والي، فلما أن قرأ قال يا فتى إن مشى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه فقلت : - أصلح الله الأمير - إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. قال : هيهات، ليت أني إذاركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا. قال فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال : لقد أصابنا من تراب العقيق. قال : فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولي لمولاك إني بالباب. قال : فدخلت

فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاي يقرئك السلام ويقول : إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها : قولي له : إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة . قال فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعتة، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالي الكتاب، فبلغ إلى هذا : إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع، رمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟ قال : فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت : - أصلحك الله - إني رجل مطلي ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي : ما اسمك؟ قلت : محمد. فقال لي يا محمد. اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم كرامة، إذا كان غداً تجئ ويجئ من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة . قال : فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول : يا فتى زد حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن، وكان بها وال من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً، وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم . قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا واني أخاف أن يخرجوا، وإن ههنا رجلاً من ولد شافع المطلب لا أمر لي معه ولا نهى . قال : فكتب إليه هارون : أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم . قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن . قال : فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية، ثم التفت محمد بن الحسن فقال : يا أمير المؤمنين، هذا المطلي، لا يغلبك بفصاحته فإنه رجل لسن . فقلت مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريد منك، يا

أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين : أحدهما يراني أخاه،
والآخر يراني عبده أيهما أحب إلي؟ قال : الذي يراك أخاه .
قال : قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين . قال فقال لي : كيف ذاك؟
فقلت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن
بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوانكم وهم يرونا
عبيدهم . قال : فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال : يا ابن
إدريس : كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟
عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه
وابتدأه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه
وأنسيه، وما خطب به العام يراد به الخاص، وما خطب به
الخاص يراد به العام . أحب إلي؟ قال : الذي يراك أخاه . قال :
قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين . قال فقال لي : كيف ذاك؟ فقلت
يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو
المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوانكم وهم يرونا عبيدهم .
قال : فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال : يا ابن إدريس :
كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه
فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتدأه،
وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما
خطب به العام يراد به الخاص، وما خطب به الخاص يراد
به العام.

فقال لي : والله يا بن إدريس لقد ادعيت علماً فكيف علمك
بالنجوم؟ فقلت : إني لأعرف منها البري من البحري،
والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته . قال :
فكيف عمك بأنساب العرب . قال : فقلت إني لأعرف أنساب
الأنام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين . قال : لقد
ادعيت علماً فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال :
فذكرت موعظة لطاوس اليماني فوعظته بها، فبكى وأمر لي
بخمسين ألفاً وحملت على فرس وركبت من بين يديه
وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على
حجاب أمير المؤمنين وبوابيه . قال : فلحقني هرثمة وكان
صاحب هارون فقال : اقبل هذه مني . قال : فقلت له إني لا آخذ

العطية ممن هو دوني، وإنما أخذها ممن هو فوقني . قال : فوجد في نفسه . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إلي . قال : فكتبت لي ووجه بها إلي .

قال : اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم . قال : واجتمعنا في ذلك المكان . قال وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه . قال : فاندفع يعرض بي ويذم أهل المدينة فقال : من أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة؟ والله لقد وضعت كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرت حتى أرد عليه . قال الشافعي : فقلت إن أنا سكت نكست رؤوس من هاهما من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت على السلطان، ثم إني استخرت الله في الرد عليه، فتقدمت إليه فقلت : - أصلحك الله - ، طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة؟ إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك بن أنس فالأذكرت ذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله وكلهم على خلاف ما ادعيت، وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعته على أهل المدينة، فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم، خطأ إلى آخره، قلت في شهادة القابلة كذا وكذا وهو خطأ، وفي مسألة الحامل كذا وكذا وهو خطأ، وقلت في مسألة كذا، وكذا وكذا وهو خطأ، فاصفر محمد بن الحسن ولم يحر جواباً . وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان فضحك وقال : ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن . قال : فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال : ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطة ففقأ عينها، ماذا يجب عليه؟ قال قلت : ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها، فيقوم ما بين القيمتين، ولكن ما تقول أنت وصاحبك في رجل محرم نظر

إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال : ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك .
قال : فصاح به محمد وقال له : ألم أقل لك لا تسأله؟ قال : ثم
أدخلنا على الرشيد فلما أن استويينا بين يديه قال لي : يا أبا
عبد الله، تسأل أو أسأل؟ قال : قلت ذاك إليك . قال : فأخبرني
عن صلاة الخوف أواجبة هي؟ قلت : نعم، فقال : ولم؟ فقلت :
لقول الله عز وجل : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم
طائفة منهم معك) . فدل أنها واجبة . قال : وما تنكر من قائل
قال لك : إنما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو
فيهم، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت تلك
الصلاة؟ فقلت : وكذلك قال الله عز وجل لنبيه : (خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، فلما أن زال عنهم النبي صلى
الله عليه وسلم زالت عنهم الصدقة؟ فقال : لا . قلت : وما الفرق
بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم هو المأمور بهما جميعاً؟
قال : فسكت ثم قال : ي أهل المدينة ما أجراكم على كتاب الله؟
فقلت : الأجرأ على كتاب الله من خالفه . قال فقد قال الله عز
وجل : (وأشهدوا ذوي عدل منكم) ، فقلت أنتم : نقضي باليمين
مع الشاهد فقلت : لكننا نقول بما قال الله، ونقضي بما قضى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنك أنت إذا خالفت كتاب
قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خالفت كتاب الله.
قال : وأين لكم رد اليمين؟ قال : قلت سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قال وأين؟ قلت قصة حويصة ومحبيصة وعبد
الرحمن حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة
القتيل : تحلفون وتستحقون دم صاحبكم؟ قالوا : لم نشهد ولم
نعين؟ قال : فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا رد اليمين إلى
اليهود . قال : فقال لي : إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قال : فقلت يا أمير المؤمنين، هذا
بحضرتك يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من
اليهود . فقال الرشيد : ثكلتك أمك يا بن الحسن، رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود؟ . نطع وسيف، فلما
رأيت الجد من أمير المؤمنين قلت مهلاً يا أمير المؤمنين، فأن
الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع

به صاحبه، وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فسرّيت عنه . قال : ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار . قال : فقال لي : يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال : فقلت فكيف رأيته بعد ذلك؟.

مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي رضي الله عنه

حدث الآبري بإسناده : قال إسحاق بن راهويه : كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي يا أبا يعقوب : قم حتى أريك رجلاً لم ترعيناك مثله . قال : فقممت فأتى بي فناء زمزم فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض تعلو وجهه السمرة، حسن السميت، حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه فقال له : يا أبا عبد الله، هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحب بي وحياني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم أعجبني حفظه قال : فلما أن طال مجلسنا قلت له : يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال : هذا هو الرجل، فقلت يا سبحان الله، أقمنا من عند رجل يقول : حدثنا الزهري، فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريب منه . فأتيت بنا إلى هذا الشاب أو هذا الحدث، فقال لي يا أبا يعقوب : اقتبس من الرجل، فإنه ما رأيت عينا مثله . قال الآبري : قال إسحاق : فسألته عن سكني بيوت مكة - أراد الكرى - فقال جاز . فقلت : إي يرحمك الله، وجعلت أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كره كرى بيوت مكة وهو ساكت يسمع وأنا أسرد عليه . فلما فرغت سكت ساعة وقال : يرحمك الله، أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار؟ قال فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه . قال الحاكم : فقال إسحاق : أتأذن لي في الكلام؟ فقال نعم، فقلت : حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك . قال الحاكم : ولم يكن الشافعي عرف إسحاق، فقال الشافعي لبعض من عرفه : من هذا؟ فقال : هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه

الخراساني . فقال له الشافعي : أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيهم؟ قال إسحاق : هكذا يزعمون . قال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت أمر بعرك أذنيه . وقال الحاكم في خبر آخر : قال له الشافعي : لو قلت قولك احتجت إلى أن أسلسل أنا أقول لك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول : عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك، هل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؟ . قال إسحاق لبعض من معه من المرازمة بلسانهم : مردك لا كما لا نيست، قرية عندهم بمرور يدعون العلم، وليس لهم علم واسع . وقال الأبري : قال إسحاق لبعض من معه : الرجل مالاني، ومالان : قرية من قرى مرو وأهلها فيهم سلامة . قال الحاكم في خبره : فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبته إلى شيء . فقال تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال : ما جئت إلا للمناظرة . فقال له الشافعي : قال الله عز وجل : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الآية . نسب الدار إلى المالكين أو غير المالكين قال إسحاق : إلى المالكين . قال الشافعي : فقلوه عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابها فهو آمن)، أنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟ . قال إسحاق : إلى مالك . فقال الشافعي : وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين فأسكنها، وذكر له جماعة من أصحاب رسول الله عليه وسلم اشتروا دور مكة وجماعة باعوها . وقال إسحاق له : قال الله عز وجل : (سواء العاكف فيه والباد) . فقال الشافعي : اقرأ أول الآية . قال : (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) . قال الأبري : قال الشافعي : والعاكف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله : (للطائفين والعاكفين) والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله عز وجل : (وأنتم عاكفون في المساجد)، فدل ذلك أن قوله عز وجل : (سواء العاكف فيه والباد) في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع . قال الحاكم : وقال الشافعي :

ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تتشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا تنتثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة . قال فسكت إسحاق ولم يتكلم . وفي خبر الآبري : فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار)؟. علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا . قال إسحاق : ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذاك، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

ليس ثم أكبر منه

وقال أبو العباس الأصم رأيت عبد الله بن صالح في المنام وذكرت الشافعي فأشار عبد الله بيده نحو السماء وقال ليس ثم أكبر منه .⁽¹⁾

إن كان منكم فلم تغلبوا وإن كان عليكم فتأهبوه

وقال علي الرازي حج بشر المريسي فلما قدم قيل له من لقيت بمكة قال رأيت رجلا إن كان منكم فلم تغلبوا وإن كان عليكم فتأهبوه وخذوا حذركم وهو محمد بن إدريس الشافعي وقال المريسي مع الشافعي نصف عقل أهل الدنيا وقال ما رأيت أعقل من الشافعي وقال ما رأيت أمهر من الشافعي

وقال رأيت بمكة فتى لئن بقي ليكونن رجل الدنيا.⁽²⁾

1 (الإمام النووي ، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر ، دار النشر دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة النشر 1996 ، 85 / 1

2 (الإمام النووي ، تهذيب الأسماء واللغات، 77 - 78 / 1

الحديث عن فضل اتباع السنة النبوية هو الحديث عن الإسلام بتشريعاته وحكمه البالغة وآدابه إذ السنة هي الدين كله قال تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران: 85-88].

واتباع السنة أخذ بالعصمة من الوقوع في الاختلاف والمبعد عن الدين.

الاختلاف المذموم الذي هو سمة الضعف ولا يسلم المرء منه إلا بطاعة الله وطاعة الرسول قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : 46]. ففي إتباع السنة والأخذ بها طاعة لله ورسوله ﷺ وذلك سبيل النجاة من الاختلاف المذموم.

أخرج الترمذي في سننه في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وأبو داود في كتاب السنة من سننه باب ما جاء في لزوم السنة عن العرياض بن سارية قال "وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك

منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ."

وفي لفظ ابن ماجه قال : فقال رسول الله ﷺ : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم ما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنما المؤمنون كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد. "

هذه الوصية من الرسول ﷺ من جوامع الكلم لا يخرج عنها شيء وهي أصل عظيم من أصول الدين. وذلك أن حياة الناس تحوطها العلاقات؛ فهي إما علاقة للعبد مع ربه. وإما علاقة للعبد مع مجتمعه. وإما علاقة مع نفسه. وبين الحديث أمر العلاقة مع الله في قوله ﷺ : " أوصيكم بتقوى الله. "

وأمر العلاقة مع المجتمع في قوله : " وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرِىْ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. "

كما أن في اتباع السنة ولزومها النجاة من الفرقة التي توعدها أهلها بالنار

هناك الاختلاف وقد لا يصل إلى حد الفرقة لكن قد يصل الاختلاف إلى حد فتكون هناك فرق وجماعات وانتماءات ذمها الرسول ﷺ أخرج ابن ماجه عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ " إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة. "

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر قال ﷺ : " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال : ما أنا عليه وأصحابي. "

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ثنتان وسبعين في النار وواحدة الجماعة " (1)

ففي هذا الحديث بيان أن في لزوم سنته ﷺ السلامة من الفرقة المذمومة التي توعد أهلها بالنار. وفي لزوم السنة تحصيل الهداية والسلامة من الضلال ، فعن

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يرد عليّ الحوض" (2)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال : " يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه " (3)

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ " (4)

وعن أبي أمامه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما ضل قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله ﷺ :

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (5)

والكتاب والسنة قد هُدي من تمسك بهما.

هذه الأحاديث تفيد أن في اتباع السنة النبوية سلامة من الضلال: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض" (1).

¹ (أخرجه الحاكم والدارقطني والبيهقي

² (أخرجه الحاكم والدارقطني والبيهقي

³ (البيهقي في سننه الكبرى ج 10 / ص 114 حديث رقم: 20123

⁴ (الموطأ للإمام مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (480/2)، ح(2618). وينظر ما كتبه عن هذا الحديث في الرسالة المستقلة.

⁵ (الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة قال الترمذي حسن صحيح

إذاً هذا الحديث فيه بشارة لمن اتبع سنة الرسول ﷺ وتمسك بها وأنها ستكون داعية وهادية في عرصات يوم القيامة إلى الحوض المورود حوض النبي ﷺ وهذه ثمرة عظيمة من ثمرات التمسك والاتباع لسنة الرسول ﷺ.

قال ابن تيمية رحمه الله: "كان أئمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفاء فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعتاض عنه بما عند هؤلاء وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة وهو خفاء سنن المرسلين فيهم وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة."

قال مالك رحمه الله: "السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك."

وهذا حق فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين. واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنا وظاهرا والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه.

وهكذا إذا تدبر المؤمن سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفان لأحوالهم مبينان لحقهم ميزان بين حق ذلك وباطله والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين كما قال فيهم عبدالله بن مسعود: من كان منكم مستنفا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".

وأن في السنة دخولاً تحت اسم النبي ﷺ وفي تركها خروج عن اسم الرسول ﷺ.

الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : "من رغب عن سنتي فليس مني" ⁽¹⁾ وله قصة أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني."

وترك سنة الرسول ﷺ هو رغبة عنه، تركها بعد علمها هو رغبة عنه والرغبة عن سنة الرسول ﷺ على درجتين : قد تكون في درجة المعصية وقد تكون في درجة الكفر والعياذ بالله.

إذا تركتها إعراضاً عنها وإنكاراً لها وانتقاصاً لها فأنت انتقصت الدين وانتقاص الدين نوع من الكفر والإعراض عن الدين نوع من أنواع الكفر والعياذ بالله.

أما إذا تركت السنة تهاوناً وكسلاً لا عن اعتقاد القصور فيها واعتقاد النقص فيها، فأنت بحسب هذه السنة التي تركتها إن تركت واجباً فأنت عليك إثم الواجب وإن تركت مستحباً فأنت قد فاتك فضل المستحب وإذا أدمنت وداومت على ترك المستحب فإن أهل العلم في المذاهب الأربعة يسقطون عدالتك ويفسقونك بترك السنة بمعنى الإدمان على تركها. من ذلك ما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أنه سئل عن من يترك صلاة الوتر وصلاة الوتر عنده مستحبة ليست بواجبة فقال: لما سئل عن ترك أو أدمن ترك صلاة الوتر لا يصلي الوتر قال : ذاك رجل فاسق ترد شهادته. وهو يترك سنة

⁽¹⁾ رواه: البخاري، ومسلم، وغيرهما؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ولذلك نحن ننبه الناس نقول : لا تفهموا من قول العلماء إن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها هذا المعنى الذي تصلون به إلى التهاون بالسنة نقول : لا ، العلماء ما أرادوا هذا إنما أرادوا بيان السنة والواجب والمحرم والمكروه، أرادوا ما تصح به العبادة وما تفسد به العبادة، أرادوا بيان أدنى الأحوال التي يصل بها الإنسان إلى حد العدالة عموماً لا على الدوام وهم يفرقون مع قولهم إن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها يفرقون بين من أدام على ترك السنن وبين من كان يتركها أحياناً ولذلك الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الحق قالوا : ما بلغنا حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملنا به ولو مرة واحدة.

لماذا يصفون هذا؟ لماذا يقولون هذا ؟

حتى يعدوا من أصحاب هذه السنة ، يعدوا من أصحاب هذا الحديث لذلك من ثمرات العمل بالسنة وفضل العمل بالسنة أن من يعمل بها يعد من أهلها.

وفي فضل السنة واتباعها الفكاك من سبل الشيطان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً فقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن شماله وعن يمينه ثم خط خطوطاً صغيرة عن شمال هذا الخط وعن يمينه ثم قال رسول الله ﷺ : هذا سبيلي أشار إلى الخط الطويل وقال : هذا سبيلي وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه ثم تلا { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } " (1). فمن اتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع الصراط المستقيم وسلم من سبل الشياطين ، وخط الرسول ﷺ الذي صنعه ومثله بالمثل ليقربه إلى أذهان الناس فخط خطأ وخط على جانبه خطوطاً تصويراً لحقيقة هذه السنة، فالسنة طريق طويل ليست طريقاً قصيراً

¹ (أخرجه أحمد (385/1 ، رقم 3652) ، والبخارى (2359/5 ، رقم 6054) ، والرامهرمزي (108/1 ، رقم 72) .

هذا سبيل الرسول ﷺ إن أردته ألزمه وهو طريق طويل عليك إن تصبر وعليك أن تتابع السبيل ولذلك كان من الوصايا العامة لجميع المؤمنين ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله " وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ " وقال ابن تيمية رحمه الله: "وعامة الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول: كان علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة هو النجاة.

وقال مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ؛ وذلك أن السنة والشرعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله والرسول هو الدليل الهادي الخريت في هذا الصراط كما قال تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } . وقال تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } .

وقال تعالى: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } . وقال عبدالله بن مسعود: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: 153].

وإذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعى أن سبيله هو الصواب وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " .

وفي اتباع السنة تحصل الشرع والدين

وذلك أن الدين معناه أن لا تعبد إلا الله ولا تعبد الله إلا بما
شرع ولا طريق لنا في معرفة الشرع بغير القرآن العظيم
والسنة النبوية، ولهذا كانت العبادات توقيفية ولا غرو قالت
عائشة رضي الله عنها: " كان خلقه القرآن " وسنته صلى
الله عليه وسلم شاملة لكل الدين . فهي المبينة للقرآن العظيم
قال الله تبارك وتعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا
نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } وقال تعالى: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ } [النحل:64]

توضاً رسول الله ﷺ وقال : " هذا وضوئي ووضوء الأنبياء
من قبلي، فمن زاد أو أنقص فقد أساء وظلم. "
وصلى رسول الله ﷺ، وهو الذي قال: "صلوا كما رأيتموني
أصلي!"

وهو الذي قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهو الذي
قال: " أفشوا السلام بينكم وأطعموا الطعام وصلوا بالليل
والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام. "
وقال ابن تيمية رحمه الله : " ولهذا قال الفقهاء العبادات
مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قبل الحجر الأسود وقال: والله إني لأعلم
أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله (يقبلك
لما قبلتك.

والله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته
ومحبته وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما وضمن
لنا بطاعته ومحبه محبة الله وكرامته فقال تعالى { قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم } وقال تعالى
{ وإن تطيعوه تهتدوا } وقال تعالى { ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز
العظيم. }

وأمثال ذلك في القرآن كثير ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا
عما وضحت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب
والسنة وكان عليه سلف الأمة وما علمه قال به وما لم يعلمه

أمسك عنه ولا يقف ما ليس به علم ولا يقول على الله ما لم يعلم فإن الله تبارك وتعالى قد حرم ذلك كله انتهى كلامه رحمه الله. "

فمن ثمرات اتباع السنة أنك باتباعها تحصل الدين جميعه. وإن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول عبده ورسوله تتضمن أمرين:

أن لا نعبد إلا الله وأن لا نعبد إلا بما شرع. إن هذين الأمرين هما اللذان يقوم عليهما الدين. أما نقول ذلك ؟ إذاً الإتياع أن لا نعبد الله إلا بما شرع، وتحقيق هذا الأصل لا يكون إلا باتباع الرسول (وهو معنى الجزء الثاني من الشهادة وأشهد أن محمداً رسول الله فلا طريق لك إلى معرفة عبادة الله إلا عن طريق اتباع رسول الله واتباع الرسول يكون بأخذ سنته ﷺ ولذلك يقول الرسول ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". يعني تتقرب إلى الله بأمر انظر هذا الأمر هل هو من الأمور التي تقرب بها الرسول عليه الصلاة والسلام أم لا . فإذا وجدتها من ذلك فهي مقبولة إن شاء الله إذا توفرت شروط القبول وإذا لم يكن الأمر كذلك فهو مردود عليك ولذلك حكم أهل العلم إن الذين يتقربون إلى الله بأمور محدثة يعني ببدع لا تقبل منهم عبادتهم لماذا ؟ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" إذاً في اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وتقفيها أخذ بالدين كله. والرسول عليه الصلاة والسلام علمنا كيف نتوضأ وكيف نصلي وعلمنا الآداب والأخلاق وكان يعلمنا لما دخل المدينة قال: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" ويعلمنا يقول : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " علمنا الصيام وعلمنا الزكاة وعلمنا أمور الدين . فاتباعك لسنة الرسول أخذ بأمور الدين جميعها.

قال ابن عبد البر : " هذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه ﷺ.

وقد قال العلماء إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]

وروينا عن عائشة ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت: "مكارم الأخلاق صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل والمكافأة وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتدبم للصاحب وقرى الضيف والحياء رأسها."

قالت: "وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أحب"

قلت: وسنة الرسول هي الدين كما تقدم، وهي المبينة لما في القرآن العظيم، وقد كان خلقه ﷺ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وما علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه ولا يقفو ما ليس له به علم ولا يقول على الله ما لم يعلم فإن الله تعالى قد حرم ذلك كله "اهـ".

وفي اتباعك لها رفع لسمة الذل والهوان عن الأمة وذلك لأن السنة هي الدين وترك الدين سبب للذل والهوان. أخرج أحمد في المسند وأبو داود في سننه عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " والعودة إلى السنة عودة إلى الدين.

وفي حديث جبريل الطويل الذي هو أم السنة بعد أن ذكر أركان الإيمان والإسلام والإحسان قال: " هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم! "

الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بأمر سيكون وأخبر بالنتيجة وذلك على سبيل الخلاص قال : " إذا تبايعتم بالعينة

" والعينة نوع من أنواع البيوع تباع فيها السلعة ويبقى عينها عند بائعها ويشتريها البائع ممن اشتراها منه، كأن يذهب إنسان إلى صاحب سيارات وهو محتاج فلوس فيقول لصاحب السيارات: بعني هذه السيارة بالتقسيط بعشرين ألف، فيبيعه بعشرين ألف، وصاحب السيارة عارف أنه ما يريد السيارة يريد الفلوس فيقول له: أنا اشتري منك هذه السيارة نقداً بخمسة عشر ألفاً فيصير في الحقيقة أنه أخذ خمسة عشر ألفاً حاله بعشرين ألف مؤجلة ألم يحصل هذا. هذا هو بيع العينة، سمي عينة لأن عين السلعة المباعة لم تنتقل من حرز مالكها.

والرسول عليه الصلاة والسلام عنون ببيع العينة من باب الإشارة إلى تفشي أنواع البيوع المحرمة لأنه لا يوجد عندنا في المعاملات في البيع والشراء إلا بيع وربما فعنوان البيوع المحرمة الربا ومنه بيع العينة.

قال : "إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر" كانوا في السابق ولا يزال إلى الآن في بعض البلاد المحراث يجره بقر وثور فيأتي المزارع يمشي خلف البقر ويمسك المحراث ويغرز في الأرض حتى يقلبها فالرسول ﷺ عبر عن الركون إلى الدنيا والأرض باتباع أذناب البقر يعني تصيروا أهل زرع وأهل دنيا وأهل مال فتجلسوا في الأرض وتتركوا الجهاد . قال : "إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد" تضمن ثلاثة أمور:

1- إذا تبايعتم بالعينة! قلنا: هذا عنوان البيوع المحرمة الربوية.

2- واتبعتم أذناب البقر! معناه الركون إلى الدنيا.

3- وتركتم الجهاد

ما هي نتيجة هذه الأمور إذا وجدت في مجتمع من المجتمعات: "سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم."

إذاً اتباع السنة عودة إلى الدين والعودة إلى الدين سبب في رفع الذل عنا.

إذاً اتباع السنة سبب في رفع الذل عن أمة المسلمين.
أخذ سنة الرسول ﷺ والسير عليها والتمشي بها والحرص
والتمسك بما جاء عنه ﷺ سبب لرفع الذل عن المسلمين وهذا
ثمرة من ثمرات اتباع السنة أخبرنا بها الرسول ﷺ في هذا
الحديث.

في حديث جبريل الطويل ذكر الإيمان والإسلام والإحسان
وقال: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم"؛ إذاً الذل لا يرفع
إلا بالعودة إلى الدين والدين هو معرفة أركان الإيمان
والإسلام والإحسان أليس كذلك؟!

فمن أراد أن يعود إلى الدين فعليه أن يتعلم أحكام هذه
المذكورات في حديث جبريل. فهل بعد هذا يلام أهل الحديث
أنهم يشتغلون بتعليم الناس أحكام الطهارة وأحكام الصوم
وأحكام الزكاة وأحكام الإيمان والإيمان بالله وبالملائكة والكتب
ويتركوا الكلام في الأشياء التي لا فائدة فيها؟!

يتحدث أهل الحديث في هذه الأمور يعلمون الناس الدين، هل
يقال عنهم بعد ذلك أنتم علماء حيض ونفاس ولستم بعلماء
واقع ولستم بعلماء دعوة؟

العالم الذي يعلم الناس هذه الأمور يعلم الناس الدين يعلمهم
السبيل الذي يخرجون به عن الذل والهوان يعلمهم السبيل
الذي أرشدهم الرسول ﷺ إليه . إذا أرادوا الخلاص والنجاة
في الآخرة!

فمن ترك تعلم هذه الأمور وجعل كلامه كله عن العلمانية وعن
الشيوعية وعن الدول الكبرى وعن كذا، وترك تعليم نفسه ما
يحتاجه من أمر دينه، بله تعليم الناس هذه الأشياء، هل علم
الدين؟ هل تحقق فيه الرجوع إلى الدين، الذي أراده صلى الله
عليه وسلم في قوله: "حتى ترجعوا إلى دينكم" وفي حديث
جبريل ذكر الإيمان وأركانه والإسلام وأركانه والإحسان:

"وقال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم"؟

فهل نتعلم الدين بدون أن نتعلم كيف نصلي؟!

هل نتعلم الدين من غير أن نتعلم الطهارة التي هي مفتاح
الصلاة؟!

هل نتعلم الدين من غير أن نعلم نساءنا وبناتنا وحریمنا أحكام الحيض وأحكام النفاس وهي أمور تمر عليهم دائماً؟
هل نكون تعلمنا الدين بغير ذلك؟

هل نتعلم الدين ونحن لا نعرف نعبد الله على الطريقة التي تقول: إن صلاتي أنا كما صلاها الرسول ﷺ، حجي أنا كما حج الرسول ﷺ، صومي أنا كما صام الرسول ﷺ؟
هل عرفنا الدين؟!!

إذاً من ثمرات اتباع السنة ومن فضل اتباع السنة أن فيها رفع سمة الذل والهوان عن المسلمين.

سر يا أخي على الجادة اتبع سنة الرسول ﷺ أحرص على أن تقيم عبادة الله وتحققها وثق أنك إذا ما مشيت على هذا فصلحت نفسك وأصلحت أهلک وأسرتك وصلاح النفس صلاح الأسرة.

وصلاح الأسرة صلاح المجتمع.

وصلاح المجتمع صلاح المدينة.

وصلاح المدينة صلاح الدولة.

وصلاح الدولة صلاح الأمة.

وصلاح الأمة صلاح الكون جميعه بإذن الله؛ فأحرص وأبدا بنفسك ثم أدناك فأدناك.

وفي اتباع السنة وصف الداء الذي اعترى الأمة الإسلامية ووصف الدواء

أخرج أحمد وأبو داود عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغشاء السيل ولينزع عن الله من صدور عدوكم المهابة لکم و ليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن قال : حب الدنيا وكراهية الموت."

الرسول ﷺ وصف داءنا وحالنا : "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما يتداعى الأكلة على قصعتها."

أما حصل هذا؟! والله حصل تداعت دول الاستعمار على البلاد الإسلامية التي حباها الله سبحانه وتعالى بالخيرات رزقها الله بالخيرات أنهار وزراعة وبتروول وأمور مختلفة تداعوا عليها كما يتداعى الأكلة على قصعتها!

"قالوا: أمن قلة نحن يا رسول الله؟" هل نحن قليل حتى تجيء دول وتتكاثر علينا؟!

"قال: لا بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل". فما السبب في ضعفنا؟

"قال: ولينزعن الله من صدورهم المهابة لكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن قالوا يا رسول الله ما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت."

إذاً في السنة وصف الداء ووصف الدواء تريد تعالج نفسك تريد تمشي في طريقك تريد تحقق الخير لك؛ احرص على اتباع السنة وعالج نفسك من أمر حب الدنيا وكراهية الموت تنظر في السنة تجد فيها حديثاً يقول: "أكثرُوا من زيارة القبور فإنها تذكركم بالآخرة" تنظر في السنة تجد فيها حديثاً يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، تذكرك بالآخرة بالموت كل ما قرأت واطلعت في السنة وطبقتها، يضعف في نفسك حب الدنيا وخوف الموت شيئاً فشيئاً!

تسمع في السنة عن الدنيا: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم."

تقرأ في القرآن العظيم: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام...إلى آخره)

وتستمر في تعلم القرآن والسنة فتتوضح لك الحقائق وتتكشف لك الدنيا!

فتقوم وقد عرفت ما هي الدنيا! عرفت ما هي الأمور التي حولك! فسلمت من الوهن وسلامتك من الوهن خروج لك من حالة الغثائية.

وفي سنته ﷺ تحصيل تمام الأخلاق وجميلها ومكارمها
أخرج أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "إنما بُعثت لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" (1)
قال ابن عبد البر: "هذا حديث مدني صحيح ويدخل في هذا
المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة
والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه ﷺ.

وقد قال العلماء إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق
قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي
الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]

وروينا عن عائشة ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت: "مكارم
الأخلاق صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل
والمكافأة وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتدبم للصاحب وقرى
الضيف والحياء رأسها."

قالت: "وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه
وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في
سيده يقسمها الله لمن أحب".

قلت: وسنة الرسول هي الدين كما تقدم، وهي المبينة لما في
القرآن العظيم، وقد كان خلقه ﷺ القرآن كما قالت أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها.

وفي لزوم السنة النجاة من الفتنة والعذاب الأليم
قال الله تبارك وتعالى { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر
الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم.}

كل من خالف السنة! كل من خالف أمر الرسول! عليه أن
يحذر {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
يصيبهم عذاب أليم} {تصيبهم فتنة فيدخل الكفر في قلوبهم أو
النفاق في قلوبهم أو يدخلوا في البدع فيلحقهم بذلك عذاب
أليم!}

فمن فضل اتباع سنة الرسول أنها تحفظك من الفتنة.
جاء رجل إلى الإمام مالك قال: يا إمام أريد العمرة! قال:
اعتمر! قال: أريد أن أحرم لها من المدينة من المسجد! قال:
يا بني اعتمر رسول الله ﷺ من ذي الحليفة واعتمالك من
المسجد خلاف السنة وإنني أخشى عليك الفتنة إذا أنت فعلت
هذا ثم تلا { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم. }
وفي اتباع السنة ولزومها تحقيق الإيمان وحصول السعادة
في

الدارين والسلامة من النيران
قال تعالى: { ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً
ونحشره يوم القيامة أعمى }، فمن اتبع سنة الرسول صلى
الله عليه وسلم ولزمها فإنه لم يعرض عن الدين ولا عن ذكر
الله بل أقبل فهذا لا يكون حاله كمن أعرض وقد قال تعالى {
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
} وقال تعالى { وإن تطيعوه تهتدوا } وقال تعالى { ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم. }

وبالمقابل جاءت آيات في حال من يعصي الله ورسوله قال
تبارك وتعالى: { ومن يعص الله ورسوله ويتعدى حدوده يدخله
ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين }، بل نفى الإيمان عمن لم
يحقق الاتباع له صلوات الله عليه وسلم □، قال الله تعالى: { فلا وربك لا يؤمنون لك
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً
مما قضيت ويسلموا تسليماً }، وقال تبارك وتعالى: { ما كان
لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
الخير من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً
مبيناً }، وقال تعالى: { ومن يعص الله ورسوله فإن له نار
جهنم خالدين فيها أبداً. }
إذاً اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام تحقيق للإيمان:
{ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم } { وما

كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.}

واعلم أن في اتباعك للسنة وعملك بها إحياء لها وإحيائك لها إظهاراً لها ودعوة للناس إليها، فمن عمل بالسنة، نتيجة عملك بها أجر وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعى إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً. "

وأخرج مسلم أيضاً عن جرير بن عبد الله قال جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فابطنوا عنه حتى روي ذلك في وجهه قال : ثم أن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : " من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة وعمل بها بعده كتب له مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً "

إذاً من عمل بالسنة وأظهرها دعى الناس إليها بمجرد أنه أظهرها. فإذا عمل إنسان بهذه السنة كان لمن أظهرها أولاً أجر من عمل بها إلى يوم القيامة! قد يقول قائل: أن الحبيب محمد ﷺ قال من سن سنة حسنة يعني إنسان يعمل عمل ولو ما جاء في الشرع ولو ما جاء عن الرسول!

أقول لك: لا ،ليس هذا معنى الحديث لأن أهل العلم يقولون إنما يعرف التحسين والتقبيح للأشياء من الشرع فمن أين لك هذا العمل حسن إذا لم يأت من الشرع فمصدرنا أن هذا حسن أو قبيح هو الشرع، يصير معنى الحديث: "من سن سنة

حسنة " أي: من أحيا سنة من الشرع ولذلك الحديث ورد في الصدقة أن رجلاً جاء وقدم صدقة فجاء الناس بعده وتصدقوا. دخل رجل المسجد ولقي فقيراً فخرّج من ماله شيئاً وأعطاه! فلما رأوه الناس بادروا اقتداءً به إلى إعطاء هذا الفقير ومساعدته! كل من عمل إقتداءً به يكون له أجر. فهل الصدقة وإخراجها من السنة التي ثبتت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أم سنة محدثة؟ إنها سنة ثابتة عنه ﷺ. ليس في الحديث أن الإنسان يعمل سنة من عند نفسه، لأن حسن السنن إنما يعرف من الشرع وليكن على ذكر منكم قوله ﷺ " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد. " قال ابن حبان رحمه الله: " إن في لزوم سنته صلى الله عليه وسلم تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفئ سرجها ولا تدحض حججها من لزمها عصم ومن خالفها يذم إذ هي الحصن الحصين والركن الركين الي بان فضله ومتن حبله من تمسك به ساد ومن رام خلافه باد فالمتعلقون به أهل السعادة في الأجل والمغيوطون بين الأنام في العامل " (1).

ومن المواقف :

على الرأس والعينين

ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال : يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا . فقال له السائل : يا أبا عبد الله، أقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وحال وتغير وقال : ويحك، أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل به، نعم على الرأس والعينين.

¹ (محمد عمر بازمول ، فضل اتباع السنة ، ص6 - 28 بتصرف يسير

فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : وسمعت الشافعي يقول : ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي وجعل يردد هذا الكلام.

هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة

وقف الشافعي - رحمه الله - موقفًا حكيماً مسدداً مع أهل الكلام ، فقال - رحمه الله تعالى - : " حكمي في أهل الكلام : أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر ، يُنادى عليهم ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام " (1) . وقال : " مذهبي في أهل الكلام تقتنع رؤوسهم بالسياط ، وتشريدهم في البلاد " (2) .

إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي قلت للشافعي : إن صاحبنا الليث كان يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . فقال الشافعي - رحمه الله - : قصر الليث - رحمه الله - ، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب (3) .

شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه ، وتتكلف علم الخالق ؟

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي - وهو في مصر - فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي : أتدري أين أنت ؟ قال الرجل : نعم . قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه

¹ (انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي 10 / 29 ، والبداية والنهاية 10 / 254 ، وفتاوى ابن تيمية 16 / 473 .

² (انظر : سير أعلام النبلاء 10 / 29 .

³ (شرح العقيدة الطحاوية ص 510 ، وسير أعلام النبلاء 10 / 23 . سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ ، 367-364/1

فرعون ، أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قال : لا . قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟ قال : لا . قال : هل تدري كم نجماً في السماء ؟ قال : لا . قال : فكوكب منها ، تعرف جنسه ، طلوعه ، أوقله ، مم خلق ؟ قال : لا . قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه ، تتكلم في علم خالقه ؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الموضوع فأخطأ فيها ، ففرعها على أربعة أوجه ، فلم يصب في شيء من ذلك ، فقال له : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه ، وتتكلف علم الخالق ؟ إذا " هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله ، وإلى قوله - تعالى - : { وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الآية (القرة : 163 - 164) ، فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك .

فتاب الرجل (1) على يد الشافعي من علم الكلام ، وأقبل على فقه الكتاب والسنة ، وكان يقول بعد التوبة : " أنا خلق من أخلاق الشافعي " (2) .

فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه؟

قال أبو نصر السراج قال لي أبو يزيد: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، فمضينا إليه؛ فلما خرج من بيته، ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه؟

يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك

كان رضي الله عنه يقول : طوبى لمن أحمل الله تعالى ذكره وكان يقول : رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما أفضل

(1) وهذا الرجل الذي تاب من علم الكلام على يد الشافعي ، هو المزني ، الإمام العلامة علم الزهاد ، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني المصري ، تلميذ الشافعي ، ولد سنة 175 هـ ، وله المختصر في الفقه ، وقد شرحه عدة من العلماء ، توفي - رحمه الله - سنة 264 هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي 12 / 492 .

(2) انظر : سير أعلام النبلاء 10 / 25 ، 26 ، 31 ، 32 .

ما تقرب به المتقربون إليك فقال بكلامي يا أحمد، فقلت بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وكان رضي الله عنه إذا جاءه حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره قلت وكذلك كان يحيى بن معين وعبد الله بن داود والله أعلم.

وكان رضي الله عنه يقول : تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر، وكان رضي الله عنه يضرب به المثل في اتباع السنة واجتناب البدعة، وكان لا يدع قيام الليل قط، وله في كل يوم وليلة ختمة وكان يسر ذلك عن الناس وقال أبو عصمة رضي الله عنه بت ليلة عند أحمد رضي الله عنه فجاءني بماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال يا سبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل، وكان يلبس الثياب النقية البيضاء ويتعهد شاربته وشعر رأسه وبدنه، وكان مجلسه خاصاً بالآخرة لا يذكر فيه شيء من أمر الدنيا وكان يأتي العرس والإملاك والختان، ويأكل، وتعتري أمه من الثياب، فجاءته زكاة فردها، وقال : العري لهن خير من أوساخ الناس، وأنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار، وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح، وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخارة عدساً وشحماً، وكان أكثر إدامه الخل، وكان إذا مشى في الطريق لا يمكن أحداً يمشي معه، ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده، وكان يحيى الليل كله من منذ كان غلاماً وكان من أصبر الناس على الوحدة لا يراه أحد إلا في المسجد أو جنازة أو عيادة، وكان يكره المشي في الأسواق، وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة، وحج رضي الله عنه خمس حجات ثلاثاً منها ماشياً وكان ينفق في كل حجة نحو عشرين درهماً ولما قدم للسيات أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له أبو الهيثم العيار فوقف عنده وقال يا أحمد أنا فلان اللص

ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت، وأنا أعرف
أني على الباطل فاحذر أن تتقلق وأنت على الحق من حرارة
السوط، فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص،
وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه ولما دخل أحمد على
المتوكل قال المتوكل لأمه يا أماه قد نارت الدار بهذا الرجل ثم
أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له فبكى وقال : سلمت منهم عمري
كله حتى إذا دنا أجلي بليت بهم وبدنيهم ثم نزعها لما خرج،
وكان رضي الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على
تمر وسويق، وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : حبس
الإمام أحمد رضي الله عنه ثمانية وعشرين شهراً، وكان فيها
يضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس بالسيف
ثم يرمى على الأرض ويداس عليه ولم يزل كذلك إلى أن مات
المعتصم، وتولى بصلى الله عليه وسلم الواثق فاشتد الأمر
على أحمد وقال لا أسكن في بلد ألد فيه فأقام مختفياً لا
يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوصل
فرفع المحنة عن أحمد وأمر بإحضاره وإكرامه وإعرازه
وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وأن القرآن غير
مخلوق وخمدت المعتزلة وكانوا أشد الطوائف المبتدعة.(1)

والكذب للرافضة

- وقال رحمه الله تعالى " : الدين لأهل الحديث، والكلام والحيل
لأهل الرأي، والكذب للرافضة "يعني للشيعة.

إياك وإياهم

قال أبو حمزة الأعور : لما كثرت المقالات بالكوفة أتيت
إبراهيم النخعي فقلت : يا أبا عمران أما ترى ما ظهر بالكوفة
من المقالات؟ !فقال : أوه !لفقوا قولاً واخترعوا ديناً من قبل
أنفسهم، ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، فقالوا :
هذا هو الحق، وما خالفه باطل؛ لقد تركوا دين محمد صلى الله
عليه وسلم؛ إياك وإياهم. (2)

¹ (الشعراني ، الطبقات الكبرى ، 52/1

² (أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 223/4

ولم صاراً أحمقين ؟

وقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال لو جاءني رجل فقال إنني حلفت بالطلاق أن لا أكلم في هذا اليوم من هو أحق وكلم رافضيا أو نصرانيا لقلت له حنثت فقال له ابن الديناري أعزك الله ولم صاراً أحمقين ؟ قال لأنهما خالفا الصادقين.

أما الصادق الأول فعيسى عليه السلام قال للنصارى إنني عبد الله وقال أن اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا . والصادق الثاني الإمام علي رضي الله عنه فإنه قال عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عن أبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما.

الجور في الطريق خير من الجور في الدين.

رأى ابراهيم النخعي:
الجور في الطريق:

وعن سفيان عن واصل الأحذب قال
أمير حلوان يسير في زرع فقال ابراهيم
خير من الجور في الدين⁽¹⁾.

التورع عن الحرام :

أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به موجب لسخط الله في الدنيا والآخرة، تحقق به البركات، وتخرب به عامر الديار، وتتفرق بسببه البيوتات، ورد عنه ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: { إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به } فالله طيب لا يقبل إلا طيباً: { وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ } [النور:26] ⁽²⁾.

¹ (أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، 229/4

² (أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (291/10) قال الهيثمي : فيه من لم أعرفهم . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (310/6 ، رقم 6495) .

ولقد ذكر النبي ﷺ: { الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟! } (1).
وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح سوى رجلين لكنهما وثقا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: { يؤتى يوم القيامة بأناس معهم الحسنات كأمثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثوراً، ثم يقذف بهم في النار، فقيل: يا رسول الله! كيف ذلك؟ قال: كانوا يصلون ويصومون، ويزكون ويحجون، غير أنهم إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، فأحبط الله أعمالهم } وفي صحيح البخاري رحمه الله، من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: { إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة }.

وقيل لـ سفيان رحمه الله: لو دعوت الله؟ فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء.

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بالورع عما حرم الله يقبل الدعاء والتسبيح .

ومن المواقف :

ثمرة الأكل من الحلال

قال الشبلي رحمه الله تعالى : " عزمت أن لا أكل إلا حلالاً وأنا أطوف بالبراري، فرأيت شجرة فمددت يدي إليها فنادتني الشجرة : تأدب يا شبلي مع الله تعالى فإني لرجل يهودي، فتركها وانصرفت " .

فكيف حال من مد يده إلى حرام

وعن الفضيل العسقلاتي رضي الله عنه انه اشتهى سمكاً منذ مدة سنين وعاهد نفسه أنه لا يأكله إلا حلالاً، فمد يده ليأكل منه، وإذا بشوكة قد أصابت يده، فقال : " إذا كان هذا حال من

¹ (رواه مسلم

مد يده إلى حلال، فكيف حال من مد يده إلى حرام " . فحلف أن لا يأكله بقية عمره.

يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى

وحكي أن أويس القرني رضي الله عنه مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً، ثم مشى فرأى ديناراً في الأرض، فرفعه إليه وقال : هم وغم، ثم ألقاه من يده؟ فبينما هو كذلك، إذا بشاة في فمها رغيف ساخن، فقال في نفسه : لعل هذه الشاة أخذته من راعيها، فأنطقها الله تعالى وقالت : " يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى، أتاني به جبريل عليه السلام، وأمرني بدفعه لك "

أطعمنا له فأطعمنا

وكان بعض الصالحين رضي الله عنهم إذا جاء أوان الفواكه ذهب إلى السوق فيشتري منها ويذهب بها إلى الكتاتيب، فمن أشار إليه أطعمه من تلك الفواكه، ويقول للمعلم : " هل عندك فقير أو يتيم؟ فيقول هذا وهذا، فيعطيه من تلك الفواكه، فلما مات الرجل روي في المنام وهو في بستان عظيم كثير الفواكه، وهو يأكل منها ما أحب، فقيل له : ما هذا؟ فقال : أطعمنا له فأطعمنا " .

إذا سألتني ربي، من أين لك هذا؟

وقال أبو بكر رضي الله عنه : دخلت على أبي مسلم في يوم عيد، فرأيت عليه قميصاً مرقعاً، وبين يديه خروف وهو يأكل منه، فقلت : يا أبا مسلم، فقال : لا تنظر إلى الخروف ولكن انظر إذا سألتني ربي، من أين لك هذا؟ فأني جواب أقوله وما اعتذاري.

أنفقوا دنياهم في بطونهم

وعن أبي موسى بن إبراهيم رضي الله عنه، أنه قال : رأيت فتح الموصلي يوم عيد، وقد رأى الناس بالثياب والعمائم، فقال : لثوب يبلى، وجسد يأكله الدود غداً، هؤلاء أنفقوا دنياهم في بطونهم وعلى ظهورهم، ويأتون ربهم مغلسين.

فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً

- وذكر غيره أن عبد الله بن المبارك استعار قلماً من الشام ،
فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية ، وكان قد نسي القلم معه
فتذكره هناك فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً حتى رد القلم
إلى صاحبه وعاد⁽¹⁾ .

أكلت فرسي حراماً

- كان عبد الله بن المبارك في غزوة فنزل عند نهر ونصب
رمحه وربط فرسه وتوضأ وشرع يصلي فلما سلم وجد فرسه
أنها انفلتت وأكلت من الزرع.

فقال : أكلت فرسي حراماً فلا ينبغي لي أن أغزو عليها فتركها
لصاحب الزرع واشترى غيرها وغزا عليها. ⁽²⁾

ليس كل خلاف يُستراح له

- وعندما ناظره أهل الكوفة في النبيذ وجعلوا يستدلون على
حله بأقوال وشرب بعض أهل الكوفة له، قال :
الاختلاف الاحتجاج بالرجال " ، أوكما قال؛ والله در الأول حين
قال:

ليس كل خلاف يُستراح له إلا خلافاً له حظ من النظر .

طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين

اشترى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه تمرا من رجل بمكة
فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظانا أنهما من التمر الذي
اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين يقول
أحدهما للآخر من هذا قال إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان غير
أن طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع
الفجر توجه إلى مكة فوجد أن البائع قد مات فسأل ولده أن
يجعله في حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين
في منامه فقال أحدهما لصاحبه هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل
الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان
بعد ذلك لا يأكل في كل سبعة أيام إلا أكلة من الحلال⁽³⁾.

¹ (كمال الدين الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، 158/1

² (عبد العزيز بن محمد بن سلمان ، إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ، 1/1

³ (الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 295/2

مخافة أن يشتري من الشاة المسروقة

ويقولون أنه الإمام أبو حنيفة رحمه الله- سرقت شاة في زمانه، فأتى قصاباً أو رجلاً راعياً وقال : كم عمر الشاة - أقصى شيء تعيشه الشاة - قال له : خمس سنوات، فامتنع من أكل لحوم الشياه لمدة خمس سنوات مخافة أن يشتري من نفس الشاة المسروقة.

أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟

وروي أن أخت بشر بن الحارث قصدت أحمد بن حنبل فقالت : إنا قوم نغزل الليل ومعاشنا منها، وربما تمر بنا مشاعل بني طاهر ولاية بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوءها الطاقة والطاقتين، أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟ فقال لها : من أنت؟ قالت : أخت بشر، قال لآه يا آل بشر لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم.(1)

من غير بيت بشر

وروي أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل تسأله فقالت إني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على ذلك شيء فقال يجب أن تبيني فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر اين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر . (2)

¹ (ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 50/1

² (الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، 316/1 ، 216/2

البعد عن الغيبة والنميمة :

الغيبة لغة : هي الاسم من الاغتيال وهو مأخوذ من مادة (غ ي ب) التي تدلّ على السّتر، يقول ابن فارس: «الغين والياء والباء» أصل صحيح يدلّ على تسّتر الشيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلّا الله. ويقال: غابت الشّمس تغيب غيبة وغيوبا وغيبا. وغاب الرّجل عن بلده، وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب بعلمها... والغيبة: الواقعة في النّاس من هذا، لأنّها لا تقال إلّا في غيبة، وتغيّب مثل غاب، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال غيّبته، وهو التّواري في المغيب، واغتابه اغتيايا إذا ذكره بما يكره من العيوب، والاسم الغيبة، فإن كان باطلا فهو الغيبة في بهت. واصطلاحا: قال الجرجانيّ: الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه .

وقال المناويّ: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبه ...، قال: ومن أحسن تعاريفها «ذكر العيب بظهر الغيب».

وقال الكفويّ: أن يتكلّم خلف إنسان مستور بكلام هو فيه . وقال التّهانويّ: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابّته.

قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضا في الفعل كالحركة والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشة- رضي الله عنها- أنّها أشارت بيدها إلى امرأة أنّها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلّم: «اغتبتها» والتّصديق بالغيبة غيبة .

قال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشّخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله. وقال الرّاغب: هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك.

وقال ابن الأثير: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه.

وقال ابن التّين: الغيبة ذكر المرء ما يكرهه بظهر الغيب .

أسباب الغيبة وبواعثها:

قال الغزالي- رحمه الله-: للغيبة أسباب وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:

- 1- شفاء المغتاب غيظه بذكر مساوئ من يغتابه.
- 2- مجاملة الأقران والرفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.

3- ظنّ المغتاب في غيره ظنّاً سيّئاً مدعاة إلى الغيبة.

4- أن يبرّئ المغتاب نفسه من شيء وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنّه مشارك له.

5- رفع النفس وتركيتها بتنقيص الغير.

6- حسد من يثني عليه النّاس ويذكرونه بخير.

7- الاستهزاء والسّخرية وتحقير الآخرين .

الفرق بين الغيبة والبهتان والشتّم:

قال الجرجاني: الغيبة ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غيبة.

والبهتان ذكر مساوئ للإنسان، وهي ليست فيه .

والشتّم: ذكر المساوئ في مواجهة المقول فيه. وإلى هذا ذهب كلّ من المناويّ والكفويّ .

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال:

أنّها كبيرة:

الذي دلّت عليه الدّلائل الكثيرة الصّحيحة الظّاهرة

لكنّها تختلف عظما وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد

جعلها من أوتي جوامع الكلم عذيلة غصب المال، وقتل النّفس

بقوله صلّى الله عليه وسلّم «كلّ المسلم على المسلم حرام،

دمه وماله وعرضه»، والغصب والقتل كبيرتان إجماعاً، فكذا

ثلّم العرض (1).

¹ (الزواجر (371).

علاج الغيبة:

إنَّ الغيبة مرض خطير، وداء فتاك، ومعول هدام، وسلوك يفرِّق بين الأحاباب، وبهتان يغطّي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلاّ بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنّه تعرّض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنّه يتعرّض لهجوم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلّطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفق للعلاج.

هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟

قال النووي - رحمه الله -:

اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلاّ بها، وهو ستّة أسباب:

الأوّل: المتظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التّوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقّي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكنّ الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنّه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتعيين جائز.

الرّابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم. وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساويء التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفق بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليفتن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به. الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصم، والأعمى؛ والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه؛ ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة (1).

وقد قال المولى عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم

¹ (انظر رياض الصالحين (450-451)، والزواجر لابن حجر الهيتمي (383-384).

بَعْضاً أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (الحجرات: 12)

وقال عز وجل : " لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (النساء: 148)

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتك. وإن لم يكن فيه فقد بهته (1)(2).

وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين (3).

وعن أبي برزة الأسلمي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته (4).

وعن أبي بكر- رضي الله عنه- قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فيعذب في البول وأما الآخر فيعذب في الغيبة (5).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا: لا يأكل حتى

¹ (بهته: أي قلت فيه البهتان وهو الباطل.

² (مسلم (2589).

³ (ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 515) واللفظ له، وقال: رواه أحمد وابن أبي الدنيا ورواة أحمد ثقات، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (10/ 484): سنده صحيح.

⁴ (أبو داود 4 (4880) واللفظ له وقال الحافظ العراقي في الإحياء (3/ 104): سنده جيد.

⁵ (أحمد في المسند (5/ 35-36)، وابن ماجه (1/ 349) واللفظ له وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/ 485): أخرجه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

يطعم (1) ولا يرحل حتى يرحل له، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اغتبتموه». فقالوا: يا رسول الله إنما حدثنا بما فيه. قال: «حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه» (2) (3). وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا- تعني قصيرة- فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته». قالت: وحكيت له إنسانا، فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا» (4).

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» (5).

وعن أبي الدرداء- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة» (6).

قال عمر- رضي الله عنه-: «عليكم بذكر الله تعالى؛ فإنه شفاء. وإياكم وذكر الناس فإنه داء».

عن عمرو بن العاص- رضي الله عنه- أنه مرّ على بغل ميّت فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم». وعنه أيضا: في قوله- عزّ وجلّ-: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ. قال: لا يطعن بعضكم على بعض.

1 (أي أنه ضعيف إلى درجة احتياجه إلى مساعد يطعمه، وخادم يوكله، وساق يسقيه، ولا يسافر إلا إذا حمله آخر أو ركب على دابة.

2 (أي كافيك بتعداد أوصاف ثابتة فيه، ولكن يكره ذكرها ويجب سترها، ففيه الترهيب عن ذكر أخيك بما يكره مطلقا.

3 (قال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 506): رواه الأصبهاني بإسناد حسن.

4 (أبو داود (4875) واللفظ له، والترمذي (2502- 2503) وقال: حديث صحيح.

5 (أخرجه أحمد في المسند (3/ 224)، وأبو داود (4878) واللفظ له وقال مراجع رياض الصالحين (578): إسناده صحيح.

6 (الترمذي (1931) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وقال مراجع رياض الصالحين (579) حديث حسن.

وقال الحسن- رحمه الله-: «ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك، وكلّ في كتاب الله- عزّ وجلّ- فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك. قال الحسن البصريّ- رحمه الله-: والله للغيبة أسرع في دين الرّجل من الأكلة في الجسد.

وقال أيضا- رحمه الله-: يا بن آدم إنّك لن تصيب حقيقة الإيمان حتّى لا تعيب النّاس بعيب هو فيك، وحتّى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصّة نفسك. وأحبّ العباد إلى الله من كان هكذا.

وروي عن الحسن- رضي الله عنه-: أنّ رجلا قال له: إنّ فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال: «قد بلغني أنّك أهديت إليّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإنّي لا أقدر أن أكافئك على التّمام.

وعن ابن سيرين؛ قال: «إنّه ذكر الغيبة فقال: ألم تر إلى جيفة خضراء منتنة.

عن الشّعبيّ- رحمه الله- أنّ العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله: يا بنيّ، أرى أمير المؤمنين يدنيك، فاحفظ منّي خصالاً ثلاثاً: لا تغتب من له سرّ، ولا يسمعنّ منك كذبا، ولا تغتابنّ عنده أحدا.

وعن مجاهد في قوله تعالى: وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ قال: «الذي يأكل لحوم النّاس، واللّمة: الطّعان.

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله- قال: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخذ معهم وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

وقال بشار بن برد:

خير إخوانك المشارك في المرّ ... وأين الشّريك في المرّ أينّا
الذي إن شهدت سرّك في الحيّ ... وإن غبت كان أذنّا وعينا
مثل سرّ الياقوت إن مسّه نا ... رجلاه البلاء فازداد زينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم ... بدّلوا كلّ ما يزينك شيئا
وإذا مارأوك قالوا جميعا ... أنت من أكرم البرايا علينا

وقال النّوويّ- رحمه الله:- «اعلم أنّه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائّلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كان من أهل الفضل والصّلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر.

وقال الغزاليّ- رحمه الله:- «كان الصّحابة- رضي الله عنهم- يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين.

قال بعضهم: «أدركنا السّلف وهم لا يرون العبادة في الصّوم ولا في الصّلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض النّاس.

من مضار الغيبة

- صاحب الغيبة يعذب في النّار بأكل النّتن القذر.
- ينال عقاب الله في قبره.
- تذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه.
- لا يغفر له حتّى يعفو عنه المغتاب.
- الغيبة معول هدام وشرّ مستطير.
- تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.
- مرض اجتماعيّ يقطع أواصر المحبّة بين المسلمين.
- دليل على خسة المغتاب ودناءة نفسه.

ومن المواقف :

سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!

- وجلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين، فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخى هل غزوت الروم؟ قال: لا. قال: هل غزوت فارس؟ قال: لا. فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!

أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم

- وحدث الحسن بن عيسى بن ماسرحس، قال سمعت عبد الله بن المبارك، وقد قيل له يا أبا عبد الرحمن إنك تكثر القعود في

البيت وحدك، فقال ليس أنا وحدي، أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم -يعني النظر في الكتب⁽¹⁾).

رضا الناس غاية لا تدرك

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال : قال لي الشافعي رضي الله عنه : يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا

وقال بكر بن منير سمعت أبا عبد الله البخاري يقول أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا قلت صدق رحمه الله ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول : منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا . وقل أن يقول فلان كذاب أو كان يضع الحديث حتى إنه قال إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واه وهذا معنى قوله لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا وهذا هو والله غاية الورع.

طالما لفظها الكرام

اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة أمسك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام⁽²⁾.

كلام....بالقرآن !

- قال عبد الله بن المبارك خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت : (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ) [يس : 58] قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الأعراف : 186] فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدان قالت : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [الإسراء :

⁽¹⁾ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 368/4

⁽²⁾ (الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم، 1/465)

[1] فعلت أنها قد قضت حجبها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت : (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) [مريم : 10] فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قال : (هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) [الشعراء : 79] فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت : (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً) [النساء : 43] فقلت لها أن معي طعاماً فهل لك في الأكل قال : (ثُمَّ أَتَمَّوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) [البقرة : 187] فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت : (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [البقرة : 158] فقلت قد أبيع لنا الإفطار في السفر قالت : (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة : 184] فقلت لم لا تكلميني كما أكلتك قالت : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18] فقلت فمن أي الناس أنت قالت : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) [الإسراء : 36] فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت : (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف : 92] فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ) [البقرة : 197] قال فأنخت ناقتي قالت : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) [النور : 30] فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [الشورى : 30] فقلت لها أبصري حتى أعلقها قالت : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) [الأنبياء : 79] فعلقت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [الزخرف : 13، 14] قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح فقالت : (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) [القمان : 19] فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر فقالت : (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) [المزمل : 20] فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [البقرة : 269] فلما مشيت بها قليلاً قلت ألك زوج قالت : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ)

[المائدة : 101] فسكت ولم أكملها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف : 46] فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت : (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل : 16] فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت : (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [النساء : 125] (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [النساء : 164] (يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) [مريم : 12] فناديت يا ابراهيم يبا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت : (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) [الكهف : 19] فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) [الحاقة : 24] فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمانة لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر علي ما يشاء فقلت : (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الحديد: 21] ⁽¹⁾.

أصدق ما يكون الرجل عند الموت

وقال أحمد بن حفص : دخلت على أبي الحسن يعني إسماعيل والد أبي عبد الله البخاري عند موته فقال لا أعلم من مالي درهم من حرام ولا درهم من شبهة قال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك ثم قال أبو عبد الله أصدق ما يكون الرجل عند الموت.

وكان الحسين بن محمد السمرقندي يقول كان محمد بن إسماعيل مخصوصاً بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة كان قليل الكلام وكان لا يطعم فيما عند الناس وكان لا يشتغل بأمور الناس كل شغله كان في العلم.

¹ (ابن حجة الحموي ، ثمرات الأوراق ، 171/1

اذكر القطن إذا وضع على عينيك

وقيل : اغتاب رجل عند معروف ، فقال : اذكر القطن إذا وضع على عينيك .

وكلامك يعرض على الله فلا تحترز

قال: وسمعت حاتماً يقول: إن صاحب خبر يجلس إليك ليكتب كلامك لا حترزت منه، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز.

اغتبت رجلاً في هذا الموضع

- مر داود الطائي رحمه الله تعالى يوماً بموضع فوق مغشياً عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال ذكرت أنني اغتبت رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى . (1)

رمي اللسان لا يخطئ :

وقال سفيان الثوري لأن أرمي عدوي بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ ورمي السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من مباح
...فساق إليه سهم حتف
معجل(2)

صدق الإخوة :

قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (الحجرات : 10)

وَالصِّنْوَ أَشْبَهَ بِالصَّنْوَ مِنْهُ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا ،

أَوِ الثَّمَرَةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهَا ، وَالْأَخْوَانُ صِنْوَانٌ مِثْلُ صِنْوَانِ مِثْلُ صِنْوَانٍ فِي

الأصل والمنشأ ، وفي النبات والنمو ، ويتعاهدان بتربية

واحدة في الغالب ، فأجدر بالأخ أن يأنس بأخيه ، ما لا يأنس

بأمه وأبيه وصاحبه وبنيه ، لما ذكرنا من كمال المناسبة

والمشاكلة التي هي علة الأُنس والحب ، ولأن للوالدين من

الرفعة وحقوق الاحترام والاحتشام ما يقف بالأُنس بهما

دون

1 (الصفوري ، زهرة المجالس ومنتخب النفائس ، 1 / 77 ، 167

2 (الوطواط ، غرر الخصائص الواضحة ، 95/1

كماله ، كما أن القيام على البنين بالتأديب والسيطرة منافٍ
للاسترسال في الأنس بهم والانبساط إليهم في جميع الشؤون
والأطوار ، فكم من كلام وعمل مما يرتاح إليه
يعرض عنهما الإنسان إذا كان على مرأى ومسمع من أصوله
وفروعه ، ويقبل إليه مع إخوانه وصنوانه ، أما صاحبة (
الزوجة) فلا يظهر هذا الوجه بالإضافة إليها ؛ لأن
لا يكاد يساويه أنس ، ولكن الأخ يفوقها في مناسبة الاتفاق
في المنبت والتربية ، فإن لاختلاف التربية أقوى تأثير في
الألفة والمحبة والنفور والوحشة ، وهو العلة في التنازع بين
الأزواج ، واختلال نظام العائلات المؤدي إلى سقوط الأمة
في عواثر الشقاء ومهاوي الهلكات . ومزية أخرى يفضل بها
الأخ الزوج ، وهي :
أن الاستعاضة عنه إذا فقد ليست مما يناله الكسب ، ويتوصل
إليه بسعي أخيه الذي فقده .
يحكى أن امرأة كان لها ابن وأخ وزوج وقعوا في غضب
الحجاج ، فأراد
الإيقاع بهم ، وعهد إلى المرأة أن تختار أحدهم كفيلاً لها ليقتل
من عداه ، فاختارت الأخ قائلة : إن الابن والزوج يمكن
الاعتياض عنهما ، وأما الأخ فلا عوض عنه ، فأعجب الحجاج
بقولها ؛ لأنها غلبت العقل والحكمة على الحنان والشهوة ،
وعفا عن الجميع وقال : لو اختارت غير الأخ لقتلت الكل ولم
أدع لها أحداً .
وبالجملة إن لكل قريب ونسيب مكانة تفضله من وجه على
الآخر ، فللوالدين : التعظيم والاحترام ، وللولد : الرأفة
والحنان وللأخ والزوج (يطلق على الذكر والأنثى كما لا
يخفى) ارتياح المساواة ، وأنس الكفو والنديد ، ولذلك يسمى
الأخ شقيقاً ، كأن الأخوين شيء واحد شق نصفين ، ويسمى
صنواً ، والصنوان هما فسيلتا النخل تخرجان من أصل واحد ،
ويسمى كل من الرجل والمرأة المقترنين زوجاً للآخر
بملاحظة أنهما شيء واحد في المعنى ، ظهر بصورتين ثبَّت
إحداهما الأخرى ، وقد علمت أن مكانة الأخ لا يحلها سواه ،

وأن الميل إليه ميل إلى كفيح ونديد ، ترى له عليك مثل ما لك عليه ، بخلاف سائر الأقربين ، ولهذا سمي الصديق أختاً ، وجاء القرآن يعلم الناس ويرشدهم لأن يكونوا كلهم أصدقاء وإخوة ،

ويجعلوا أباهم في هذه الأخوة الإيمان بالله تعالى بما نزل من الحق فقال : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (الحجرات : 10) ، ورتب على ذلك قوله : { فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } (الحجرات : 10) ، وفي الحصر بـ (إنما) والعطف بالفاء ووضع الظاهر في (أخويكم) موضع الضمير - ما لا يخفى من تأكيد هذه الأخوة وتقريرها ، ثم قال : { وَاتَّقُوا اللَّهَ } (الحجرات : 10) بأن تقوموا بحقوق هذه الأخوة ، وما ترتب عليها من الإصلاح بالمساواة إذ لا وجه لمحاباة أحد والكل إخوة : { لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ } (الحجرات : 10) في الدنيا والآخرة ، وما أجدر من يقوم على هذا الصراط السوي بأن يرحم.

وقال الإمام الغزالي : اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين ، وكما يقتضي النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها قياماً بحق النكاح ، فهكذا عقد الأخوة ؛ فلاخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف ، وذلك يجمعه ثمانية حقوق.

(الحق الأول) : قال رسول الله ﷺ : (مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى) (1) وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل ؛ لأنهما يتعاونان على غرض واحد ، فهكذا الأخوان إنما تتم أخوتهم إذا توافقا في مقصد واحد ، فهما من وجه كالشخص الواحد ، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء ، والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار.

¹ (رواه السلمي في آداب الصحبة ، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس ، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب ، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات .

والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب : (أدناها) أن
تُنزله منزلة

عبدك أو خادمك ، فتقوم بحاجته من فضل مالك ، فإذا سنحت
له حاجة وكانت عندك فضلا عن حاجتك أعطيته ابتداء ، ولم
تُحوجه إلى السؤال ، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

(الثانية) : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في
مالك ، ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته في المال ، قال
الحسن : (كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه) . (الثالثة
(وهي العليا : أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك
، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين . (أقول في
هذا بحث أوردته في كتابي (الحكمة الشرعية) وبينت فيه أن
مرتبة الإيثار على النفس ليست عليا المراتب ،

وسأذكره في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى . (ومن تمام هذه
الرتبة الإيثار بالنفس أيضا ، كما روي أنه سعي بجماعة من
الصوفية إلى بعض الخلفاء ، فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو
الحسين النوري . فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول ،
فقليل له في ذلك فقال : أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه
اللحظة ، فكان ذلك سبب نجا جميعهم - من حكاية طويلة -
فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك ،
فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد في الباطن ، وإنما الجاري
بينكما مخالطة رسمية ، لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال
ميمون بن مهران : (من رضي من الإخوان بترك الأفضال
فليؤاخ أهل القبور.

وأما الدرجة الدنيا فليست مرضية عند ذوي الدين ؛ روي أن
عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه ، فقال : أحتاج
من مالك إلى أربعة آلاف ، فقال : خذ ألفين ، فأعرض عنه ،
وقال : آثرت الدنيا على الله ، أما استحييت أن تدعي الأخوة
الله وتقول هذا.

ومن كان في هذه الدرجة من الأخوة فينبغي أن لا تعامله في
الدنيا ، قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في
أمر دنياك . وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة.

وأما الرتبة العليا : فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها
في قوله { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (الشورى : 38) أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم
رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال : مالي أو
نعلي ؛ لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلي إلى منزل
أخ له وكان غائبًا ، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ
حاجته ، وأخبرت الجارية مولاهما فقال : (إن صدقت فانت
حرة لوجه الله) سرورًا بما فعل . وجاء رجل إلى أبي هريرة
رضي الله عنه وقال : إني أريد أن أواخيك في الله ، فقال :
أتدري ما حق الإخاء ؟ قال :
عرفني ، قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني . قال :
لم أبلغ هذه المنزلة بعد ، قال : فاذهب عني . وقال علي بن
الحسين رضي الله عنهما لرجل : (هل يُدخل أحدكم يده في كُم
أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا ، قال
: فلستم بإخوان .

ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا : يا أبا سعيد ،
أصليت ؟ قال : نعم ، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد ،
قال : ومن يأخذ دينه من أهل السوق ، بلغني أن أحدهم يمنع
أخاه الدرهم . قاله كالمتعجب منه ، وجاء رجل إلى إبراهيم
ابن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال : إني أريد أن
أرافقك ، فقال له إبراهيم : على شرط أن كون أملك لشينك
منك ، قال : لا ، قال : أعجبني صدقك .
قال : فكان إبراهيم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه ، وكان
لا يصحب إلا من يوافقه ، وصحبه رجل شرًا (هو الذي
يعمل الشرُّك للنعال) فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض
المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من
شرُّك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية ، فلما
جاء رفيقه قال : أين الشرُّك ؟ قال : ذلك الثريد الذي أكلته
إيش كان ؟ قال : كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة ، قال :
يُسمح لك . وأعطى مرة حمارًا كان لرفيقه بغير إذنه رجلاً رآه
راجلاً ، فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك . قال ابن عمر

رضي الله عنهما : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : أخي فلان أحوج مني إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر ، حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروي أن مسروقاً أذن ديناً ثقيلاً وكان على أخيه خيثة دين ، قال : فذهب مسروق فقضى دين خيثة وهو لا يعلم ، وذهب خيثة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ، ولما أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف و سعد بن الربيع أثره بالمال والأهل ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فيهما ، فأثره بما أثره به ، وكأنه قبله ، ثم أثره به وذلك مساواة . والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة . وقال أبو سليمان الداراني : (لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها له) . وقال أيضاً : (إني لألقم اللقمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقي .) ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه : لعشرون درهماً أعطيها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين . وقال أيضاً : (لأن أضع صاعاً من طعام وأجمع إخواني في الله أحب إليّ من إعتاق رقبة .) واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ ؛ فإنه دخل غيضة فاجتني منها سواكين : أحدهما معوج ، والآخر مستقيم ، فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال : يا رسول الله ، كنت والله أحق بالمستقيم مني ، فقال : (ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته ، هل أقام فيها حق الله أم أضاعه) . فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة .

وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها ، فأمسك حذيفة ابن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ، ثم جلس حذيفة ليغتسل ، فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس ، فأبى وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا تفعل ، وأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى

اغتسل ، وقال ﷺ : ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه . وروي أن مالك بن دينار و محمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا ، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن ، فجعل يأكل ، فقال له مالك : كُفَّ يدك ، حتى يجيء صاحب البيت ، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل ، وكان محمد أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن وقال : يا مُؤَيِّلِكَ ، هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض ، حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قال الله تعالى : [أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِّقْتُمْ ((النور: 61) كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد ، وكان أخوه يتخرج من الأكل بحكم التقوى ، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

ومن ح قوق الأخوة الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال ، وتقديمها على الحاجات الخاصة . وهذه أيضا لها درجات كما للمواساة بالمال ، فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة . وقال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية : { وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } (الأنعام : 36) وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاءه بهدية فقال : ما هذا ؟ ! قال : لما أسديته إلي . قال : خذ مالك - عافاك الله - إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى ! قال جعفر بن محمد : إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني . هذا في الأعداء، فكيف في الأصدقاء ؟ !

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم

بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ويموّنهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا

عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته .

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول :

هل لكم زيت ، هل لكم ملح ، هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها

من حيث لا يعرفه أخوه ، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة ، فإذا

لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه

فلا خير فيها . قال ميمون بن مهران : (مَنْ لَمْ تَنْتَفِعْ بِصِدَاقَتِهِ

لَمْ تَضُرْكْ عِدَاوَتَهُ) وقال ﷺ : ألا وإن لله أواني في أرضه

وهي القلوب ، فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها

وأرقها (أصفاها من الذنوب ، وأصلبها في الدين ، وأرقها

على الإخوان .

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك وأهم من

حاجتك ، وأن

تكون متفقداً لأوقات الحاجة ، غير غافل عن أحواله كما لا

تغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة

إلى الاستعانة ، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها

ولا ترى لنفسك حقاً بسبب قيامك بها ، تتقصد منه بقبول سعيك

في حقه وقيامك بأمره ، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء

الحاجة ، بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار

والتقديم على الأقارب والولد .

كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا .

وقال عطاء : تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث ؛ فإن كانوا مرضى

فعودوهم ، أو مشاغيل فأعينوهم ، أو كانوا نسوا فذكروهم .

روي أن ابن عمر كان يلتفت يميناً وشمالاً بين يدي رسول الله

ﷺ ؛ فسأله عن ذلك فقال : أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه .

فقال : (إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن

منزله ؛ فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته) وفي

رواية : (وعن اسم جده وعشيرته)

وقيل لابن عباس : مَنْ أحب الناس إليك ؟ قال : جليسي .

وقال : ما

اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً من غير حاجة له إليّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا.

وقال سعيد بن العاص : لجليسي عليّ ثلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له . وقد قال تعالى { رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } (الفتح : 29) إشارة إلى تمام الشفقة والإكرام . ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيق أو بحضور في مسرة دونه ، بل يتنصص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه . اهـ . من (الإحياء)

فهكذا تكون الأخوة ، وهكذا تكون آداب الأمم في طور الحياة ، وكأني بالذين في قلوبهم مرض تنفر نفوسهم من هذه الآثار ، ولو نقل مثلها عن الإفرنج لأعجبوا بها وتنافسوا فيها .

ومن حقوق الأخوة حفظ اللسان بالسكوت مرة ، وبالنطق أخرى ، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته ، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ، وأن لا يماريه ولا يناقشه ، وأن يسكت عن التجسس

والسؤال عن أحواله ، وإذا رآه في طريق أو حاجة ولم يفتاحه بذكر غرضه من مصدره ومورده لا يسأله عنه ، فربما يثقل عليه ذكره ، أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرار

التي بثها إليه ، ولا يبثها إلى غيره ألبتة ، ولا إلى أخص أصدقائه ، ولا يكشف شيئاً منها ، ولو بعد القطيعة

والوحشة ؛ فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ، وأن يسكت

عن القدح في أحبابه وأهله وولده ، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذي سبَّكَ مَنْ بَلَّغَكَ ، وقال أنس : كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحداً بما يكرهه ، والتأذي

يحصل أولاً من المُبَلِّغ ثم من القائل ، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه ، فإن السرور يحصل من المُبَلِّغ ثم من القائل ، وإخفاء ذلك من الحسد .

وبالجملة : فليسكت عن كل كلام يكرهه - جملة وتفصيلاً - إلا

إذا وجب عليه النطق بأمر بمعروف أو نهى عن منكر ، ولم

يجد رخصة في السكوت ، فإذا ذاك لا يبالي بكراهته ، فإن ذلك

إحسان إليه في التحقيق ، وإن كان يظن أنه إساءة في الظاهر

، وأما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من الغيبة المحرمة ، ويزجرك عنه أمران (أحدهما) أن تطالع أحوال نفسك ، فإن وجدت فيها شيئاً مذموماً فهو على نفسك ما تراه من أخيك ، وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة ، كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ، ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة ، فأبي الرجال المهدب ، وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله ، فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك ، فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك ، و (الأمر الثاني) إنك تعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ، ولن تجد من تصاحبه أصلاً ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوٍ ، فإذا غلبت المحاسن على المساوي فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم ، فإنه أبداً يلاحظ المساوي والعيوب ، قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات ، وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيراً ستره ، وإن رأى شراً أظهره ، وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ، ويمكن تقبيحه أيضاً ، روي أن رجلاً أتى على رجل عند رسول الله ﷺ ، فلما كان من الغد ذمّه ، فقال عليه السلام : أنت بالأمس تتني عليه واليوم تذمه ؟ فقال : والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم ، أَرْضَانِي بِالْأَمْسِ فَقُلْتَ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتَ فِيهِ ، وَأَغْضَبَنِي الْيَوْمَ فَقُلْتَ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتَ فِيهِ ، فقال عليه السلام : إن من البيان لسحراً⁽¹⁾

¹ (الحديث عند أحمد والبخاري وأبي داود والترمذي ، وسببه أنه لما جاء وفد تميم كان فيهم الزبرقان وعمر بن الأهتم ، فخطبا ببلاغة وفصاحة ، ثم قال الزبرقان : يا رسول الله ، أنا سيد بني تميم ، والمطاع فيهم ، والمجيب لديهم ، أمنعهم من الظلم ، وأخذ بحقوقهم ، وهذا يعلم ذلك ، فقال عمرو : إنه شديد المعارضة ، مانع لجانبه ، مطاع في أذنيه ، فقال الزبرقان : والله لقد علم مني أكثر مما قال ، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد ، فقال عمرو : أنا أحسدك ؟ فوالله إنه للئيم الحال ، حديث المال ، ضعيف الطعن ، أحرق الولد ، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً ، وما كذبت فيما قلت أخراً ، ولكني رجل إن أرضيت قلت أحسن ما علمت ، وإن أغضبت قلت أقبح ما وجدت ، ولقد صدقت في الأولى والأخرى ، فقال ﷺ : إن من البيان لسحراً .

وكانه كره ذلك ، فشبهه بالسحر ، ولذلك قال في خبر آخر :
البذاء والبيان

شعبتان من النفاق ، وفي حيث آخر : (إن الله يكره لكم البيان
كل البيان) ⁽¹⁾ ، ولذلك قال الشافعي - رحمه الله - : ما أجد
من المسلمين مَن يطيع الله عز وجل فلا
يعصي الله عز وجل فلا يطيعه ، فمن كان طاعاته أغلب من
معاصيه فهو عدل ، وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله ، فلئن
تراه عدلاً في حق نفسك ، ومقتضى أخوتك أولى ، وكما يجب
عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك
، وذلك بترك إساءة الظن ، فسوء الظن غيبة بالقلب ، وهو
منهي عنه أيضاً ، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما
أمكن أن تحمله على وجه حسن ، فأما ما انكشف بيقين
ومشاهدة ، فلا يمكنك أن لا تعلمه ، وعليك أن تحمل ما تشاهد
على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى
تفرساً ، وهو الذي يستند إلى علامة ، فإن ذلك يحرك الظن
تحريكاً ضرورياً لا يقدر على دفعه ، وإلى ما منشؤه سوء
اعتقادك فيه ، حتى إذا صدر منه فعل له وجهان فيحملك
الاعتقاد فيه أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه
بها ، وذلك جناية عليه بالباطن ، وذلك حرام في حق كل
مؤمن ، إذ قال ﷺ : إن الله حرم على المؤمن من المؤمن دمه
وماله وعرضه ، وأن يظن به ظن السوء (هو في مسلم بلفظ
آخر) وقال ﷺ : إياكم والظن فإن الظن
حديث النفس . وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ،
وقال ﷺ في تنمة الحديث الذي ذكر آنفاً : ولا تجسسوا ولا تحسسوا
ولا تتاجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا
عباد الله إخواناً ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى
ينكح أو يترك . رواه مالك وأحمد والشيخان
والتجسس يكون في تطلع الأخبار ، وتعرف الأسرار ،
والترمذي ،

¹ (هذا الحديث رواه ابن السني وهو ضعيف ، والذي قبله رواه الترمذي وحسنه ، والمراد بالبيان المذموم : بيان الخلافة الذي يُري الحق باطلاً والباطل حقاً ، فينخدع به الناس .

بالواسطة ، والتحسس يكون بالمراقبة بالعين ، واستراق
السمع بالنفس لا بالواسطة ، والتناجش هو أن تستام السلعة
بأكثر من ثمنها ليراك الآخر فيقع فيها ، فستر العيوب
والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين ، وقد وصف الله
تعالى بالستر والتجاوز والمرضى عنده التخلق بأخلاقه ، فإذا
كنت تحب أن يرضى فيتجاوز عنك فتجاوز أنت عمن هو مثلك
أو فوقك ، وما هو بكل حال عبدك ولا مملوكك . وقد روي أن
عيسى عليه السلام ، قال للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم
أخاكم نائماً ، وقد كشفت الريح ثوبه عنه ، قالوا : نستره
ونغطيه ، قال : بل تكشفون عورته ، قالوا : سبحان الله ! من
يفعل هذا ؟ فقال : أحكم يسمع الكلمة في أخيه فيزيد عليها ،
ويشيعها بأعظم منها .

واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه
، كما ورد في الصحيحين وغيرهما ، وأقل درجات الأخوة أن
يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر
العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر منه
نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه ، فما أبعد عن
الإنصاف إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ، ولا يعزم عليه
لأجله ، وويل له بنص كتاب الله تعالى حيث قال : { وَيَلْ
لِ الْمُطْفِفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا
كَالَوْهُمْ أَوْزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ } (المطففين : 1-3) وكل من
يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه ، فهو داخل
تحت مقتضى هذه الآية ، ومنشأ التقصير في ستر العورة
أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن ، وهو الحقد
والحسد ؛ فإن الحقود الحسود يملأ بطنه بالخبيث ، ولكن
يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبيده مهما لم يجد له
مجالاً ، وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ، ويترشح
الباطن بخبيثه الدفين ، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد
فالانقطاع أولى ، قال بعض الحكماء : ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ
مَكْنُونِ الْحَقْدِ ، ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ، ومن في

قلبه سخيمة على أخيه فأيمانه ضعيف ، وأمره مخطر ، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالى) اهـ
ومن حق الأخ على أخيه وصديقه في اللسان أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه إياه ، وله أن ينكره وإن كان كاذباً ، فليس الصدق واجباً في كل مقام ، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب ، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه (1) فإن أخاه نازل منزلته ، وهما شخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن ، هذه حقيقة الأخوة ، وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرئياً وخارجاً عن أعمال السر إلى أعمال العلانية ، فإن معرفة أخيه لعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق ، وقد قال عليه السلام : من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة (2) وفي خبر آخر : فكأنما أحيا موعودة . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ، وقال عليه السلام : إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة (3) . وقال : المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس يسفك فيه دم حرام ، ومجلس يستحل فيه فرج حرام ، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله (4) وقال ﷺ : المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على الآخر ما يكره (هو مرفوعاً ضعيف ، مرسل جيد) وقيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر ؟ قال : أنا قبره ، وقد قيل : (صدور الأحرار قبور الأسرار) ، وقيل : إن قلب الأحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه ، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبيديه من حيث لا يدري ، فمن هنا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم ، بل عن مشاهدتهم . وقد قيل

¹ (الكذب مفسدة من أضر المفاصد ، والقاعدة الشرعية العقلية هي : (ارتكاب أخف الضررين عند تعارضهما) ومهما وجد إلى كتمان السر سبيلاً لا كذب فيه ، وجب عليه سلوكه وحرم عليه الكذب .

² (الحديث في الصحيحين بلفظ (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) ورواه غيرهما بألفاظ أخرى .

³ (3) أي التفاته بمنزلة استكثامه قولاً ، والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، واختلف في تصحيحه .

⁴ (رواه أبو داود وسكت عليه ؛ فدل ذلك على حسنه عنده ، وقال غيره : في سنده مجهول ومتكلم فيه .

لآخر : كيف تحفظ السر ؟ قال : أجدد المخبر وأحلف للمستخبر ، وقال آخر : أستره ، وأستر أني أستره ، وعبر عنه ابن المعتز فقال :

ومستودعي سرًا تبوات كتمه ... فأودعته صدري فكان له قبرًا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في قلبي كثاؤي بقبره ... فإني أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتى كأني ... بما كان منه لم أخط ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه ... عن السر والأحشاء لم أعلم السرا

وأفشى بعضهم سرًا له إلى أخيه ثم قال له : حفظت ؟ فقال :

بل نسيت ، وكان أبو سعيد الثوري يقول : إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه ، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيرًا أو كتم سرك فاصحبه ، وقيل لأبي يزيد :

أصحب من الناس ؟ قال : من يعلم منك كما يعلم الله ، ثم يستر عليك كما يستر الله . وقال ذو النون : لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصومًا ، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم ؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها ،

وقال بعض الحكماء : لا تصحب من يتغير عليك عند أربع :

عند غضبه ورضاه ، وعند طمعه وهواه ، بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتًا على اختلاف هذه الأحوال ، ولذلك قيل : وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله : إني أرى هذا الرجل (يعني عمر

(يقدمك على الأشياخ ، فاحفظ عني خمسًا : لا تفشين له سرًا

، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا يجربن عليك كذبًا ، ولا تعصين

له أمرًا ، ولا يطلعن منك على خيانة ، فقال الشعبي : كل كلمة

من هذه الخمس خير من ألف.

ومن ذلك السكوت عن الممارسة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك ، قال ابن عباس : لا تُمارِ سفيهاً فيؤذيك ، ولا حليماً فيقتليك ، وقال ﷺ : (من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة) (حسنه الترمذي) هذا مع أن تركه مبطلاً واجب ، وقد جعل ثواب النفل أعظم ؛ لأن السكوت على الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل ، وإنما الأجر على قدر النصب ، وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الممارسة والمناقشة ؛ فإنها عين التدابر والتقاطع ، فإن التناطح يقع أولاً بالأراء ، ثم بالأقوال ، ثم بالأبدان ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يحرمه ، ولا يخذله ، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ⁽¹⁾ . وأشد الاحتقار الممارسة ، فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحمق ، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه ، وكل ذلك استحقاق وإيغار للصدر وإيحاش ، وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى ، فغضب وقال : ذروا المراء لقلّة خيرها ، وذروا المراء فإن نفعه قليل ، وإنه يهيج العداوة بين الإخوان ⁽²⁾ . وقال بعض السلف : مَنْ لاحى (خاصم) الإخوان وماراهم ، قلّت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن : إياك وممارسة الرجال ، فإنك لن تعدم مكر حليم ، أو مفاجأة لنيم ، وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم ، وكثرة الممارسة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة ، وقد قال الحسن : لا تشترِ عداوة رجل بمودة ألف رجل.

⁽¹⁾ تقدم بعض هذا الحديث في نبذة الجزء الماضي بلفظ آخر ، وكل رواياته في الصحاح.
⁽²⁾ رواه الطبراني و الديلمي وإسناده ضعيف.

وعلى الجملة : فلا باعث على الممارسة إلا إظهار التمييز
بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله ،
وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار ، والإيذاء والشتم بالحق
والجهل ⁽¹⁾ ولا معنى للمعادة إلا هذا ، فكيف تضامه الأخوة
والمصافاة ، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لا تمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعداً
فتخلفه (رواه الترمذي بسند ضعيف) وقال عليه السلام إنكم
لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن ليسعهم منكم بسطٌ وجه
وحسن خلق (حسنه أبو يعلى ، وصححه الحاكم ، وضعفه
ابن عدي) وقد انتهى السلف في الحذر من الممارسة ،
والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أيضاً ، وقالوا
: إذا قلت لأخيك : قم ، فقال : إلى أين ؟ فلا تصحبه ، وقالوا :
بل ينبغي أن
يقوم ولا يسأل ، وقال أبو سليمان الداراني : كان لي أخ
بالعراق فكنت أجيئه في النوائب ، فأقول : أعطني من مالك ،
فكان يلقي إليّ كيسه فأخذ منه ما أريد ، فجئته ذات يوم ،
فقلت : أحتاج إلى شيء ، فقال : كم تريد ؟ فخرجت حلاوة
إخائه من قلبي ، وقال آخر : إذا طلبت من أخيك مالاً ، فقال :
ماذا تصنع به ؟ فقد ترك حق الإخاء ، واعلم أن قوام الأخوة
بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة ، قال أبو عثمان الحيري :
موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم ، وهو كما قال . اهـ
بتصرف .

¹ (وهذا هو الفرق بين الممارسة وبين المذاكرة بالحسنى ومراجعة القول لإظهار الحقيقة
والاعتقاد بالإنصاف ، وكل هذا من الفضائل التي لا يعرف قيمتها ويقدرها قدرها إلا الفضلاء ،
وقد قلت في أحد أخواني أوحدهم من قصيدة طويلة :
يرنو بعين الانتقاد إن رأى ... صفاً وإلا فبعيني الرضى
متى رأى فضلاً أذاع وروى ... وإن رأى ميلاً ... أجنّ وطوى
إن الذي يرضيه كل خلق ... منك خليك أن يعد في العدا
والخل من ينتقد الخلال كي ... يثني على الحسنى وينكر الفغا
بل هو مرآة يريك نورها ... منكساً عنك الذي لست ترى .

وقد قالت العرب:

أخوك من صدقك لا من صدقك.

من اتخذ إخواناً كانوا له أعداء.

عمرو بن العاص رضي الله عنه : من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

المغيرة: التارك للإخوان متروك.

أسماء بن خارجة: إذا قدم الإخاء سمح الثناء.

مسلم بن قتيبة: إن في لقاء الإخوان غنماً وإن قلّ.

ابن المقفع: إكرامك صديق صدقك أوقع لديه من إكرامك إياه.

العتبي: لقاء الإخوان نزهة القلوب.

خالد بن صفوان : إنما نفقت على الإخوان، لأنني لم أستعمل

معهم النفاق، ولا قصرت بهم عن الارتحاق.

الكندي: الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك.

عمرو بن مسعدة: العبودية عبودية الإخاء، لا عبودية الرق.

اسماعيل بن صبيح: الود أعطف من الرحم.

سعيد بن العاص : إن الكريم ليرعى من المعرفة ما يرعى

الواصل من القرابة.

شبيب بن شعيب : عليك بالاخوان فانهم في الرخاء زينة وفي

البلاء عدة.

ابراهيم بن العباس : مثل الاخوان كالنار قليلها متاع، وكثيرها

بوار.

سليمان بن وهب النفس بالصدیق انس منها بالعشيق، وغزل

المودة ارق من غزل الصباية.

الحسن بن وهب : من حقوق المودة أخذ عفو الإخوان،

والاغضاء عن التقصير ان كان، وذكر محمد بن عبد الملك

الزيات رجلاً فقال: ويحسبك أنه خلق كما يشتهي إخوانه.

غيره : المودة قرابة مستفادة . خير الأشياء جديدها، وخير

الاخوان قديمهم، ما تواصل اثنان فطال تواصلهما الا

لفضائلهما أو لفضل أحدهما.

أسرع الأشياء انقطاعاً مودة الاسرار.

المحروم من حرم صالح الإخوان.

لقاء الاخوان مسلاة للهموم.
لقاء الخليل شفاء الغليل. قلة الزيادة أمان من الملالة.
عليك باقلال الزيادة انها ... إذا كثرت كانت الى الهجر مسلكاً.
فاني رأيت القطر يسأم دائماً ... ويسأل بالأيدي إذا هو
أمسكاً.
آخر:

ان اخاك الصديق من لم يخدعك ... وإن رأك طالباً سعى معك
ومن إذا ريب الزمان صدّك ... شتت فيك شمله ليجمعك
ابن المعتز : إنما سمي الصديق صديقاً لصدقه لك؛ والعدو عدواً
لعدوانه عليك، لو ظفر بك . إخوان السوء كشجرة النار يحرق
بعضها بعضاً . علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر
الجواب، ولا يبتدىء بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق قد
أصلحك اليقين له . إذا كثرت ذنوب الصديق تحقق السرور به،
وتسلطت التهم عليه . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة، والثقة
قبل الأنس، أثمرت مودته ندماً . غيره : إذا قدمت الحرمة
تشبهت بالقراية . خير الإخوان من نسي ذنبك فلم يقرعك به،
ومعروفه عندك فلم يمنّ به عليك.

ومن المواقف :

محاسن كرم الصحبة

قال ابن طاهر: حدثوني عن عبد الله بن مالك قال: كنت أتولى
الشرطة للمهدي وكان يبعث إليّ في ندماء الهادي ومغنيه أني
أضربهم وأحبسهم صيانة له عنهم، فبعث الهادي يسألني
الرفق بهم والترفيه عنهم، فلا ألتفت إلى ذلك وأمضي إلى ما
يأمر به المهدي، فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث
إليّ يوماً فدخلت عليه متكفناً متحنطاً، فإذا هو على كرسي
والنطع والسيف بين يديه، فسلمت فقال: لا سلم الله عليك!
تذكر يوم بعثت إليك في أمر الحراني لما أمر أمير المؤمنين،
رضي الله عنه، بضربه فلم تجبني في فلان وفي فلان، وجعل
يعدّ ندماءه، ولم يلتفت إلى قولي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين،

أفتأذن لي في استيفاء الحجة؟ قال: نعم، قلت: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك أن وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث إليّ بعض بنيك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك؟ قال: لا، قلت: فكذلك أنا لك وكذا لأبيك وأخيك. فاستدنانني فقبلت يده وأمر بخلع فصبت عليّ وقال: قد وليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً. فخرجت من عنده وصرت إلى منزلي مفكراً في أمره وأمري وقلت حدث والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماءه ووزراؤه وكتّابه فكأنني بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه عن رأيه فيّ وحملوه في أمري ما كنت أتخوّفه، قال: فإني لجالس وبين يديّ بنيّة لي والكانون بين يدي ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت بي وزلزلت لوقع حوافر الدواب وكثرة الضوضاء فقلت: هاه كان والله ما ظننت! فإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وإذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم، فلما رأيتهم وثبت عن مجلسي مبادراً وقبلت يده ورجله وحافر حماره، فقال: يا أبا عبد الله إني فكرت في أمرك فقلت يسبق إلى قلبك أني إذا شربت وجاءني أعداؤك أزالوا ما حسن من رأيي فيك فأقلقك وأوحشك فصرت إلى منزلك لأؤنسك وأعلمك أن السخيمة قد زالت عن قلبي فهات اطعمني ما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل لتعلم أني قد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك. فأدنيته إليه ذلك الرقاق والسكّرجة التي فيها الكامخ فأكل منها ثم قال: هاتوا الزلة التي زللتها لأبي عبد الله من مجلسي، فأدخل إليّ أربعمائة بغل موقرة دراهم، فقال: هذه زلتك فاستعن بها على أمرك واحفظ هذه البغال عندك فلعليّ أحتاج إليها لبعض أسفاري، وانصرف راجعاً. فأخبرني موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره فبنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى القيام عليها مدة حياة الهادي.

أَغْنِي أَغَاثُكَ اللَّهُ!

وحدّث من حضر مجلس المأمون وقد أمر بإحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد، فلما حضر قال: يا عباس خذ هذا إليك واستوثق منه ولا يفوتتك وبكر به واحذر كل الحذر. قال العباس: فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يحب أن يكون معي إلا في بيتي، ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو، فقال: من دمشق، فقال: جزى الله دمشق وأهلها خيراً، فمن أنت من أهلها؟ قال: لا تزيد أن تسألني، فقلت له: أتعرف فلاناً؟ فقال: ومن أين عرفت ذلك الرجل؟ فقلت: كانت لي قصة معه، فقال: ما أنا بمعرفك خبره أو تعرفني قصتك، فقلت: ويحك! كنت مع بعض الولاة بها فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يدلّي في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب، فإني لفي بعض الطريق إذا جماعة يعدون خلفي، فما زلت أحاضرهم حتى مررت على هذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت: أغني أغاثك الله! فقال: لا بأس عليك ادخل الدار، فدخلت، فقالت لي امرأته: ادخل الحجلة، فدخلتها، وأتت الرجال خلفي فما شعرت إلا به وهم معه يقولون: هو والله عندك! فقال: دونكم الدار، ففتشوها حتى لم يبق إلا البيت الذي كنت فيه، فقالوا: هاهنا، فصاحت المرأة وانتهرتهم، فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحجلة خائفاً، فقالت المرأة: اجلس لا بأس عليك، فجلست، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال: لا تخف فقد صرت إلى الأمن والدعة إن شاء الله تعالى، فقلت له: جزاك الله عني خيراً! ثم ما زال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجملها ولا يفتر من القصف والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر إلى أن سكنت الفتنة وهدأت، فقلت له: أتأذن لي في الخروج لأتعرف خبر غلماني ومنزلي فلعلي أن أقف لهم على أثر أو خبر، فأخذ عليّ الموائيق بالرجوع إليه، فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثراً فرجعت إليه وأعلمته

الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا مخاطبتي
بغير الكنية، ثم قال لي: ما تعزم؟ فقلت: قد عزمتم على
الشخص إلى بغداد فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد
تفضلت عليّ هذه المدة فأسألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي
وما ألبسه، فقال: بصنع الله عز وجل، ثم قال لغلام له أسود:
انعل الفرس الفلاني، وتقدم إلى من في منزله بإعداد السفر،
فقلت في نفسي: ما أشك إلا أنه يخرج إلى ضيعة له أو ناحية
من النواحي، فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكد، فلما كان يوم
خروج القافلة جاءني في السحر وقال: يا أبا فلان قم فإن
القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها، فقلت في نفسي:
ما أعطاني شيئاً مما سألته، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان
إليّ خفاتين مقطوعة جدداً ورائات وآلة السفر ثم جاءني
بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدّم البغل فحمل عليه
الصناديق وفوقها مفرشان ودفع إليّ نسخة بما في الصناديق
وفيها خمسة آلاف درهم وقدّم إليّ الفرس الذي كان أنعله
بسرجه ولجامه وقال لي: اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك
ويسوس دوابك، وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما
في أمري، وركب معي فشيّعني، وانصرفت إلى بغداد وأنا على
مكافأته ومجازاته فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل
بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان إلى مكان. فلما سمع
الرجل الحديث قال: قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا
مؤونة عليك، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أنا والله ذلك الرجل! ثم
قال لي: ما أثبتك! فتعرّف إليّ وأقبل يذكرني بأشياء يتعرف
بها إليّ حتى أثبتته وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبلت
رأسه وقلت له: ما الذي أشارك إلى هذا؟ فقال: هاجت فتنة
بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إليّ وبعث أمير
المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وحملت إليه وأمرني عنده
غليظ جداً وهو قاتلي لا محالة، وقد خرجت من عند أهلي بلا
وصية وقد تبغني من عبيدي من ينصرف إلى منزلي بخبري
وهو نازل عند فلان، فإن رأيت أن تنعم وتبعث إليه حتى
يحضر فأتقدم إليه بما أريد، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد

المكافأة لي. قال فقال العباس: بصنع الله، ثم قال: علي
بحدادين، فأتوا بهم، فحل قيوده وما كان عليه من أنواع
الأنكال، ودعا بالحجام فأحضر وأخذ من شعره ثم قال: علي
بمولاه، فأنفذ في طلبه من يحضره. قال الرجل: فلما أن أخذ
شعري أدخلني الحمام فطرح علي من ثيابه ما اكتفيت به ثم
حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: علي بفرسي الفلاني
والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عد عشرًا، ثم قال: علي
من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر
لي ببدره فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار
وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت
له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير
المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل، فقال: انج
بنفسك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو
أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت،
فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في
موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسيبيل المحبة وإن
قتلت كنت قد وقيت به بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن
تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من
بغداد. أدخلني الحمام فطرح علي من ثيابه ما اكتفيت به ثم
حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: علي بفرسي الفلاني
والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عد عشرًا، ثم قال: علي
من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر
لي ببدره فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار
وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت
له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير
المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل، فقال: انج
بنفسك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو
أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت،
فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في
موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسيبيل المحبة وإن
قتلت كنت قد وقيت به بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن

تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد.

قال الرجل: فأخذني صاحب الشرطة فصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه واغتسل وتحنّط وتكفن. قال العباس: فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رسل المأمون في السحر وقالوا: أمير المؤمنين يقول هات الرجل، فسكت وأتيت الدار وإذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه، فقال: الرجل! فسكت، فقال: ويحك الرجل! فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مني، فقال: أعطي الله عهداً لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك! فقلت: لا والله ما هرب، فاسمع مني حديثي وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا، قال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا، وقصصت عليه القصة وعرفته أنني كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الأنبار وقلت: أنا من سيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما تصفح عني وإما تقتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه. فلما سمع المأمون الحديث قال: ويحك! لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا! لم لا عرفتني خبره فكنت أكافيه عنك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه والله هاهنا قد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتيج إلى حضوره حضر، قال: وهذه والله منه أعظم من الأولى، فاذهب إليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتعبر به إليّ حتى أتولى مكافأته عنك. فصرت إليه وقلت: ليسكن روعك إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيره، ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ثم جننا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه وأنسه وحدثه حتى حضر الغداء، ثم قال: الطعام، فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستغفاه، ثم قال المأمون: علي بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بجميع آلتها وبعشر بدر وبعشر تخوت وعشرة ممالك بذواتهم وجميع آلتهم،

فدفع ذلك إليه، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه وأوغر خراجَه وكتب إلى صاحب البريد أن تنفذ كتبه وصرفه إلى بلده. قال العباس: فكان إذا ورد له كتاب في خريطة يقول لي المأمون: يا عباس هذا كتاب صديقك.

فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟

وحدث رجل عن جعفر العطار قال: بينما يحيى بن أكثم يمشي المأمون في بستان موسى والشمس عن يمينه والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدثان إذ رأى المأمون أن يرجع في الطريق الذي جاء منه، فلما انتهى إلى الموضع الذي قصده قال يحيى: إنك جئت وعن يسارك الشمس وقد أخذت منك فكن أنت الآن في منصرفك حيث كنت وأكون أنا حيث كنت أنت، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أقيك بنفسي من هول المطلع لفعلت فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟ فقال: والله لا بدّ من أن آخذ منها كما أخذت منك وتأخذ من الظل كما أخذت منه! فصار المأمون في موضعه وصار يحيى في موضع المأمون وتماشيا وأخذ بيده فوضعها على عاتقه حتى صار إلى المجلس.

وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة

وحدث رجل من آل اسوار بن ميمون عن عمه عبد الله بن اسوار قال: دخلت على يحيى بن خالد البرمكي يوماً فقال: اجلس، وكنت أحد كتّابه فقلت: ليست معي دواة، فقال: ويحك! في الأرض صاحب صناعة تفارقه آتته؟ وأغلظ لي في حرف علمت أنه أراد به خطي وأراني بعض التثاقل في الكتاب ظهر لي به أنه أراد خطي على الأدب لا غير، ثم دعا بدواة فكتبت بين يديه كتاباً منه إلى الفضل ابنه، ورأى مني بعض الضجر في ما كتبت فتوهم أن ذلك من أجل الكلمة التي كلمني بها، فأراد أن يمحو عن قلبي ما توهمه عليّ فقال: عليك دين؟ قلت: نعم، قال: من دينك؟ قلت: ثلاثمائة ألف درهم، فوقع بخطه إلى الفضل في الكتاب:

وكلّكم قد نال شبعاً لبطنه ... وشبع الفتى لوّم إذا جاع صاحبه

ثم قال: إن عبد الله ذكر أن عليه ديناً يخرج منه ثلاثمائة ألف درهم فإذا نظرت في كتابي هذا وقبل أن تضعه من يدك فأقسمت عليك لما حملت ذلك إلى منزله من أخص مال قبلك. قال: فحملها الفضل إلي وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة.

فما حالي من بين ولدك؟

وحدث إبراهيم بن ميمون قال: حدثني جبريل بن بختيشوع قال: اشتريت ضيعة فنقدت بعض الثمن وتعذر علي بعضه فدخلت على يحيى وعنده ولده وأنا أفكر فقال لي: ما لي أراك مفكراً؟ فقلت: أنا في خدمتك وقد اشتريت ضيعة بسبع مائة ألف درهم ونقدت بعض الثمن وتعذر علي بعضه. فدعا بالدواة وكتب: يعطى جبريل سبع مائة ألف درهم. ثم دفع الكتاب إلى ولده فوقع فيه كل واحد منهم بثلاثمائة ألف درهم، فقلت: جعلت فداك! قد أدبت عامة الثمن وإنما بقي علي أقله، فقال: اصرف ذلك في بعض ما ينوبك. ثم صرت إلى الرشيد فقال: ما أبطأ بك؟ قلت: يا أمير المؤمنين كنت عند أبيك وإخوتك ففعلوا بي كذا وكذا، قال: فما حالي أنا؟ ثم دعا بدابته فركب إلى يحيى فقال له: يا أبت خبرني جبريل بما كان فما حالي من بين ولدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين مر له بما شئت يحمل إليه، فأمر بحمل مال إلى جبريل.

وكان إبراهيم بن جبريل على شرطة الفضل فوجهه إلى كابل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة ثم ولاه سجستان، فلما انصرف منها كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم، فلما قدم بغداد وبنى داره في البغويين استزار الفضل بن يحيى ليريه نعمته عليه وأعد الهدايا والطرف وآنية الذهب والفضة والوصفاء والوصائف والدواب والقباب والثياب وما تهيأ لمثله ووضع الأربعة الآلاف الألف درهم في ناحية من الدار، فلما تغدى الفضل قدم إليه تلك الهدايا، فأبى أن يقبل منها شيئاً وقال: لم آتكم لأسلبكم! فقال: أيها الأمير إنها نعمتك علي! قال: ولك عندنا مزيد. قال: فلم يزل يطلب إليه فأخذ من جميع ذلك سوطاً سجزياً، فقال: هذا من آلة الفرسان، فقال إبراهيم: أيها الأمير فهذا المال من مال الخراج تأمر بقبضه؟ قال: هو لك،

فأعاد عليه القول مراراً، فقال: ما لك بيت يسعه، فوهب له المال بعد أن كان قد صار إليه ألف ألف درهم.

ما أحسن ما فعلت!

قال: ودخل قوم من حاشية المنصور وخدمه عليه فرأى منهم رجلاً عليه سواد خلق فقال له: يا فلان ما لي أرى سوادك منقطعاً، أما تقبض رزقك؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين ولكن أبي توفي وترك ديناً فبعت تركته في قضاء دينه وصرفت أكثر رزقي إلى حرمة وولده من بعده، فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده، فقال: ما أحسن ما فعلت! اغد علي في غد، فغدا عليه فوجد الربيع جالساً على الكرسي، فقال: قد سأل عنك أمير المؤمنين فادخل، فدخل فوجده قائماً يصلي، فقضى صلاته وقال: ألم آمرك أن تغدو؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما قصرت في الغدو عند نفسي، قال: خذ ما تحت تلك المضربة، وإذا السراج يزهر وسرير صغير في ناحية المجلس ينام عليه، فرفعت المضربة فإذا دنانير، فجعلت أحثوها في كمي ثم دعوت له هو وخرجت، فبصر بصفرة دينار في ضوء السراج، فدعا لي فقال لي: انظر ما على السرير، فإذا دينار فأخذه، فقال: ادن مني، فدنوت منه فعرك أذني تعريكاً شديداً فقال: تترك ديناراً وفيه نفقة يومك؟ قال: فأخذت الدينار، ووزنت الدنانير وإذا هي ألف دينار عددها تسعمائة وتسعة وتسعون ديناراً في عافية وأخذت واحداً بعرك الأذن. قيل: وقال علقمة بن لبيد لابنه: يا بني إن نازعتك نفسك يوماً إلى صحبة الرجال لحاجتك إليهم فاصحب من إن صحبته زانك، وإن تخففت له صانك، وإذا نزلت بك نازلة مانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت به شدد صولك. اصحب من إذا مددت يدك لفضل مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن بدت منك ثلثة سدها. اصحب من لا تاتيئك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق.

وقال بعض الحكماء: إذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك
فارجمه بالحجارة فإنه تاركك كما ترك صاحبه.
وقال آخر: اصحب من خولك نفسه وملّك خدمته وتخيّرك
لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه، وكان يقال من قبل:
صلتك، فقد باعك مروءته وأذلّ لقدرك عزّه.
وقال بعضهم: أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل.
وقال بعضهم: أنا أطوع لك من الرداء وأذل من الحذاء.
قيل: وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع إلى محمد بن عبد الملك
الزيات: ما خبرك مع صاحبك؟ قال: لا يقصر في الإحسان
إليّ، قال: يا هذا إن لسان حالك يكذب لسان مقالك.

تشهوا ما احببتهم

وقال أبو سعد كان الشافعي من اجود الناس وأسخاهم كفا كان
يشترى الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلواء ويقول لنا
تشهوا ما احببتهم فقد اشتريت جارية تحسن ان تعمل ما
تريدون فيقول بعض أصحابنا اعلمي اليوم كذا وكذا وكنا نحن
نامرها.

وقال الربيع كان الشافعي إذا سألته إنسان شيئاً يحمر وجهه
حياء من السائل ويبادر بإعطائه رحمه الله ورضي عنه.

إنك ضيق الخلق

عن مجاهد بن جبر قال كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في
السفر فان أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى
ثيابي قال مجاهد فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك فقال يا مجاهد إنك
ضيق الخلق . (1)

فباع حماره واشترى شهوتي

عن سهل بن إبراهيم قال : صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر،
فأنفق عليّ نفقته، ثم مرضت، فاشتريت شهوة، فباع حماره
واشترى شهوتي، فقلت : فعلى أي شيء نركب قال على عنقي،
قال: فحملة ثلاثة منازل(2).

قد أبررت يمينك

قال أحمد بن أبي الحواريّ : سمعت أبا الوليد يقول : ربّما جلس إبراهيم بن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسّر الصنوبر فيطعمنا.

وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت، فركب حتى جلس على السّرج، فقال : قد أبررت يمينك، ثم نزل(1).

أعز الأشياء في آخر الزمان

قال إبراهيم بن أدهم : أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة ، : أخ في الله يؤنس به ، وكسب درهم من حلال ، وكلمة حق عند سلطان (2).

فلم تنفثل إليه!

قال سفيان بن عيينة : زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه؛ فقال له أهل المسجد : زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفثل إليه ! قال : ما علمت بمكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعاً فجعلوا يبكيان(3).

أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك

- وفي السير : أن ابن المبارك :..كان كثيراً ما يسافر إلى الرقة ..وينزل في خان فيها ..

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 56/10

(2) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [654 - 742] ، تهذيب الكمال مع حواشيه ، المحقق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1400 -

1980 ، 35 / 2

(3) كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، فرأت امرأة من جيرانه كأن عليه [لعل هذه اللفظة زائدة] حلاً فرقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء قالت: لم يقم لها بصري؛ قالت: فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخيلها عليه تعني الحلة. ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، 128/3

فكان شاب يأتي إليه ..ويقوم بحوائجه ..ويسمع منه الحديث

..فقدم عبد الله الرقة مرة ..فلم ير ذلك الشاب ..
فسأل عنه ..فقالوا :إنه محبوس ..لدين ركبه ..
فقال عبد الله :وكم مبلغ دينه ؟ فقالوا :عشرة آلاف درهم ..
فلم يزل عبد الله يستقصي ..حتى دُلَّ على صاحب المال ..
فدعا به ليلاً وأعطاه عشرة آلاف درهم ..وحلفه أن لا يخبر
أحداً ..ماذا دام عبد الله حياً ..وقال له :إذا أصبحت ..فاخرج
الرجل منفلاً خرج الفتى من الحبس ..قيل له :عبد الله بن
المبارك كان هاهنا ..وكان يسأل عنك ..فخرج الفتى في أثره
فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة ..فلما قابله ..قال له
عبد الله :يا فتى ..أين كنت ؟ لم أرك في الخان !قال :كنت
محبوساً بدين ..

قال :فكيف كان سبب خلاصك ؟ قال :جاء رجل فقضى ديني
..ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس ..
فقال له عبد الله :احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك ..
ثم فارقته ومضى (1)..
إلا رأيت أنه خير منك

- وروى الخطابي أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك قدم
خراسان فقصده رجلاً مشهوراً بالزهد و الورع فلما دخل عليه
لم يلتفت إليه الرجل و لم يأبه به و لم يهتم به ، فخرج من
عنده عبد الله ابن المبارك فقال له بعض من عنده
هذا ؟ قال " لا ، قالوا :هذا أمير المؤمنين في الحديث
.....
هذا عبد الله بن المبارك فبهت الرجل و خرج إلي ابن المبارك
مسرعاً يعتذر إليه و يتصل مما حدث و قال يا أبا عبد
الرحمن :أعذرنى و عظمي ، قال ابن المبارك :نعم إذا
خرجت من منزلك فلا يقعن بصرك علي أحد إلا رأيت أنه خير
منك "

ما جاء بك ؟

كان الفضيل جالسا وحده في المسجد فجاء إليه أخ له فقال ما جاء بك ؟ قال الموانسة قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك (1).

والله لشقاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا !

وورد في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك، حتى عد جماعة، ثم أنا أجالسكم فقال له حدث في المجلس : أتتصف يا أبا محمد قال : إن شاء الله تعالى، فقال : والله لشقاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس:

خل جنبك لرام ... وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام
إنما السالم من آل ... جم فاه بلجام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمي، فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء، يعني السلطان (2).

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه

وقال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال : أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه.

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر

¹ (ابن هبة الله ، شرح نهج البلاغة ، ، 2795/1

² (ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 392/2

الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها، وهو من أهل الكوفة.

وقال سفيان : دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال : فجاء الناس يسألونني عن عمر بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته فقال لي : يا بني، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث، يضطر في حفظ تلك الأحاديث⁽¹⁾.

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا

قال عبد الله بن داود : كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم ، فقبل لأبي حنيفة فقال : إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا . كان أبو حنيفة يقول : ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر الله من تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكان أبو حنيفة يقول : ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور .

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا

خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا فقال لقد هممت ألا أحدثكم شهراً فقام إليه شاب من أهل العراق فقال له يا أبا محمد ألن جانبك وحسن قولك وتأس بصالحي سلفك وأجمل مجالسة جلسائك فقد أصبحت بقية الناس وأميناً لله ورسوله على العلم والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاضمه مشقته حتى يكاد أن يقيم فيكون لقاؤه إياك وطعمه فيك أكثر ما يحركه عليه قال فخضع سفيان وتواضع ورق وبكى ثم تمثل بقول حارثة

خَلَّتِ الدِّيارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ... وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي

بِالسُّودِّ

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا⁽²⁾

¹ (ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 393/2

² (أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، 418/8

المعرفة تنفع عند الكلب العقور

قال سفيان بن عيينة : عرض المغيرة بن شعبه بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمر به شاب من الجند فقال : يا غلام زد هذا في عطائه كذا وكذا، قال : فقام شاب كان إلى جانبه فقال : أصلحك الله هذا ابن عمي لحا ليس له علي فضيلة في نسب ولا نجدة فألحقني به، قال : لا، قال فمر من يحط من عطائي ليظن من حضر أن بك علي مودة، قال : لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودة وكان صديقاً لي وإن المعرفة تنفع عند الجمل الصوول والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب؟⁽¹⁾

يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك

بكى سفيان بن عيينة يوماً، فقال له يحيى بن أكثم : ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال : بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بليت بمجالستكم . فقال له يحيى، وكان حدثاً، فمصيبة أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجالستك بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك.⁽²⁾

أنا لكم مثل جبل أبي قبيس

كان يجتمع في مجلس سفيان بن عيينة مائة ألف نفس، وكان يقول : أنا لكم مثل جبل أبي قبيس، أصدوا علي وأطلعوا علي التابعين⁽³⁾.

أما والله لو كنت غنياً لجالسني

ذكر أبو حازم عند الزهري فقال : أما والله إنه لجاري ، وما جالسته قط ، قال أبو حازم : ذاك لأنني مسكين ، أما والله لو كنت غنياً لجالسني ، قال الزهري : قد سببتني ، قال : أجل⁽⁴⁾.

¹ (المعافى بن زكريا ، المجلس الصالح والأنيس الناصح ، 339/1

² (أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 119/1

³ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 128/1

⁴ (أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 19/3

أنت منهم ومعهم والمرء مع من أحب

عن مالك بن دينار أنه رأى رجلين يكتبان في اليقظة فسألهما فقال نكتب أسماء المحبين فقال بالله هل أنا منهم فقالا لا فوق مغشياً عليه ثم رأى في منامه قائلاً يقول أنت منهم ومعهم المرء مع من أحب (1).

أعجبني صدقك

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم ، وهو يريد بيت المقدس ، فقال له : إني أريد أن أرافقك ، فقال له إبراهيم : علي أن أكون أملك لشبيك منك . قال لا ، فقال إبراهيم : أعجبني صدقك (2) .

إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت في الماء كان ملكاً نزل من السماء فسألته عن حاله فقال نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت هل أنا منهم قال لا فقلت إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم (3)

لا تقل ذلك

وقال الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم كل واحد منهما لصاحبه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر فقلت : إن هذا ليسير، فقال : لا تقل ذلك فإن الله يقول : " لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم " ، فعلمت أنه أفقه مني. (4)

أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك

وكان سفيان بمكة فمرض ومعه الأوزاعي، فدخل عليه عبد الصمد بن علي فحول وجهه إلى الحائط، فقال الأوزاعي لعبد

¹ (الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 69/1

² (بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، الكشكول ، 162/2

³ (الصفوري ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، 69/1

⁴ (أبو حيان التوحيدي ، الصداقة والصديق ، 45/1

الصد : إن أبا عبد الله سهر البارحة فلعله أن يكون نائماً، فقال سفيان : لست بنائم، لست بنائم، فقام عبد الصد، فقال الأوزاعي لسفيان: أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك.

هذا الحديث يكفيني

حكي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصاً من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار إليه ودخل عليه فوجده يطعم كلباً وهو مشغول به قال الإمام أحمد فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه " قال فقال الإمام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلاً إلى أهله.

أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال : جاء رجل إلى الشافعي فقال له : - أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي : والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال : يا غلام، هات السبئية ثم قال : للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه ... ويثقل يوماً إن تركت على عمد

وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب ... وقولك لم أعلم وذاك من الجهد

ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ... وصاحبه الأدنى على القرب والعبد

يعش سيداً يستعذب الناس ذكره ... وإن نابه حق أتوه على قصد

حتى أنتفع به كما انتفعت

قال أبو عبد الله ابن الجراح : قصدني أحمد بن حنبل فسألني أن أخرج إليه شيئاً من العلم ، فأخرجت إليه كتاب العقل لداود

بن المحبر ، فانتخب منه أحاديث وردّ الكتاب ، فسألته عن ذلك فقال : لم أرفيه أحاديث صحاحاً ، قال ابن الجراح : كلّه صحيح ، قال أحمد : ومن أين عرفت ؟ قال لأنني استعملته فوجدته كلّه صحيحاً ، فقال ردّ الكتاب إليّ حتى أنتفع به كما انتفعت (1).

الإخلاص لله :

الإخلاص لغة : مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادّة (خ ل ص) التي تدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه والخالص كالصّافي إلّا أنّ الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه والصّافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلّصته فخلص قال ابن منظور: خلص الشّيء بالفتح، يخلص خلوصاً وخلصاً إذا كان قد نشب ثمّ نجا وسلم، وأخلصه وخلّصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشّيء: اختاره، وقرئ **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** * (ص : 83) والمخلصين- قال ثعلب: يعني بالمخلصين الذين أخلصوا العبادة لله تعالى. وبالمخلصين الذين أخلصهم الله- عزّ وجلّ-، فالمخلصون المختارون، والمخلصون : الموحّدون. ولذلك قيل لسورة قلّ هو الله أحدّ سورة الإخلاص. قال ابن الأثير: لأنّها خالصة في صفة الله تعالى وتقدّس. أو لأنّ اللفظ بها قد أخلص التّوحيد لله عزّ وجلّ، وكلمة الإخلاص: كلمة التّوحيد. والإخلاص في الطّاعة: ترك الرّياء .

واصطلاحاً : الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السرّ والقول .

وقال المناويّ الإخلاص: تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصاً.

وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التّهمة والخلل .

¹ (أبو حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، 58/6

وحقيقة الإخلاص: التبرّي عن كلّ ما دون الله تعالى.
وأجمعوا على أنّ الإخلاص في الطّاعة ترك الرّياء .
وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل النّاس رياء،
والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص :
رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما .

حقيقة الإخلاص:

فحقيقة الإخلاص، باعتباره التزاما في مواقف الحياة، لا
مجرد تصوّر نظريّ، وهو «التّبرّي عن كلّ ما دون الله»
يجعلنا ننظر إليه من زاويتين:
الأولى: من جهة تعلّقه بالعمل، أو من حيث كونه واقعا يتعلّق
بحياة النّاس ومواقفها، أو من حيث كونه يتعلّق بسلوك
الإنسان، من هذا القبيل نجد أن العمل الصّادر عن الإنسان- أيّا
كان- إذا قصد به وجه الله، وظهرت الشّواهد على ذلك، فإنّه
يعدّ عملا مخلصا، لأنّه خالص من الشّرك، والرّياء،
والمراءاة، والشّهرة. لأنّ العمل الإنسانيّ قد يشوبه شيء ما
من ذلك، فإذا صفا عن شوبه، وخلص منه سمّي خالصا،
فالإخلاص ينافي الإشراك، والرّياء، والغشّ، والخداع،
والاحتيال، والكذب، ولذا قد نجد بينه وبين الصّدق قرابة
معنى، وكذلك يمتدّ إلى معنى الصّراحة، ويلتقي بمفهوم
الوضوح، والأمانة والصفاء.
وإذا كانت كلّ المعاني السّابقة من رياء وغشّ وخداع،
واحتيال، وكذب، تمتدّ إلى الشّرك بمعنى ما، فإنّ من الشّرك ما
هو خفيّ وما هو جليّ، وكذا الإخلاص، وكلاهما يرد على قلب
المسلم ويكون ذلك في المقصود والنّيّة، ولذا يأتي الفعل على
قدر النّيّة، إمّا مخلصا أو غير مخلص، فمن كان قصده من
عمله الرّياء، فهو غير مخلص، ومن كان غرضه التّقرب إلى
الله تعالى فهو مخلص، إلّا أنّ العادة جرت بتخصيص
الإخلاص على قصد التّقرب إلى الله تعالى وتخليصه من جميع
ما يشوبه.

وكلّ عمل باعته التّقرب إلى الله تعالى، وانضاف إليه خطرة
بشرية حتّى صار العمل موسوما بها، وأخفّ من جهتها من

حيث الإتيان، فقد خرج العمل عن الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى، وبالتالي خرج من أن يكون محققا لإنسانية الإنسان، وكما يقول الإمام الغزالي: «كلّ حظّ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، قلّ أم كثر، إذا تطرّق إلى العمل تكدّر به صفوه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، قلّما ينفكّ فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس.

فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزّة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث له إلّا طلب القرب من الله تعالى.

لا يقبل الله

وقد ذكر ابن تيمية أنّ إخلاص الدين هو الذي تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرّسل، وأنزل به جميع الكتب، واتّفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدّعوة النّبويّة، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه .

بناء على ما سبق فإنّ الإخلاص هو تصفية السرّ والقلب والعمل، والخالص هو الذي لا باعث له إلّا طلب الحقّ، والإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في العمل، والإخلاص لله؛ هو أن لا يفعل المخلص فعلا إلّا لله تعالى. الثانية: من جهة معناه وشروطه كموقف يلتزم به الإنسان في حياته.

الإخلاص ينقسم بحسب ما يظهر من العبد، يمكن أن يشمل كلّ فعل الإنسان، ولذا يقال: إنّ الإخلاص أربعة أقسام: إخلاص في الأقوال، وإخلاص في الأفعال، وإخلاص في الأعمال أي العبادات، وإخلاص في الأحوال أي إلهامات القلب وواردات الغيب. والدين شامل لكلّ هذا، وباعتبار أنّ الإخلاص التزام حيويّ أكثر ممّا هو تصوّر نظريّ، فإنّ موقف الإخلاص يستلزم عدّة أمور، وهي:

- الاستمرارية: حيث إنّ حياة الإنسان عبارة عن تواصل واستمرار، ومواقف الحياة مستمرة ومتكاملة، ولذا لا ينبغي

أن يتفكك الإخلاص أو يتبعثر، لأنه لا يتعلق بالموقف المعاصر فقط، ولا بالماضي فقط، ولا بالمستقبل فقط، وإنما هو موقف مستمر، ومن ثم كانت الاستمرارية صفة أساسية في الإخلاص.

- التّكامل: بمعنى انضواء الشّخص بجميع مكوّناته في أهداف وجوده المستمدّة من الإطار الإسلاميّ للحياة، حتّى يتمكّن من بلوغ أكمل درجة ممكنة من صياغة الذات بطريقة متكاملة، وذلك عبر محبة قويّة لله وللحقّ والحقيقة، وللآخرين المخلصين، هذا إلى جانب التّكامل بين النّيّة والفعل.

-3 العلم: حيث إنّ الإخلاص يستلزم وعي الإنسان بوجوده في إطار التّعاليم الإسلاميّة، وهذا الوعي لا يمكن أن يتمّ بغير معرفة، لأنه لا يمكن أن يتأتّى عن جهل، وجعل الإنسان لا يمكن أن يؤدّي إلى إخلاص حقيقيّ، ومن ثمّ كان العلم شرطاً ضرورياً لتحقيق الإخلاص، هذا إلى جانب ضرورة العلم بما يحقق الإخلاص.

-التدرّج: باعتبار أنّ الإخلاص جهد بشريّ من أجل الوصول إلى كمال الإنسان بوصوله إلى حقيقة العبوديّة والتّحقّق بها، ولذا فإنّ الإنسان يتعثر وينهض مرارا وتكرارا، بهدف بلوغ المرتبة العالية، إنّ التّجربة صعبة في مواقف حياة الإنسان، ولذا فهو يحتاج إلى التدرّج، وهذا شرط لكمال الإخلاص.

-الأمانة: باعتبارها رعاية لحقّ الله تعالى، وأداء للفرائض والواجبات، وهذا يتطلّب عدم الخيانة وحفظ الحقوق، وهي خير شاهد خارجيّ على الإخلاص، وخاصّة أنّ المنزلات التي يمكن أن تطيح بالأمانة اللّازمة للإخلاص وفيرة، وهذه توفّر حظوظاً للنفس تفسد الإخلاص، ولذا كان لأبد من توافر الأمانة لتوافر الإخلاص والتمسك به.

وخلاصة الأمر: أنّ الإخلاص تصفية للعمل والقول والعبادة ممّا يشوبها من رياء ومراعاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي: طرح العمل وعدم رؤيته، فضلا عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التّوفيق في العمل المخلص على أنّه

جود من الله تعالى، ثم إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصاً لوجه الله تعالى .

الفرق بين الإخلاص والصدق:

قال الجرجاني: الفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل وهو الأول: والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، أما الصدق فيكون بالنية قبل الدخول فيه .

وقد قال المولي عز وجل : " قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (البقرة:

(139

وقال تعالى : " قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (الأعراف: 29)

وقال تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ *

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (الزمر: 2- 3)

وقال تعالى : " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ *وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (الزمر: 11- 12)

وقال تعالى : " قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (الزمر:

(15

وقال تعالى : " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ * فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (غافر: 13- 14)

وقال تعالى : " هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (غافر: 65)

وقال تعالى : " وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (البينة: 4-5)

وقال تعالى : " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (النساء: 145-146)

وقال تعالى : " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (يونس: 22)

وقال تعالى : " فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ آتَيْنَاهُمْ وَلِيَّتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (العنكبوت: 65-66)

وقال تعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (لقمان: 31-32)

وقال تعالى : " وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (الصافات: 167-170)

وقال تعالى : " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ (يوسف: 24)

وقال تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (مريم: 51) - * وَإِذْ كُنَّا عِبَادًا لِبَرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (ص: 45-46)

وقال تعالى : " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ *
 مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا *
 أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا *
 عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (الحجر: 36- 40)
 وقال تعالى : " إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا *
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ *
 مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (الصفات: 43- 38)

وعن أبي أمامة الباهلي- رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس
 الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 «لا شيء له». فأعاد ثلاث مرّات.
 يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا شيء له». ثم
 قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به
 وجهه»⁽¹⁾

وعن زيد بن ثابت- رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلّغها،
 فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه
 منه» زاد فيه علي بن محمد «ثلاث لا يغلّ
 امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين
 ولزوم جماعتهم»⁽³⁾

¹ (النسائي (25 / 6) واللفظ له وقال الشيخ ناصر الألباني (52) من سلسلة الأحاديث الصحيحة: إسناده حسن كما قاله الحافظ العراقي في تخرّيج الإحياء، ونحوه عند أحمد (4 / 126). من حديث شداد بن أوس. وذكر بطرق مختلفة عن ابن عباس وأبي هريرة، السنن الكبرى البيهقي (9 / 282) وما بعدها. وقال محقق جامع الأصول (3 / 584): وسنده حسن.

² (لا يغلّ: لا يغلّ عليه قلب مؤمن أي لا يكون معها في قلبه غش وزغل ونفاق ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله- عز وجل- وهو في الإغلال بمعنى الخيانة ويروى يغلّ من الغلّ وهو الحقد.

³ (ابن ماجه (230) واللفظ له، قال محقق جامع الأصول (1 / 265، 266): الحديث رواه البزار بإسناد حسن. وأخرجه الشافعي في مسنده (1 / 14) من حديث ابن مسعود وإسناده صحيح والدرامي (1 / 86، 87). وأخرجه أحمد في المسند (5 / 183) وغيره من حديث زيد بن ثابت. وإسناده صحيح وورد في مجمع الزوائد بطرق مختلفة ببعض الزيادات (1 / 137- 139).

وعن أبي كبشة الأنماري- رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدنكم حديثا فاحفظوه»، قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر- أو كلمة نحوها-»، وأحدنكم حديثا فاحفظوه. قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية. يقول: لو أنّ لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أنّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته، فوزرهما سواء⁽¹⁾

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه⁽²⁾».

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار. فقالوا: إنّه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا لله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق أهلا ولا مالا. فنأى بي في طلب شيء قوما عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين،

(3) قبلهما
(4) فلم أرح (5)

¹ (الترمذي (2325) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

² (مسلم (298).

³ (لا أغبق: لا أقدم في الشرب قبلهما أهلا ولا مالا، والغبوق شرب العشي

⁴ (قوما: هكذا في فتح الباري وفي صحيح البخاري «يومًا» وهو الصواب، وعبرة مسلم نأى بي ذات يوم الشجر.

⁵ (أرح: بضم الهمزة وكسر الراء: أي أرجع.

فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقبح على يديّ-
أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما.
اللهم؛ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه
من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج. قال
النبي صلى الله عليه وسلم: قال الآخر: اللهم كانت لي بنت عمّ
كانت أحبّ الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى
ألّمت بها سنة (1) من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين
ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا
قدرت عليها، قالت: لا أحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلّا بحقه،
فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحبّ
الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم؛ إن كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة
غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إنّي
استأجرت أجرا فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي
له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد
حين، فقال: يا عبد الله؛ أدّ إليّ أجره، فقلت له: كلّ ما ترى
من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا
تستهزئ بي، فقلت: إنّي لا أستهزئ بك. فأخذه كلّهُ فاستاقه
فلم يترك منه شيئا. اللهم؛ فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا
يمشون(2).

وعن عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «إنّما الأعمال بالنيّة، وإنّما لكلّ امرئ
ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله
ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها،
فهجرته إلى ما هاجر إليه(3).

(1) ألّمت بها سنة من السنين أي أصابها ما يصيب الناس في القحط والجذب، والسنة معناها هنا
الجذب.

(2) البخاري- الفتحة 4 (2272) واللفظ له، ومسلم (2743).

(3) البخاري- الفتحة 1 (1)، مسلم (1907) واللفظ له.

وقال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه.

وقال أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

- قال يوسف بن الحسين: «أعزّ شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر.

- قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا. الخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنّة. ثم قرأ قوله تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف/ 110).

- وقال شهر بن حوشب: «جاء رجل إلى عبادة بن الصّامت، فقال: أنبئني عما أسأل عنه، أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمده؟

فقال عبادة: «ليس له شيء، إنّ الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كلّ لا حاجة لي فيه.

- قال الجنيد- رحمه الله-: «الإخلاص سرّ بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله.

- قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف/ 110): وهذان ركنا العمل المتقبّل لا بدّ أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- قال ابن القيم- رحمه الله تعالى -: عمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا ينقله ولا ينفعه.

من صور الإخلاص ومظاهره

مما سبق يتّضح لنا أنّ للإخلاص صوراً متعدّدة تتمثّل فيما يلي:

- الإخلاص في التّوحيد.
- الإخلاص في النّيّة والقصد.
- الإخلاص في العبادات: الصّلاة، السّجود، الصّيّام، قيام رمضان، قيام ليلة القدر، حبّ المساجد، الزّكاة، الصدّقة، الحجّ، الجهاد، التّوبة، والذّكر، والاستغفار، والدّعاء، وقراءة القرآن، وسائر القربات.
- الإخلاص في الأقوال كلّها.
- الإخلاص في الالتزام بمكارم الأخلاق، (كالصدّق، الصّبر، الزّهد، والتّواضع ... الخ).
- الإخلاص في التّوكّل على الله.
- الإخلاص في كافّة الأعمال.

من فوائد (الإخلاص)

- الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال.
- الإخلاص هو الأساس في قبول الدّعاء.
- الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدّنيا والآخرة.
- يبعد عن الإنسان الوسوس والأوهام.
- يحرّر العبد من عبوديّة غير الله.
- يقوّي العلاقات الاجتماعيّة وينصر الله به الأُمّة.
- يفرّج شدائد الإنسان في الدّنيا.
- يحقق الطّمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسّعادة.
- يقوّي إيمان الإنسان ويكرّه إليه الفسوق والعصيان.
- يقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشّدائد.
- حصول كمال الأمن والاهتداء في الدّنيا والآخرة.

ومن المواقف :

الذي فعلت له لا يخفى عليه

- ويقول الحسن بن الربيع عن جهاد الإمام الجليل عبد الله بن المبارك "خرج فارس من المسلمين ملثم فقتل فارسا من العدو كان فعل بالمسلمين فكبر له المسلمون، فدخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد، فتتبعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه، فعرفته فقلت : أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك؟ فقال الذي فعلت له لا يخفى عليه ."

وقوم طلبوا الدنيا

- وحدث أبو حنيفة بإسناد له والمازني قالاً : ولي إسماعيل بن عليّة الصدقات بالبصرة، فكتب إلى عبد الله بن المبارك يصف له ما وقع فيه، ويقول له : أحب أن تبعث إلى إخواننا من القراء لنشغلهم، فكتب إليه عبد الله بن المبارك :
ضربان قوم طلبوا هذا الأمر لله، فأولئك لا حاجة لهم في لقائك، وقوم طلبوا الدنيا، فأولئك أضر على الناس من الشرط، وكتب إليه :

يا جاعل الدين له بازيا ... يصيدُ أموالَ المساكينِ
احتلتَ للدنيا ولذاتها ... بحيلةٍ تذهبُ بالدينِ
وصرتَ مجنوناً بها بعدما ... كُنتَ دواءً للمجانينِ
أينَ رواياتك فيما مضى ... عن ابنِ عونٍ وابنِ سيرينِ
أينَ أحاديثك والقولُ في ... لزومِ أبوابِ السلاطينِ
تقولُ أكرهْتُ وماذا كذا ... زلَّ حمارُ العلمِ في الطَّينِ⁽¹⁾

أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك

ولما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه، وأراد الخروج فقال : يا فضيل هل عليك دين؟ فقال : نعم دين ربي لو يحاسبني عليه، فالويل لي إن حاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني . فقال الرشيد : إني أسألك عن دين العباد . فقال : عندنا بحمد الله خير كثير لا نحتاج معه إلى ما في أيدي الناس : هذه ألف دينار فاستعن بها . فقال : يا حسن الوجه أدلك على

¹ (ابن الجراح ، الورقة ، 4/1)

النجاة وتكافئني بالهلاك، أسأل الله التوفيق
بنيته فقالت :لو أخذتها فاستعنا بها .فقال :إن مثلي ومثلكم
مثل قوم كان لهم بغير يكدونه ويأكلون من كسبه، فلما كبر
وسقط عن العمل نحروه فأكلوه⁽¹⁾.

أراك مرائية منذ ثلاثين

قال الجنيد سمعت السري يقول خفيت على علة ثلاثين سنة
وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة ولنا أماكن قد عرفت بنا
لا نكاد أن نخلو عنها فمات رجل من جيراننا يوم الجمعة
فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأضحيت عن وقتي ثم جئت
أريد الجمعة فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي الآن
يرونك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي فقلت
لنفسي أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري فتركت ذلك
المكان الذي كنت آتية فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا
يعرف مكاني هذا أو نحوه . (2)

ما هم بمجاورين

وقال الفضيل رحمه الله :وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج
والعمرة والزهادة وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا
يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون :نحن مجاورون
وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما
هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل
الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله ولا يكسب فيها ولا
يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به
وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إلي من أن تكون مقيماً
بمكة وتحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها⁽³⁾.

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا !

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض
الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض

¹ (الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، 244/1

² (حلية الأولياء ، 10/ 125

³ (الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، 29/2

الغدران وقام الفضيل فحط رجله في الماء فوجد برده فالتذ به
وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء
الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا (1).

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!

قال سفيان بن عيينة : دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا
هو بسالم بن عبد الله، فقال له : يا سالم سلني حاجة؛ فقال له :
إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج
خرج في أثره، فقال له : الآن قد خرجت فسلني حاجة ! فقال له
سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال : بل من
حوائج الدنيا؛ فقال له سالم : ما سألت من يملكها فكيف أسأل
من لا يملكها؟! (2)

نشكو إليك ما يفعل بنا

عن المعان بن عمران قال : شكا الثوريّ إلى إبراهيم بن أدهم
فقال : نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفياً فقال : أنت
شهرت نفسك بحدّثنا وحدّثنا (3).

والله إني أخاف أن أكون بها شقياً

كان أيوب السختياني يخفي زهده، وما رئي أحد أشد تبسماً
في وجوه الرجال منه، ودخلوا عليه فإذا على فراشه مجلس
أحمر، فرفعوه فإذا خصفه محشوة بليف، وكان يقوم الليل،
فإذا كان من آخر اليل يرفع صوته، يوهم أنه قام تلك الساعة .
وكان يقول أهلكت المعرفة، والله إني أخاف أن أكون بها
شقياً. (4)

الشهرة اليوم في القصر

قال معمر : رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمس الأرض
فقلت : ما هذا؟ فقال : إنما كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها
واليوم الشهرة في تقصيرها؛ وكان يقول للخياط : أقطع وأطل
فإن الشهرة اليوم في القصر (5).

¹ (ابن هبة الله ، شرح نهج البلاغة ، ، 4291/1

² (مختصر صفة الصفوة ، 13/1

³ (الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، 58/10

⁴ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 1 / 309 ،

⁵ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 1 / 309

اللهم أنسِه ذكري

كان أيوب السخيتاني صديقاً ليزيد بن الوليد؛ فلما ولي الخلافة قال: اللهم أنسِه ذكري⁽¹⁾.

رأيتَه يماشي صاحب بدعة

ودُعي أيوب السخيتاني إلى غسل ميّت ، فخرج مع القوم حتى إذا كشف عن وجهه عرفه ، فقال : (أقبلوا قبل صاحبكم ، فلست أغسله ، رأيتَه يماشي صاحب بدعة) .

فاعلم أنّه ضالّ مضلّ

قال أيوب السخيتاني : إذا حدّث الرجل بالسنة ، فقال : دعنا من هذا ، و حدّثنا من القرآن ، فاعلم أنّه ضالّ مضلّ⁽²⁾.

إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة.

وقال مالك بن دينار : مثل قراء هذا الزمان كرجل نصب فخاً ، فوقع عصفور قريباً منه ، فقال للفخ : ما غيبك في التراب؟ قال : التواضع ، قال : فلم اختفيت؟ قال لطول العبادة ، قال : فما هذا الحب المصبوب؟ قال : أعدته للصائمين . قال : نعم الجار أنت . فلما غابت الشمس أخذ العصفور الحبة فخنقه الفخ فقال : إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة⁽³⁾.

هذا إسم ما عرفني به أحد إلا أنت

قالت : امرأة مالك بن دينار له في أثناء مجادلة : يا مرائي فقال لها : لبيك هذا إسم ما عرفني به أحد إلا أنت .⁽⁴⁾

تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم

قال إبراهيم بن بشار ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم فبينما نحن نسير بريح طيبة وكانت مراكب كثيرة فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت وإبراهيم ملتف في عباءة مستلق فجاء أهل المركب إليه فقالوا يا هذا ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث فجلس وهو يقول لا أفلح من لم يكن استعداد لمثل هذا اليوم ثم حرك شفتيه وإذا هاتف ينادي من اللجة تخافون

¹ (الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 20/11

² (الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 27/8

³ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 1 / 313

⁴ (الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملی ، الكشكول ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ،

دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة : الأولى ، - 1418 هـ - 1998م ، 2 / 250

وفيكُم إبراهيم بن أدهم أيها الريح والبحر الهائج اسكنا بإذن الله فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دف يعني لوح خشب . (1)

عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى

ومن كلامه لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه فإنه ذل وإهانة للعلم ولما صنف كتاب الموطأ في الحديث عمل علماء المدينة الموطآت على منواله فقل لمالك قد شاركك الناس في مثل هذا التصنيف فلم تكلف هذا القدر نفسك قال إئتوني بها أنظرها فلما نظر فيها قال عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى فكان كذلك ولم يبق لموطآت الآخرين اسم ولا رسم إلا ما يذكر من موطأ ابن أبي ذئب وأما موطأ مالك فهو مخدوم طوائف الأنام وبضاعة الاجتهاد لعلماء الإسلام والقبول بقدر النية .

يا حاتم، ما خاب سعيك

قال حاتم: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة فقال لي يوماً: أيش تعلمت في ترددك إلينا؟ فقلت له: أربعة أشياء، استغنيت بها عن الأشياء كلها. فقال لي: ما هي؟ فقلت: رأيت أن رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت أن ربي قد وكل بي ملكين يكتبان علي كل ما تكلمت به، فلم أتكلم إلا بما يرضي ربي، ولم أتكلم إلا بحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والله ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقط عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله داعياً يدعو الخلق إليه، فاستعددت له متى جاءني لا أحتاج أن يقتلني يعني ملك الموت، فقال له: يا حاتم، ما خاب سعيك. (2)

إذا كان في موضع الأدب

وقال ابن أبي الحواري، قلت لأبي سليمان: " أيجوز للرجل أن يخبر عن نفسه بالشيء يكون منه؟ " ، فقال: " إذا كان في موضع الأدب ليقندي به، جاز له ذلك " .

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، التوابين ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1403 - 1983 ، 1 / 160

(2) مختصر تاريخ دمشق ، 3 / 463

ولم لا أبكى؟!

وقال أيضا: " دخلت عليه يوما وهو يبكي، فقلت له: " ما يبكيك؟! " ، فقال: " يا احمد!، ولم لا أبكى؟!، إذا جن الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت على محاريبهم، اشرف الجليل سبحانه فنادى: يا جبريل! بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى ذكرى، وأنى لمطلع عليهم في خلواتهم، اسمع أنينهم وارى بكائهم، فلم لا تنادي فيهم، يا جبريل: ما هذا البكاء؟!، هل رأيت حبيبا يعذب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جنهم الليل تعلقوا بي؟! فبي حلفت!، إذا وردوا علي القيامة لا كشفن عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إلى، وانظر إليهم!

يا نفس كم تبكين ؟

قيل : أتى رجل بعشرة دنائير إلى معروف ، فمر سائل ، فناوله إياها ، وكان يبكي ، ثم يقول : يا نفس كم تبكين ؟ أخلصي تخلصي .

فمن دعاني أكلت

وسئل : كيف تصوم ؟ فغالط السائل ، وقال : صوم نبينا - ﷺ - كان كذا وكذا ، وصوم داود كذا وكذا ، فألح عليه ، فقال : أصبح دهري صائما ، فمن دعاني ، أكلت ، ولم أقل : إني صائم .

سل عما يعنيك عافاك الله

أبو العباس بن مسروق : حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال : كنت عند معروف ، ثم جئت ، وفي وجهه أثر ، فسئل عنه ، فقال للسائل : سل عما يعنيك عافاك الله ، فأقسم عليه ، فتغير وجهه ، ثم قال : صليت البارحة ، ومضيت ، فطفت بالبيت ، وجئت لأشرب من زمزم ، فزلقت ، فأصاب وجهي هذا .

رأس الزهد

وروى أن رجلاً جاء إليه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي شيء رأس الزهد، ووسط الزهد، وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

فأشكو ربي

عن المدائني قال دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مدرعة صوف فقال ما يدعوك إلى لبس هذه فسكت فقال له بعض جلسائه يكلمك الأمير ولا تجيبه فقال أكره أن أقول زاهدا فأزكي نفسي أو أقول فقيرا فأشكو ربي⁽¹⁾.

تذكر الموت

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبي الله، من أكيس⁽²⁾ الناس وأحزم الناس؟ قال: «أكثرهم ذكرا للموت، وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»⁽³⁾ وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «استحيوا من الله حق الحياء». فقلنا: يا نبي الله، إننا لنستحيي. قال: «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»⁽⁴⁾

¹ (الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم، 350/1

² (أكيس الناس: أظرف وأفطن.

³ (المنذري في الترغيب (238 /4) وقال: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في الصغير بإسناد حسن. ورواه ابن ماجة مختصرا بإسناد جيد، والبيهقي في الزهد، وذكره الهيثمي (309 /10).

⁴ (الترمذي (2458) وقال المباركفوري في التحفة (155 /7): أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي. وقال المناوي: قال: الحاكم في المستدرک (323 /4): واللفظ له هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال مخرج جامع الأصول (616 /3) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استكثروا ذكر هادم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعة ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه»⁽¹⁾ وعن أبي سعيد- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رجلا كان قبلكم رغبة⁽²⁾ الله مالا، فقال لبيه لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال فإني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف. ففعلوا.

فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك برحمته⁽³⁾.

وعن أنس- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات، الموت⁽⁴⁾»⁽⁵⁾. وعن بريدة. رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تذكّر الآخرة»⁽⁶⁾. وفي رواية مسلم وأبي داود والنسائي: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم،

¹ ذكره الهيثمي 10 (309) وقال: رواه الترمذي- ينظر في جامع الأصول- وغيره باختصار رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وكذلك من حديث ابن عمر وحديث أنس وغيره وعند المنذري

(4/ 236) وقال مخرج جامع الأصول (3/ 616) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.² رغبه: أي أكثر له وبارك له فيه.

³ البخاري- الفتح 6 (3478). مسلم (2757).

⁴ هادم اللذات: هادم أي قاطع فمعناه مزيل الشيء من أصله. قال السهيلي: الرواية بالمعجمة (الموت) أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة فأكثّر ذكره سنة مؤكدة، وقال الحفني: هادم أي مفرق ومشتت اللذات، وبالمهمله مزيل الشيء من أصله كهدم الجدار. يأمر ض أن يتذكر المسلمون الموت دائما، فكل نفس ذانقته ليقطع الطمع والشره على جمع الدنيا ولتؤدى الحقوق كاملة تامة، وليكثر الإنسان من الأعمال الصالحة ادخارا لنواب الله، وليقصر الأمل في اتساع الثروة وتشديد القصور، وغيرها من الأشياء التي تجلب الغفلة عن الله تعالى.

⁵ رواه الترمذي (2307) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي (4/ 4)، وابن ماجه (4258). قال محقق «جامع الأصول» (11/ 14): وهو حديث حسن لشواهده الكثيرة.

⁶ هذه رواية الترمذي (1066).

ونهيتمكم عن النّبِيذ (1). إلّا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلّها، ولا تشربوا مسكرا (2)

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك (3)

وعن البراء بن عازب- رضي الله عنهما- قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فأنتهينا إلى القبر ولمّا يلحد بعد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطّير، وببده عود ينكت (4) به في الأرض، فرفع رأسه فقال:

«استعينوا بالله من عذاب القبر مرّتين، أو ثلاثا». زاد في رواية: وقال: «إنّ الميّت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟

«وفي

رواية: «ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرّجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمّنت به وصدّقت.»

زاد في رواية: فذاك قوله: يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (إبراهيم/ 27) ثم اتّفقا: فينادي

مناد من السّماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة، وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له بابا إلى الجنّة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفتح له في قبره مدّ بصره، وإنّ الكافر ... فذكر موته، قال: وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان،

¹ (وكنت نهيتكم عن النّبِيذ: يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف، إلّا في سقاء، أي إلّا في قرية، إنما استثنّاها لأن السقاء يبرد الماء، فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في الظروف.

² (مسلم 977).

³ (البخاري- الفتح 11 6416).

⁴ (ينكت: نكت في الأرض بيده وبقيص: إذا أثر فيها بذلك.

(1)، لا

وزاد

فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه
أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان
له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري،
فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار،
وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرّها
وسمومها، ويضيّق عليه قبره حتّى تختلف فيه أضلاعه
في رواية: «ثمّ يقيّض له أعمى أبكم (2)، معه مرزبة من
حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا، فيضربه بها ضربة
يسمعها من بين المشرق والمغرب، إلّا الثقلين، فيصير ترابا،
ثمّ تعاد فيه الروح (3)»
وعن مطرّف بن عبد الله بن الشّخير - رحمه الله - قال: «القبر
منزل بين الدنيا والآخرة، فمن نزل به زاد ارتحل به إلى
الآخرة، إن خيرا فخير وإن شرا فشرّ.
- عن أبي معاوية قال: «ما لقيني مالك ابن مغول إلّا قال لي:
لا تغرنّك الحياة واحذر القبر أنّ للقبر شأنا.
- روى أبو نعيم الحافظ بإسناده؛ أنّ عمر بن عبد العزيز شيع
مرّة جنازة من أهله، ثمّ أقبل على أصحابه ووعظهم، فذكر
الدنيا فذمّها وذكر أهلها، وتنعمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها
من القبور، فكان من كلامه أنّه قال: «إذا مررت بهم فنادهم
إن كنت مناديا، وادعهم إن كنت داعيا، ومرّ بعسكرهم، وانظر
إلى تقارب منازلهم، سل غنيّهم: ما بقي من غناه؟ وسل
فقيّهم: ما بقي من فقره؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها
يتكلّمون، وعن الأعين التي كانوا للذّات بها ينظرون، وسلهم
عن الجلود الرّقيقة والوجوه الحسنّة والأجساد النّاعمة ما
صنع بها الدّيدان تحت الأكفان، وأكلت اللّحيان (4) وعفرت

¹ (هاه هاه: من عادة المشدوه الحائر إذا خوطب أن يقول: هاه هاه، كأنه يستفهم عما يسأل عنه.

² (أبكم: الأبكم: الذي خلق أخرس.

³ (أبو داود برقم (3212)، (4753)، (4754) وقال محقق «جامع الأصول» (11/ 179):
إسناده حسن. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 902) صحيح. وأصله عند البخاري
ومسلم.

⁴ (اللّحيان - بالفتح -: حائطا الفم وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

الوجوه، ومحيت المحاسن وكسرت الفقر، وبانت الأعضاء،
ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم
وعبيدهم وجمعهم وكنوزهم (وكأنهم) ما وطئوا فراشا، ولا
وضعوا هنا متكا ولا غرسوا شجرا ولا أنزلوهم من اللحد
قرارا، أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم
سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل
وفارقوا الأحبة، وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم بالية،
وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم ممزقة، وقد سألت
الحدق على الوجنات، وامتلات الأفواه دما وصديدا، ودبت
دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضائهم، ثم لم يلبثوا إلا
يسيرا حتى عادت العظام رميما، فقد فارقوا الحقائق وصاروا
بعد السعة إلى المضائق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت في
الطرق أبناؤهم، وتوزعت القرابات ديارهم وقراهم فمنهم والله
الموسع له في قبره الغض الناظر فيه المتنعم بلذاته، يا ساكن
القبر غدا ما راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك. قال:
فقال سلمان: أما إني لا أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على
الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهدا
حيّا وميتّا.

قال: لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وحولي هذه
الأساودة ⁽¹⁾. قال: فإنما حوله إجانة ⁽²⁾ وجفنة ⁽³⁾ ومطهرة
فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد نأخذ به بعدك.
قال: فقال: يا سعد، اذكر الله عند همك إذا هممت وعند يدك إذا
قسمت وعند حكمك إذا حكمت ⁽⁴⁾
وعن خالد بن أحمد بن أسد قال:
أخذت بيدي علي بن جبلة يوما فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في
الحرم فانتظرناه فلم يلبث أن جاء فدخل عليه إبراهيم بن
مقاتل بن سهل وكان جميلا فتأمله أبو العتاهية وقال متمثلا:

¹ (جاء في لسان العرب: الأساودة: جمع قلة لسواد وهو الشخص. وصرح أبو عبيد بأنه شخص
كل شيء من متاع وغيره.

² (الإجانة بالتشديد: إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين.

³ (الجفنة: قصعة الطعام.

⁴ (الحاكم في المستدرک (4/ 317) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

يا حسان الوجوه سوف تموتو ... ن وتبلى الوجوه تحت
التّراب

فأقبل عليّ بن جبلة فقال: اكتب:

يا مربّي شبابيه للتّراب ... سوف يمضي البلى بغضّ الشّباب
يا ذوي الوجوه الحسان المصونا ... ت وأجسامها الغضاض
الرّطاب

أكثرُوا من نعيمها أو أقلُّوا ... سوف تهدونها لعفر التّراب
قد نعتك الأيّام نعيًا صحيحًا ... بفراق الإخوان والأصحاب
فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبي الحسن،
قال: نعم، فقلت:

يا مقيمين رحّلوا للذهاب ... لشفير القبور وحطّوا الركاب
نعموا الأوجه الحسان فما ... صونكموها إلّا بعفر التّراب
والبسوا ناعم الثّياب ففي ال ... حفرة تعرون من جميع الثّياب
قد ترون الشّباب كيف يمو ... تون إذا استنصروا بماء الشّباب

وعن الحسن؛ قال: «يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهنّ
قطّ: يوم تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها، وليلة
صبيحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إمّا
بالجنّة أو النّار، ويوم تعطى كتابك بيمينك وإمّا بشمالك.
وقال بشر بن الحارث: «نعم المنزل القبر لمن أطاع الله.
قال الأوزاعي- رحمه الله-: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلّا كفاه
اليسير.

قال ابن رجب- رحمه الله-: «والله المسئول أن يجعلنا ممّن
يبادر الفوت، ويراقب الموت ويتأهبّ للرحلة قبل الممات،
وينتفع بما سمع من العظات بمنّه وكرمه.
وقال عديّ بن الرّعاء:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنّما الميت ميّت الأحياء
إنّما الميت من يعيش شقيّا ... كاسفاً باله قليل الرّجاء
فأناس يمصّصون ثمّادا (1) ... وأناس حلّوقهم في الماء (2).

¹ (الثّماد: الماء القليل.

² (لسان العرب (2/ 91).

ولمّا انصرف النَّاس من جنازة داود الطَّائِيّ- رحمه الله-، أنشد ابن السَّمَّاك- رحمه الله:-

انصرف النَّاس إلى دورهم ... وغودر الميِّت في رسمه
مرتَهَن النَّفْس بأعماله ... لا يرتجي الإطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعماله ... وما سواها فعلى نفسه
وقال الشاعر:

قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درك ماذا تستر الحفر؟
ففيهم لك يا مغرور موعظة ... وفيهم لك يا مغترّ معتبر.
أنشد أبو جعفر القرشي:

تناجيك أجداث وهنّ سكوت ... وساكنها تحت التُّراب خفوت
أيا جامع الدُّنيا لغير بلاغه ... لم تجمع الدُّنيا وأنت تموت؟
وعن الفضل بن مهلهل أخي الفضل وكان من العابدين قال:
«كان جليس لنا حسن التَّخشُّع والعبادة يقال له: مجيب، وكان
من أجمل الرِّجال فصلى حتّى انقطع عن القيام، وصام حتّى
اسودّ، ثمّ مرض فمات، وكان محمّد بن النُّضر الحارثيّ له
صديقاً ومات محمّد قبله قال: فرأيت محمّداً في منامي بعد
موت مجيب فقلت: ما فعل أخوك مجيب قال لحق بعمله قلت:
فكيف وجهه ذاك الحسن؟

قال: أبلاه والله التُّراب. قال: وقلت: كيف وأنت تقول لحق
بعمله؟ قال: يا أخي علمت أنّ الأجساد في القبور تبلى وأنّ
الأعمال في الآخرة تحيا. قلت: يبلون حتّى لا يبقى منهم شيء
ثمّ يجيئون يوم القيامة، إي والله يا أخي يبلون حتّى يصيروا
رفاتا ثمّ يحيون عند الصَّيحة، وأنشد بعضهم:
ما حال من سكن الثُّرى ما حاله؟ ... أمسى وقد رثّت هناك
حباله

أمسى ولا روح الحياة تصيبه ... أبدا ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرّقت في قبره أوصاله
واستبدلت منه المجالس غيره ... وتقسّمت من بعده أمواله
ما زالت الأيام تلعب بالفتى ... والمال يذهب صفوه وحلاله.

عن عمر بن ذرّ أنّه كان يقول في مواعظه: «لو علم أهل العافية ما تضمّنته القبور من الأجساد البالية لجدّوا واجتهدوا في أيّامهم الخالية خوفا من يوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار. وقال النّضر بن المنذر لإخوانه: «زوروا الآخرة بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهّمكم، وتوسّدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أنّ ذلك كائن لا محالة، فاختر لنفسه (امرو) ما أحبّ من المنافع والضّرر.

وروى ابن أبي الدّنيا عن الحسن أنّه مرّ به شابّ، وعليه بردة له حسنة فقال: «ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله كأنّ القبر قد وارى بدنك وكأنّك لاقيت عمك، ويحك داو قلبك، فإنّ مراد الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

شهد الحسن جنازة فاجتمع عليه النّاس، فقال: «اعملوا لمثل هذا اليوم- رحمكم الله- فإنّما هم إخوانكم يقدمونكم، وأنتم بالأثر، أيّها المخلف بعد أخيه إنّك الميّت غدا، والباقي بعدك الميّت في أثرك أوّلا بأول حتّى توافوا جميعا قد عمّكم الموت واستويتم جميعا في كربه وغصصه، ثمّ تخلّيتم إلى القبور، ثمّ تنشرون جميعا، ثمّ تعرضون على ربّكم عزّ وجلّ. عن الحسن قال: «أودنوا بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون.

وقال رجل لبعض السّلف: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

قال أبو العتاهية:

(¹) رويدك يا ذا القصر في شرفاته ... فإنّك عنه سوف تسحى وتزعج ولا بدّ من بيت انقطاع ووحشة ... وإن غرّك البيت الأنيق المبهج.

قال ابن أبي الدّنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرّحمن:

¹ (تسحى: من سحوت الطّين عن وجه الأرض .. إذا جرفته، والفعل الماضي: سحا مضارعه مضموم العين، أو مفتوحها أو مكسورها: يسحو، يسحاه ويسحيه ومعناه: جرفته يجرفه وما في معناه: لسان العرب.

لبيك لأهوال القيامة من بكى ... ولا تنسينَّ القبر يوما ولا
البلى
كفى حزنا يوما ترى فيه مكرما ... كرامته أن يرقدوا جسمه
الثرى.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مضر بن عبس يقول:
«رحم الله قوما زاروا إخوانهم بقلوبهم في قبورهم وهم قيام
في ديارهم، يشيرون إلى زيارتهم بالفكر في أحوالهم.
وقال ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد السبغي قال: «انتفض غمام
بن عليّ يوما وهو مع أصحابه فقال له بعضهم: ما الذي
أصابك؟ قال: ذكرت اللحد.

عن مغيث الأسود الزاهد؛ قال: «زوروا القبور كلّ يوم تفكّركم.
حدث محمد بن خلف قال: سمعت أبي قال: رجعنا من ميّت مع
ابن السمّاك فأنشأ ابن السمّاك يقول:

تمرّ أقاربي جنبات قبري ... كأنّ أقاربي لا يعرفوني
ذوو الأموال يقتسمون مالي ... ولا يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيا لله ما أسرع ما نسوني.
عن عقبة البزار قال: «رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئا
يا صاحبها. فقلت: علام تهنّئ؟ قال: كيف لا أهنيء من يذهب
به إلى حبس جواد كريم، نزله عظيم، عفوه جسيم؟ قال: كأني
لم أسمع القول إلّا تلك الساعة.

وقال بعضهم:

ولقد وقفت كما وقف ... ت وقد نظرت فما اعتبرت
حصّل لنفسك منزلا ... قبل الحصول كما حصلت.

وأوصى بعض الوزراء أن يكتب (على سبيل الموعظة:)
أيّها المغرور في الدن ... يا بعزّ تقنتيه
وبأهل وبمال ... وبقصر تبنتيه

كم عليها قد سحبنا ... ذيل سلطان بتيه
تحسب الأقدار تجري ... بخلود ترتجيه
إذ طواك الموت طيّا ... فاعتبر ما نحن فيه

وأنشدوا:
خليليّ ما أفضي وما أنا قائل ... إذا جئت عن نفسي بنفسي
أجادل؟
وقد وضع الرحمن بالحشر عدله ... وسيق جميع الناس
واليوم باسل
وجيء بحزم النار خاضعة له ... وثلث عروش عندها وتجادل
فياليت شعري ذلك اليوم هل أنا ... ل الغفر أم أجرى بما أنا
فاعل
فإن أك مجزيّا فعدل وحجّة ... وإن يك غفران ففضل ونائل.
وقال بعضهم:
تزود قرينا من فعالك إنّما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله
تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى قبره إلا الذي كان
يعمل
ألا إنّما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثمّ يرحل.
وقال بعضهم:
يا غافل القلب عن ذكر المنيات ... عما قليل ستثوي بين
أموات
فاذكر محلّك من قبل الحلول به ... وتب إلى الله من لهو ولذات
إنّ الحمام له وقف (1) إلى أمد (2) ... فاذكر مصائب أيّام
وساعات
لا تطمئنّ إلى الدنيا وزينتها ... قد حان للموت يا ذا اللب أن
يأتي (3).

و كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه
الآبيات :

¹ (الوقف: الحبس.

² (الأمد: الأجل: أي إن الحمام- وهو الموت- محبوس إلى أجل يأتي فيه.

³ (أهوال القبور ، ص 145

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله و يودي المال
و الولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... و الخلد قد حاولت عاد فما
خلدوا
و لا سليمان إذ تجري الرياح له ... و الإنس و الجن فيما
بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد ؟
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوما كما
وردوا

و ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية
و التوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ثم إن الإنسان
لا ينفك عن حالتي ضيق و سعة و نعمة و محنة فإن كان في
حال ضيق و محنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه
فإنه لا يدوم و الموت أصعب منه أو في حال نعمة و سعة
فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها و السكون إليها لقطعه
عنها و لقد أحسن من قال :
اذكر الموت هادم اللذات ... و تجهز لمصرع سوف يأتي
و قال غيره :
و اذكر الموت تجد راحة ... في إذكار الموت تقصير الآمل

و أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم و لا زمن
معلوم و لا مرض معلوم و ذلك ليكون المرء على أهبة من
ذلك مستعدا لذلك و كان بعض الصالحين ينادي بليل على
سور المدينة : الرحيل الرحيل فلما توفي فقد صوته أمير
المدينة فسأل عنه ف قيل : إنه قد مات فقال :
ما زال يلهج بالرحيل و ذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

و كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : و يحك يا يزيد من ذا
يترضى عنك ربك الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون و

تنوحون على أنفسكم باقي حياتكم ؟ من الموت طالبه و القبر
بيته و التراب فراشه و الدود أنيسه و هو مع هذا ينتظر
الفرع الأكبر يكون حاله ؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه
و قال التيمي : شيئان قطعاً عني لذة الدنيا : ذكر الموت و
ذكر الموقف بين يدي الله تعالى و كان عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذكرون الموت و القيامة و
الآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة
و قال أبو نعيم : كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيما
فإن سئل عن شيء قال : لا أدري لا أدري و قال أسباط : ذكر
عند النبي صلى الله عليه و سلم رجل فأتى عليه فقال عليه
السلام : [كيف ذكره للموت ؟ فلم يذكر ذلك عنه فقال : ما هو
كما تقولون]

و قال الدقاق : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء :
تعجيل التوبة و قناعة القلب و نشاط العبادة و من نسي
الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة و ترك الرضى
بالكفاف و التكاسل في العبادة فتفكر يا مغرور في الموت و
سكرته و صعوبة كأسه و مرارته فيما للموت من وعد ما
أصدقه و من حاكم ما أعدله كفى بالموت مقرحاً للقلوب و
مبكياً للعيون و مفرقاً للجماعات و هادماً للذات و قاطعاً
للأمنيات فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك و انتقالك من
موضعك و إذا نقلت من سعة إلى ضيق و خانك الصاحب و
الرفيق و هجرك الأخ و الصديق و أخذت من فراشك و غطائك
إلى عرر و غطوك من بعد لين لحافك بتراب و مدر فيا جامع
المال و المجتهد في البنيان ليس لك و الله من مال إلا الأكفان
بل هي و الله للخراب و الذهاب و جسمك للتراب و المآب فأين
الذي جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا بل تركته
إلى من لا يحمذك و قدمت بأوزارك على من لا يعذرك و لقد
أحسن من قال في تفسير قوله تعالى : { و ابتغ فيما آتاك الله
الدار الآخرة } أي : اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار
الآخرة و هي الجنة فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما
ينفعه في الآخرة لا في الطين و الماء و التجبر و البغي فكأنهم

قالوا : لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن
و نحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله : ... رداءان تلوى فيهما و
حنوط

و قال آخر :

هي القناعة لا تبغي بها بدلا ... فيها النعيم و فيها راحة
البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن و
الكفن ؟

فصل : و قوله عليه الصلاة و السلام : [الكيس من دان
نفسه] دان حاسب و قيل : ذل قال أبو عبيد : دان نفسه : أي
أذلها و استعبدتها يقال : دنته أدينه إذ ذلته فيذل نفسه في
عبادة الله سبحانه و تعالى عملا يعده لما بعد الموت و لقاء الله
تعالى و كذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد
لعاقبة أمره بصالح عمله و التنصل من سالف زلله و ذكر الله
تعالى و طاعته في جميع أحواله فهذا هو الزاد ليوم المعاد و
العاجز ضد الكيس و الكيس : العاقل والعاجز : المقصر في
الأمور فهو مع تقصيره في طاعة ربه و اتباع شهوات نفسه
متمن على الله أن يغفر له و هذا هو الاغترار فإن الله تعالى
أمره و نهاه و قال الحسن البصري : [إن قوما ألهمهم
الأمانى حتى خرجوا من الدنيا و ما لهم حسنة و يقول أحدهم
: إني أحسن الظن بربي و كذب لو أحسن الظن لأحسن العمل
[و تلا قوله تعالى : { و ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم
فأصبحتم من الخاسرين } و قال سعيد بن جبير : [الغرة بالله
أن يتمادى الرجل بالمعصية و يتمنى على الله المغفرة]

من فوائد (تذكر الموت)

- إن تذكر الموت بصورة دائمة يجعل المسلم يعطي كل لحظة
حقها من الواجب، ويبتعد عن المخالفات الشرعية.
- ويجعل المؤمن يعمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.
- بما أن الموت حتم على كل حيّ وتبدأ بعده مرحلة السؤال
والحساب فلا بدّ من التذكّر والتدبّر قبل فوات الأوان.

- كثير من الناس وعلى مرّ التاريخ يسعفهم الله بالحظّ ويمدّ لهم الأسباب فتتوفّر لهم الحماية الصّحيّة والسّعادة الدنيويّة فيستبعدون ذكر الموت من حسابهم فيببطشون ويتجبرّون ثمّ تقع الطّامة عليهم فلا يجدون عدلاً ولا صرفاً وهؤلاء لا ينبغي أن يغترّ بما هم فيه.
- أحزم النّاس وأملكهم لشأنه أكثرهم ذكراً واستعداداً للموت.
- تذكّر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله فلا يقارف المعصية.
- إنّ من أشدّ الحياء من الله- عزّ وجلّ- تذكّر الموت والعمل لما بعده.
- موت المسلم وغسله وتكفينه والصّلاة عليه وحمله إلى المقابر ودفنه كلّها مظاهر تذكير وإنذار لكلّ أحد بأنّ هذا مصيره ولا يأخذ معه إلّا ما قدّم من خير أو شرّ.

ومن المواقف :

ذكر ثم تموت

عن مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها فرجع الملك إلى الله عز و جل فقال إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني قال فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فوالله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر .

إليه فيا ليت ما كان

وروى أن عيسى عليه السلام مر برأس ميت فضربه برجله وقال تكلم بإذن الله تعالى فتكلم وقال يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس على سرير ملكي علي تاجي وحولي حشمي وخدمي وجندي إذ تبدى لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله وخرجت نفسي إليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الأنس وحشة

فأنت إذن والله ملك الموت

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كان داود عليه السلام رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فغلق ذات يوم أبوابه وخرج فأشرفت امرأته فإذا برجل في الدار فقالت من ادخل هذا دارنا لئن جاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب قال فأنت إذن والله ملك الموت ثم قبض روحه . (1)

لكان حسبه

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان إبراهيم عليه السلام غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فخرج ذات يوم بعدما أغلق بابه فإذا هو برجل في جوف البيت فقال له من أدخلك دارنا قال ادخلنيها ربها فقال أنا ربها قال ادخلنيها من هو أملك لها منك فقال له إبراهيم من أنت من الملائكة قال ملك الموت فقال له هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه (2) .

¹ (العاقبة في ذكر الموت ، ص 139

² (العاقبة في ذكر الموت ، ص 139

هذه الحاجة أهم حوائجي

قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه وركب إفره دوابه وخرج في خاصته وجنوده ورجاله فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كبرا وعجبا فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبرا و إعجابا بنفسه فتصدى له رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه فأخذ بلجام دابته فقال له ويحك لقد تعاطيت أمرا عظيما كف يدك عن اللجام فقال له أنا ملك الموت فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه وقال سألتك إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضي حاجتي منهم فقال لا والله لا رأيت أهلك أبدا وقبض روحه فخر كخشبة ملقاة .

ثم لقي آخر في مثل حاله إلا أنه كان متواضعا فتعرض له فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له إن لي إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك في أذنك فقال هات فأعطاه أذنه قال أنا ملك الموت فقال له مرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان غائب أحب إلي من أن ألقاه منك فقال له ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت إليها قال لا هذه الحاجة أهم حوائجي ومالي حاجة أهم علي ولا أحب إلي من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك قال وتقدر على ذلك قال بذلك أمرت قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي وتقبل روحي وأنا ساجد قال نعم فتوضأ وصلى ثم قبض روحه في سجوده .

هيهات انقطعت المهلة

وقال بكر بن عبد الله جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي التي جمعت فأتي بشيء كثير فلما رآه بكى تحسرا فقال له ملك الموت ما يبكيك فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك فقال له أمهلني حتى أفرقه قال هيهات انقطعت المهلة فهلا كان هذا قبل حضور أجلك ثم قبض روحه⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ (العاقبة في ذكر الموت ، ص 140

لعنك الله من مال

قال

ويروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من أصناف المال إلا اتخذه ثم ابتنى قصرا وجعل عليه حجابا وحراسا ثم جمع أهله ووعيلاه وصنع لهم طعاما وقعد على سريرته ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون ثم قال يا نفسي تنعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فما فرغ من كلامه حتى أقبل ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فقرع الباب بشدة عظيمة فوثب إليه الغلمان فقالوا له ويلك ما شأنك ومن أنت فقال ادعوا إلي مولاكم قالوا إلى مثلك يخرج مولانا نعم فأخبروا مولاهم فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنني ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والخشوع فقال قولوا له يدخل وقولوا له قولنا فدخل فقال له اصنع بمالك ما أنت صانع فإني لست بخارج عنك حتى أخرج بنفسك فأمر بماله فجمع فلما رآه قال لعنك الله من مال فأنت شغلتنى عن عبادة ربي ومنعتني عن النظر لنفسي فأنطق الله عز وجل المال فقال لم تسبني وبى جلست مجالس الملوك وبى نكحت المتنعمات وبى فعلت وفعلت وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ميتا .

فإلى أين أذهب ؟

وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من جبابرة بني إسرائيل في منزلة قد خلا ببعض أهله إذ رأى شخصا قد دخل عليه من باب بيته فوثب عليه مغضبا فقال له ويلك من أنت ومن أدخلك دارى وما حملك على الهجوم علي في بيتي فقال له أما الذي أدخلني الدار فربها أنا الذي لا يمنعني الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا أخاف صولة السلاطين فأسقط في يد الجبار وأرعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستخديا متذللا فقال له فأنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلني حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك

وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى إمهالك سبيل قال
فإلى أين أذهب ؟ قال إلى عملك الصالح الذي قدمت وإلى بيتك
الحسن الذي مهدت قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولا مهدت
بيتا حسنا قال فإلى لظى نزاعه للشوى ثم قبض روح فسقط
بين أهله فمن صارخة تصرخ وبكاءية تبكي .
قال يزيد ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم
والبكاء أكثر (1).

أترضى حالك هذه للموت؟

- وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن
معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه :أترضى حالك هذه
للموت؟ قال :لا، قال :فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال
ترضاها للموت؟ قال :ما سخت نفسي بذلك بعد، قال :ويحك،
فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال :لا، قال :فهل تأمن أن
يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال :لا، فقال :ما رأيت مثل هذه
الحال رضي بها عاقل، فاتق الله يا أخي واعمل قبل أن
تندم(2).

قد مات قوم وهم في الناس أحياء

قال ابو بكر الخياط رأيت كأني دخلت المقابر فإذا اهل القبور
جلوس على قبورهم بين ايديهم الريحان وإذا أنا بمعروف أبي
محفوظ قائما فيما بينهم يذهب ويجئ فقلت أبا محفوظ ما صنع
بك ربك أو ليس قدمت قال بلى ثم أنشأ يقول
موت التقى حياة لا نفاذ لها ... قد مات قوم وهم في الناس
أحياء

أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا

- قيل لمعروف الكرخي في علته أوص فقال إذا مت فتصدقوا
بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت
اليها عريانا .

¹ (العاقبة في ذكر الموت ، ص 142

² (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 38/5

فعظم الله أجرك على موت قلبك

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

هل رد الله عليك حكماً؟

وقال له: أيها القاضي، منذ كم تحكم بين عباد الله؟ قال: منذ ثلاثين سنة، قال: هل رد الله عليك حكماً؟ قال: لا، قال: فإن الله لم يرد أحكامك في ثلاثين سنة وترد حكماً واحداً حكمه عليك.

فعظم الله أجرك على موت قلبك

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

أيمنما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

- عن مجاهد في قوله تعالى: "أيمنما تكونوا يدرككم الموت

ولو كنتم في بروج مشيدة" الآية قال كان فيمن كان قبلكم

امراً وكان لها أجير فولدت جارية وقالت لأجيرها اقتبس لنا ناراً فخرج فوجد بالبواب رجلاً فقال له الرجل ما ولدت هذه

المرأة قال جارية فقال أما أن هذه الجارية لا تموت حتى تبغي بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت قال فقال

الأجير في نفسه فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ

شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على وجهه وركب

البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرأت وشبت فكانت تبغي

فاتت ساحلاً من سواحل البحر فاقامت عليه تبغي ولبث الرجل

ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من

أهل ساحل البحر ابغيني امرأة من أجمل الناس في القرية

أتزوجها فقالت ها هنا امرأة من أجمل الناس وانها تبغي قال

اننتي بها فانتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا

وكذا فقلت كذا وكذا فقالت إني قد تركت البغاء ولكن إن أراد

تزوجته قال فتزوجها فوقع منه موقعا فبينما هو يوم عندها إذ

أخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية وأرته الشق في بطنها

وقد كنت أبغي فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر قال فانه قال لي

يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجاً في الصحراء
وشيده فبينما هما يوماً في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف
فقال هذا عنكبوت فقالت هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري
فحركته فسقط فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته وساخ سمه
بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت فنزلت هذه الآية
أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . (1)

الصدقة :

الصدقة لغة : اسم لما يتصدق به وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدلّ على قوّة في الشّيء قولاً أو غيره، ومن ذلك أخذ الصّدق لقوّته في نفسه، ومن الصّدق أخذت الصدقة، لأنّها تدلّ على صدق العبوديّة لله - تعالى - والصدقة ما تصدّقت به على الفقراء (أو المساكين)، والمتصدّق هو الذي يعطي الصدقة، ولا يقال ذلك للذي يسأل الصدقة ليأخذها، والعامّة تغلط في ذلك، وقال بعض أهل اللغة: إنّ المتصدّق يقال للاثنتين جميعاً أي الذي يعطي الصدقة والذي يسألها، والمصدّق يقال به على معنيين: الذي يصدّقك في حديثك، والذي يأخذ صدقات الغنم (ونحوها)، وقول الله - تعالى -: إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ (الحديد/ 18) بتشديد الصاد أصله المتصدّقين فقلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد، والصدقة ما أعطيته في ذات الله للفقراء، يقال تصدّق عليه (أعطاه الصدقة)، وفي الحديث لما قرأ القارئ قوله تعالى وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ (الحشر/ 18) قال صلى الله عليه وسلم: «تصدّق رجل من ديناره، ومن درهمه، ومن ثوبه»، أي ليتصدّق، لفظه الخبر، ومعناه الأمر كقولهم: أنجز حرّاً ما وعد، أي لينجز. ويقال صدّق عليه في معنى تصدّق كما في قوله - عزّ وجلّ - فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (القيامة/

(31)، وفي حديث الزكاة لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدق.

واصطلاحاً : هي العطية يبتغى بها المثوبة من الله- تعالى- وقال الراغب: ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب .

وقال التهانوي: الصدقة: عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة؛ لأن بها يظهر الصدق في العبودية، وهي أعم من الزكاة، وقد تطلق عليها أيضاً .

وقال المولى عز وجل : " إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (البقرة: 271) وقال تعالى : " يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (البقرة: 276)

وقال تعالى : " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (النساء: 114)

وقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (المجادلة: 13)

وقال تعالى : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْنَخُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ

* إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة: 58- 60)

وقال تعالى : " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (يوسف: 88) وعن أبي مسعود البدري- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها كانت له صدقة (1)

وعن أبي كبشة الأنماري- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه»، قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله- عز وجل- بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه»، قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله عز وجل- مالا وعِلما فهو يتّقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ويعلم لله- عز وجل- فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله- عز وجل- علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو نيته. فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتّقي فيه ربه- عز وجل- ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم حقًا، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته فوزرهما فيه سواء (2)

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله (3) يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل (4). وشاب نشأ بعبادة الله (5) ورجل قلبه معلق

-
- (1) مسلم (1002)
 - (2) الترمذي (2325). وقال: هذا حديث حسن صحيح وبعضه عند مسلم (2588). ورواه أحمد (231/4).
 - (3) يظلهم الله في ظله: المراد هنا ظل العرش. والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين. ودنت منهم الشمس، وأخذهم العرق. ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش.
 - (4) الإمام العادل: هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والحكام.
 - (5) شاب نشأ بعبادة الله: أي نشأ متلبسا للعبادة، أو مصاحبا لها أو ملتصقا بها..

في المساجد (1) ورجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه (2). ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال (3). فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (4) وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر- رضي الله عنه-: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» (5) وعن عمر- رضي الله عنه- أن الأعمال تباغت فقالت الصدقة: أنا أفضلكم).

عن أبي مسعود- رضي الله عنه- قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمُ الْآيَةَ (التوبة/ 79). قال عبد العزيز بن عمير: «الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه. قال ابن أبي الجعد: «إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء.

1 (ورجل قلبه معلق في المساجد: أي شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد.

2 (ورجلان تحاببا في الله ...: أي اجتمعا وتفرقا على الله، وكانا صديقين في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما.

3 (ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال: أي ذات الحسب، والنسب، والجمال، ومعنى دعت أي دعت إلى الزنا بها.

4 (البخاري- الفتوح 3 (1423). ومسلم (1031) واللفظ له.

5 (البخاري- الفتوح 4 (1897).

عن الربيع بن خثيم أنه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خزّ فرأى سائلاً فأعطاه إياه، وتلا قوله تعالى لَنْ تَتَالَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران/ 92)
قال يحيى بن معاذ: «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة».

قال الشَّعْبِيُّ: «من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه»
من فوائد (الصدقة)

- طهارة للنفس، وقربة إلى الله- عزّ وجلّ.-
- طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.
- تثمر سعادة الدّين والدّنيا.
- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- حفظ الإنسان في ماله وبدنه.
- دليل على الزّهد.
- طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلّم.
- باب من أبواب التكافل الاجتماعيّ.
- تثمر محبة النّاس.

ومن المواقف :

لقمة بلقمة

عن مالك بن دينار وقال : أخذ السبع صبياً لامراً فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة (1).

ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل

عن الفضيل بن عياض، قال :حدثني رجل :أن رجلاً خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين، كل واحد منهما أخذ برأس صاحبه.

فقال :ما هذا ؟ فقيل :يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعهها، فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت.

فقال له : إن معك شيئاً قد كسد، ومعى شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا ؟ فباعه.

:قومي

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته فأصلي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع. فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة : يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام. فقال : أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحارلبه.

فقال لزوجته : هذه أظنها لؤلؤة.

فقالت : أتعرف قدر اللؤلؤة.

قال : لا، ولكنى أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهرى، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

وقال : أنظر كم قيمة هذه ؟ قال : فنظر زماناً طويلاً، ثم قال : لك بها علي أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك منى.

فذهب بها إليه، فنظر إليها واستحسنها، وقال : لك بها علي ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنى أراه أثمن بها لك منى.

فذهب بها إليه، فقال : لك بها علي مائة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً.

فقال : نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم أثنتى عشرة بدرية، في كل بدرية عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل. فقال : هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال : خذ نصف هذا المال ، فأخذ الرجل الفقير ، ست بدر ، فحملها ، ثم تباعد غير بعيد ، ورجع إليه .

وقال : ما أنا بمسكين ، ولا فقير ، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل ، الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً ، فهذا الذي أعطاك ، قيراط منه ، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً⁽¹⁾ .

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه

وقال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكي ، فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال : أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه⁽²⁾ .

يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين

عثمان رضي الله عنه : تاجروا الله بالصدقة تربحوا كان أيوب السختياني يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين ، ويقول : احتلفوا علينا . فيدفعها مرة إلى المساكين ، ومرة إلى الإمام.⁽³⁾

أيكم إبراهيم بن أدهم ؟

قال علي بن بكار : كان إبراهيم بن أدهم جالسا معنا عند المسجد إذ أقبل رجل أحمر مربع عليه أثر سفر ، حتى وقف علينا ، فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ قال إبراهيم : أنا فقام إليه إبراهيم فأخذ بيده فنحاه ، قال : أي شيء أردت ؟ قال : أنا غلامك ، بعثني إخوتك إليك ، ومعني عشرة آلاف وفرس وبغلة . فقال له إبراهيم : إن كنت صادقا فأنت حر ، وما معك لك ، اذهب اذهب لا تخبر أحدا⁽⁴⁾ .

كيف رأيت صنع الله ؟!

الأوزاعي : جاءه جار له ، فقال : هذا عيد وما عندنا شيء ، فقال لامراته : أعطيه ما معك ؛ فقالت : معي نيف وعشرون درهما فأشاطره ؛ فقال أعطيه كلها عسى الله أن يبعث بخير منها . فإذا رجل يدق الباب ، فأذن له ، فقال : أني كنت عبداً لأبيك أبتعت فأكتسبت هذه الدنانير وهي نيف وعشرون

¹ (القاضي التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، 221/1

² (ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 393/2

³ (الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 160 / 1

⁴ (المزني ، تهذيب الكمال مع حواشيه ، 35 / 2

ديناراً؛ فقال : أنت حر . ثم قال لامرأته : كيف رأيت صنع الله، أعطى بكل درهم ديناراً وأعتق نسمة⁽¹⁾.

لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي

عن الأوزاعي قال : دخلت المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال : فقلت من هاهنا من الفقهاء؟ فقالوا : محمد بن المنكدر، ومحمد بن المبشر، ومحمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت في نفسي : ليس من هؤلاء أحق أن يبدأ به من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت يا بن رسول الله: أخبرني عن قول الله عز وجل : " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " فقال أخبرني أبي عن جدي عن علي عليه السلام، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي، وهي : الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء " .⁽²⁾

ما عند الله خير وأبقى

قال وسمعتة يقول كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم فأنفقت كل ذلك في طلب العلم فقلت كم بين من ينفق على هذا الوجه وبين من كان خلوا من المال فجمع وكسب بالعلم حتى اجتمع له فقال أبو عبد الله: "ما عند الله خير وأبقى " (الشورى:36)

وكان يتصدق بالكثير يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين وأقل وأكثر من غير أن يشعر بذلك أحد وكان لا يفارقه كيسه.

إذا قدمت إلي فقير شيئاً فقدم إليه مثل هذا

ويحكي عن الجنيد أنه قال: مرّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم.

¹ (الزمخشري ،ربيع الأبرار، 1 / 94

² (ابن الشجري ، الأمالي الشجرية ، 1 / 350

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم، فقدمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرّ. فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله، سبحانه، علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكنني ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟.

فقلت: إنه حمل إليّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت إلي فقير شيئاً فقدم إليه مثل هذا. (1)

وأما من جهة الإخلاص فالكل

- وسئل الشبلي عما يجب في مائتي درهم فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم، وأما من جهة الإخلاص فالكل.

فلم لا تطلب منه؟

- قال ابن شادان: دخلت مع جماعة من الصوفية على الشبلي رحمه الله فبعث إلى بعض المياسير يسأله ما ينفقه عليهم، فقال للرسول: قل له يا أبا بكر أنت تعرف الحق، فلم لا تطلب منه؟ فقال الشبلي: عد إليه وقل له: الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك، وأطلب من الحق الحق، فوجه إليه بمائة دينار. وفي المثل: خذ من جذع ما أعطاك.

خمسا في خمس

وقال شقيق البلخي طلبنا خمسا فوجدناها في خمس طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة وطلبنا الري يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار وطلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى..

بلا دراهم

قال عيسى أخو معروف الكرخي يقول قلت لمعروف الكرخي أخي لو قعدت على الدقيق لأمضي في حاجة فقال لي بشرط أن لا أمتع سائلا قلت نعم وأنا أظن أنه يعطي الكف والأكثر والأقل

قال فرجعت فاذا هو قد تصدق بشئ كثير ما بين المكوك والزيادة قال فاحمرت وجنتاي فلما نظر الي قال لست عائدا الى هذا الموضع فلما تقدمت الى الصندوق فاذا المجرى بلا دراهم .

من خليلك؟

وعن الأحنف بن قيس قال : جلستُ إلى ملاء من قریش، فجاء رجلٌ خَشِنُ الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسَلَّم، ثم قال : "بشِّر الكانزين برض ف (1) يُحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حَلْمَة تُدِّي أحدهم حتى يخرج من نُغْضٍ (2) كَتْفِهِ، ويوضع على نُغْض كَتْفِهِ حتى يخرج من حَلْمَة تُدِّي يتزلزل".

ثم ولى فجلس إلى سارية، وتَبَعْتُهُ، وجلستُ إليه، وأنا لا أدري من هو؟ فقلت : لا ارى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت . قال : إنهم لا يعقلون شيئا، قال لي خليلي .. قلت : من خليلك؟ قال : النبي - صلى الله عليه وسلم - : "يا أبا ذر! أتبصر أحدا؟".

قال : فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار؟ وأنا أرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرسلني في حاجة له - قلت : نعم . قال : "ما أحبُّ أن لي مثل أحدٍ ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير".

وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألقى الله عز وجل. (3) وفي رواية لمسلم أنه قال:

"بشِّر الكانزين بكَيِّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكَيِّ من قبل أقبائهم يخرج من جباههم".

قال: ثم تَنَحَّى فقعده. قال: قلتُ: من هذا؟ قالوا: أبو ذر قال: فقامت إليه فقلت: ما شيءٌ سمعتُك تقول قُبَيْلُ؟ قال: ما قلت إلا شيئا قد سمعته من نبيهم - صلى الله عليه وسلم - قال: قلت: ما تقول في هذا العطاء؟

¹ (الرَّضْف : بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة: هو الحجارة المحمأة.

² (النغض: بضم النون وسكون الغين المعجمة بعدها ضاد معجمة، وهو غضون الكتف.

³ (رواه البخاري في كتاب الزكاة برقم (1407 و 1408)، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (209).

قال: خُذْهُ، فَإِنْ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةٌ، فَإِذَا كَانَ ثَمَنًا لَدَيْكَ فَدَعَهُ.
(¹)

أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت

قال أبو الحجاج المقرئ ولد لي مولود وليس عندي شيء قال أخي ادع الله قال فجعل يدعو وأؤمن وأدعو ويؤمن فلما طال علي قمت فانسلت فإذا راكب ينادي من خلفي يا هذا فالتفت فإذا معه صرة فقال لي قال لك أبو محفوظ أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت له وإذا هي مائة دينار أو نحوه .

أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني

قال عبد الجبار بن عبد الله دعا معروف الكرخي أخ من إخوانه إلى وليمة وكان قدامه بعض الزهاد فأخذ معروف بيده فلما رأى الزاهد تلك الألوان أنكرها وقال يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال ما أمرتهم بشراه فلما رأى الحلواء قال سبحان الله يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال ما أمرتهم بصنعتة فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء قال أما ترى ما ها هنا قال معروف قد أكثرت علي أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني . (²)

خالك ضيف

وقال ابن أخت معروف قلت له يا خال أراك تجيب كل من دعاك فقال يا بني خالك ضيف ينزل حيث ينزل .

تربح فيه ثلاث خصال

قال محمد بن منصور الطوسي رأي معروف الكرخي ومعني ثوب فقال لي يا محمد ما تصنع بهذا قلت أقطعه قميصا فقال أقطعه قصيرا تربح فيه ثلاث خصال أولها اللحوق بالسنة والثاني يكون ثوبك نظيفا والثالث تربح خرقة .

قصة معروف الكرخي مع مجوسي

روي عن سعد بن سعيد أنه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه

¹ (ماجد إسلام البنكاني أبي أنس العراقي ، تحذير الأنام بما في الأقوال والأفعال من الآثام ، ص

فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فاقتقر بعد الغنى وذل بعد
العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة أنه قد بقي له مال
جسيم فلا تظن أنه عديم فأمر بمصادرتة ثانياً فلما علم
المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون
الجبار وقال إن لم تخلصيني آمنت برب معروف فلم يجبه أحد
ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جنَّ عليه الليل اغتسل
وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه
وقال يا إله إبراهيم عيسى ومحمد وإله معروف ويا من لا إله إلا
هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع وإني
جئتك تائباً مما فعلت متبرئاً مما عبدت منفصلاً عما اعتقدت
موقناً بك شاهداً بأن لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين وأنت
المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون إلا ما تريد إنك على كل
شيء قدير فأغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي وإسرافي ولا
تنظر إلى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة
وأعوانه عني فقد وجهت وجهي إليك ثم قال أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم سجد وأطال سجوده وهو
يناجي ربه ويبكي فأتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي
متفكراً في أمره لا يتحقق من هو وإذا هو بغيلام من خواص
الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي بإسمه ونسبه
فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت
وقيل لي إنه في مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فإن
الخليفة قد بعثني إليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره
على أن يؤمنه ويرد عليه ما أخذه منه وكفى بالله شهيداً
معروف لست أرى في المسجد أحداً يشبه من تذكره إلا هذا
الساجد لله المناجي لرب فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف
صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا
تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة
لتسير إليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه وإذا
معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم
صاحبه وما أقربه إلى من دعاه ثم قال يا معروف أمدد يدك
إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وإني

فقال

رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وأن القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذاك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا إلى دار الخليفة وإذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما إلى مجلسه وأقعدهما إلى جانبه وأقبل يعتذر إليهما مما وقع منه وأمر بالأموال التي أخذت من المجوسي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليست هي التي أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله فيها واجعني في حل ما وقع مني واستغفر الله لي فقال يعفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الأموال فهي لك حلال بعد أن هداني الله إلى دين الإسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك إلى طلبي في هذا الوقت قال نعم كنت نائماً وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل عليّ ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك إن عبدنا فلاناً المجوسي كنا قد دعوناه في الذرا فأجابنا وكان في المجوسية مستتراً ولنا معه عناية وقد جاء الآن إلي تائباً وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيراً بجانبنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوباً فأرسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه إليك فخر الرجل ساجداً لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه وأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشيء أمرني ربي بإخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في المال أشهد أنني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لا حظ لي فيه ولا لأحد من أهلي فقال الخليفة لمعروف بقي الأمر إليك فأحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام والأرامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يعفو عما وقع

منه ولازم الرجل معروفاً الكرخي إلى أن مات تغمده الله
برحمته. ⁽¹⁾

اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء

وعاد حاتم الأصم بعض الأغنياء، فلما خرج بعث إليه بمال
فقال: أهذا كان فعله في الصحة؟ فقيل: لا، فقال: اللهم أدم حاله
هذه فإنه صلاح الفقراء.

¹ (تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من
ثمرات الأوراق، تحقيق أبو عمار السخاوي، دار النشر: دار الفتاح - الشارقة - 1997م، ص

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته ، وأن يوفِّقنا لأداء حقِّه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله ، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده . فيا أيها القاريءُ له ، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه ، لك ثمرته وعليه تبعته ، فما وجدت فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يردَّ الحقَّ إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: " : اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً ، وردَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً .

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: "فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات".

وقال أيضاً: " .. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب"(1).

فإذا مر بك -يا أخي- ما لا يعجبك فلا تصعِّر خدك، ولا تعرض بوجهك، ولا تسئل لسانك، ولا تجلب بخيلك ورَجْلَكَ، وخذ من الكتاب ما يعجبك واتهم الفهم.

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

ولا يصدنك عن الحكمة قائلها؛ فقد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير الرامي، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه.

اعْمَلْ بِعِلْمِي وَغُضِّ الطَّرْفَ عَنْ زَلَلِي يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وما وجد القارئ فيه من خطأ فإن قائله لم يأل جهد الإصابة ، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال ، كما قيل :

وَالنَّقْصُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ ... فَبَنُوا الطَّبِيعَةَ نَقْصُهُمْ لَا يُجَحِّدُ

وكيف يُعَصِّمُ من الخطأ من خُلِقَ ظلوماً جهولاً ، ولكن من عُدَّتْ غلطاته أقرب إلى الصوابِ ممن عُدَّتْ إصاباته ، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق ، وغايته النصيحة لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولإخوانه المسلمين ، وإن جعل الحق تبعاً للهوى : فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ ... والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت